الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الحاج لخضر
-بـ ـاتنـة-

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية وآدابها

التفكيـ ـ ـ ـر البلاغي عند الزركشي
من خلال كتابة البرهان في علوم القرآن

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه علوم في اللغة والآداب
تخصص النقد العربي القديم

إعداد الطالب:
عمر بن طرية

إشراف الأستاذ الدكتور:
كمـال عجالـ ـ ـي

لجنة المناقشة:

د/الـعـربـي دحـو	رئـيسـا	جامعـة باتنـة
أ/د/كمـال عجـالـي	مشرفا ومقررا	جامعـة باتنـة
د/عبد الحميد بن سخرية	عـضـوا مناقشـا	جامعـة باتنـة
د/أحـمـد بلـخضـر	عـضـوا مناقشـا	جامعـة ورقلـة
د/عـبـاس بن يحـي	عـضـوا مناقشـا	جامعـة المسيلـة
د/ العـلمي مـكـي	عـضـوا مناقشـا	جامعـة أم البواقي

السنة الجامعية:
1430-1431هـ/ 2009-2010م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الحاج لخضر
-بـــاتنـة-

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية وآدابها

التفكيـــــــر البلاغي عند الزركشي
من خلال كتابة البرهان في علوم القرآن

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه علوم في اللغة والآداب
تخصص النقد العربي القديم

إعداد الطالب:
عمر بن طرية

إشراف الأستاذ الدكتور:
كمـال عجالـــي

لجنة المناقشة:

د/الـعـربـي دحـو	رئـيـسـا	جامعـة باتنـة
أ/د/كمـال عجـالـي	مشرفا ومقررا	جامعـة باتنـة
د/عبد الحميد بن سخرية	عـضـوا مناقشـا	جامعـة باتنـة
د/أحـمـد بلـخضـر	عـضـوا مناقشـا	جامعـة ورقلـة
د/عـبـاس بن يحـي	عـضـوا مناقشـا	جامعـة المسيلـة
د/ العـلمي مـكـي	عـضـوا مناقشـا	جامعـة أم البواقي

السنة الجامعية:
1430-1431هـ/ 2009-2010م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلَو أنما فِي الْأرضِ مِن شجرةٍ أقْلَام والْبحرُ يمُدهُمِن بعدِهِ سبعةُ

أبحُرٍ ما نفِدت كَلِماتُ اللهِإِن الله عزِيز حكِيم

لقمان (27)

إِن الله وملَائِكَتهُ يُصلونَ علَى النبِي يا أيها الذِينآمنُوا صلوا علَيهِ

وسلمُوا تسلِيما

الأحزاب (56)

الإهداء

من كان رمزا للخير والفضيلة والمروءة إلى من علمني فقه الحياة إلى وغرس في حب الناس، وحب العلم والمعرفة .

والدي رحمه الله

إلى سويداء قلبي روحي وجسدي رمز الصبر والتضحية

والدتي الكريمة أمد الله في عمرها

إلى ريحانة فؤادي رمز المودة والوفاء والبلسم والدواء

زوجتي الفاضلة

إلى من نقشت حبا في فؤادي لهم ،شموع حياتي ضياء دربي

أبنائي الأحبة :إبتهال / بسام / جواهر / غسان

فلولا سماحة تنازلهم عن كثير من حقوقهم ما استطعت إنجاز هذا البحث

إلى إخوتي الكرام لهم مني جزيل الشكر، وبالغ الاحترام

إلى كل من علمني حرفا ،ودلني على الخير...

إلى هؤلاء جميعا أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع عربون محبة ووفاء

عمر بن طرية

شكر و تقدير

أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من علمني حرفا فصرت له عبدا من الكتاب إلى الجامعة .

كما أتوجه بالشكر والعرفان إلى كل من مد لي يد العون من أجل إنجاز هذا البحث من قريب أو بعيد .

وشكري العميم إلى القيمين على مكتبة قسم اللغة العربية وآدابها جامعة الحاج لخضر باتنة ، وكذا القيمين على مكتبة قسم اللغة العربية وآدابها جامعة قاصدي مرباح ورقلة .

وموفور الشكر إلى أستاذي الفاضل ؛ الأستاذ الدكتور : كمال عجالي على الجهود الجبارة التي بذلها معي طوال فترة إعداد هذا البحث ، وعلى توجيهاته ، وإرشاداته ، ونصائحه القيمة التي أسداها لي ، وكانت أيادي بيضاء على هذا البحث ، وهو في كل ذلك آخذ بيدي إلى بر الأمان ، إذ لم يبخل علي بعلمه الغزير ، وتواضعه الأشم ، ووقته الثمين ، ومد يد العون .

فله مني كل التقدير والامتنان ، راجيا من المولى عز وجل أن يجعل ثوا ب ذلك في ميزان حسناته.

وأن يجعله منارة لطلاب العلم ، وذخرا للإسلام والمسلمين.

المختصرات

ب ط : بـــدون طبـــع

ت : تـــوفـــي

تح : تـــحقيـــق

تر : تـــرجمـــة

ج : جـــزء

د ت : دون تاريـــــخ

د ق : دون تحقيـــــق

د ن : دون ناشـــــر

م : ميـــــلادي

ص : صفحـــــة

مج : مجلـــــد

هـ : هجــــري

(لو لم يكن لبدر الدين الزركشي

غير كتاب

" البرهان في علوم القرآن "

لكفاه ،

كيما يحتل المكانة التي شغلها وسط

منظومة علماء المسلمين "

الدكتور خالد ابراهيم المحجوبي

عن مجلة الكلمة الطيبة 5 اكتوبر 2004.

مقدمة

مقدمة :

الحمد لله الذي خلق الإنسان ، وعلمه البيان ، وفضله على كثير ممن خلق بنعمتـي العقل واللسان ، حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، وصل اللهم على أفضل الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تسليما.

وبعد:

فالقرآن الكريم كتاب معجز ، ورسالة خاتمة للناس كافة ، جاء ليدل على صدق نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وصحة رسالته.

هذا الكتاب الخاتم أبهر العلماء ، وأخذ بمجامع قلوبهم ، ودفع بهم إلـى الانكبـاب علـى دراسته في محاولة للكشف عن مكنون إعجازه ، وبديع أسلوبه ، وجمال تأليفه، وروعـة نظمه ، وإماطة اللثام عن جمالياته التي لاطاقة للبشر أن يأتوا بمثله ، فهو كلام الله الذي لا تنقضي غرائبه ، ولا تنتهي عجائبه ، ولا يصل المرء إلى سبر أغـواره ، ومعرفـة أسراره ، مالم يتدبره حق التدبر ، ويتأمله حق التأمل ، ومن ثم فالواقف وقفـة المتأمـل المتريث المتسلح بزاد المعرفة المتشرب بالتقوى ، ليمكنه استخراج بعض مـن اللآلـئ والدرر من عباب بحاره ، فضلاعن تفرده وإعجازه.

ولا شك أن التفكير البلاغي عند العرب ارتبط أساسا بالتفكير الديني الأخلاقي ، فالبلاغة العربية ترعرعت في رحاب الدراسات الدينية وسارت جنبا إلى جنب مع البحوث القرآنية التي كانت ربيبتها من حيث الاهتمام بالنص القرآني . ومن ثم فلا جدال فـي أن القـرآن يتسنم هرم البيان العربي ، وهو كتاب العربية الأسمى ، وناموسها الأعلى ، وحامي حمى لغتها من الدرس والتلاشي على مر الأزمنة والحقب ، يقف كالطود الأشم متحديا فطاحلة البيان ، وجهابذة اللغة ، وأساطين العلم ، ومصاقع الخطباء على أن يأتوا بمثله ، فبهرهم وخاب ألبابهم ، وأذهب بريق فصاحتهم، وأزال نصاعة بلاغتهم ، وأبلى جزالة أسلوبهم .

ويعد إعجازه البياني ينبوعا متدفقا فياضا بالجمال و الفن ، كما أن ارتقاءه البلاغي عـن لكل ذي بصر ، وسطع كالشمس في كبد السماء ، فغدا حقيقة ناصعة نمت علـى مـدى تفوقه في فن القول ، وجعل العرب تقف حيرى أمام إعجازه وبلاغته وبيانه . فلاغرو إذا ما وجدنا كثيرا من الدارسين والباحثين بحثوا وتعمقوا في أسرار القرآن الكريم من زوايا ومناحي عديدة ومختلفة.

ولعل الإمام الزركشي واحد من العلماء الأفذاذ تناولوا القرآن العظيم بالبحـث والدراسـة وعن ذلك في سفره النفيس : البرهان في علوم القرآن "

الذي يعد من خيرة ما ألف و خاف ، فهو موسوعة إسلامية جامعة لعلوم شتى، وهو من أنفس كتبه سموا ورفعة ، كثر غراسه ، وجنى حصاده.

سلخ فيه عمره ، فجمع فأوعى ، فجاء بحمد الله ، نعم البـستان الحافـل بخيـر الثمـار والأزهار ، يزود من يصاحبه بخير الزاد.

ولعل من أبرز العلوم التي عالجها الزركشي في برهانه علم البلاغة ؛ لأنه وثيق الـصلة بالإعجاز القرآني وفصاحته ، فهو كتاب العربية الأكبر ، ومعجزتها الباقيـة إلـى قيـام الساعة.

وقد هداني الله تعالى إلى انتقاء هذا الموضوع ، والذي يتناول التفكيـر البلاغـي لـدى الزركشي من خلال برهانه ، والإشكالية التي يطرحها البحث تتمثل في :

"اتخاذ الزركشي المصطلحات البلاغية مطية لإبراز واستكناه مكامن الجمال فـي الـنص القرآني ، والكشف من خلالها عن التجليات الجمالية للتعابير القرآنية ، وإيضاح روعـة الأسلوب في الخطاب القرآني وإبراز وجوه الإعجاز فيه.

ومن هنا كان موضوع بحثي هو :

التفكير البلاغي عند الزركشي من خلال كتابه البرهان في علوم القرآن "

أما عن الدوافع التي حملتني على اختيار هذا الموضوع يمكن حوصلتها فيما يلي :

أولا :

إبراز شخصية الزركشي كعلم من أعلام البلاغة المغمورين في هذا الجانب على الـرغم من إسهامه في إثراء مباحث الدرس البلاغي .

ثانيا :

كتابه البرهان في علوم القرآن الذي يعد من أمهات المصادر التي تناولت البلاغة العربية تناولا أدبيا وذوقيا على الرغم من أنه ظهر في حقبة متأخرة .

ثالثا :

توظيف المصطلح البلاغي توظيفا جماليا خدمة للإعجاز القرآني.

هذه الدوافع وغيرها كان من شأنها أن تولد في الحافز للكتابة في هذا الموضوع ، والإبانة عن أهميته وقيمته في الدراسة النقدية والبلاغية والأدبية.

-الوقوف على كبريات قضايا التفكير البلاغي عند الزركشي وعلاقتها بجماليات القـرآن الكريم .

- الوقوف على طريقته في توظيف المصطلح البلاغي ، والغاية التي سعى إليهـا مـن خلال ذلك.

- إبراز قيمة الفكر البلاغية ، وإيضاح دورها في مسألة الإعجاز القرآني.

- إبراز القيمة الجمالية والبلاغية والنقدية لكتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي على الرغم من أنه عرف ككتاب في علوم القرآن ، ولم يعرف ككتاب يتناول البلاغة والنقد.

- الوقوف على منهجه في التأليف عامة ، وفي تناول الدرس البلاغي خاصة ، وتبيـان قيمة آرائه البلاغية ، وإضافاته للدرس البلاغي والنقدي .

ولتحقيق هده الأهداف المرسومة سلفا قسمت البحث إلى :

تمهيد وستة فصول ، ينضاف إليها مقدمة وخاتمة.

أما التمهيد :

فخصصته حديثا موجزا عن البلاغة قبل الزركشي ، فتناولت البلاغة والنقد قبـل نـزول القرآن ، ثم أشرت إلى أثر القرآن في البلاغة ، كما وضحت العلاقة بين النقد والبلاغة ، وعرجت على أبرز أعلام البلاغة فأوضحت في إيجاز دورهم وإسهاماتهم فـي تطـور معالم الدرس البلاغي .

وجعلت الفصل الأول :

محطة للتعريف بالزركشي ، واقفا عند أبرز المعالم التي شكلت شخصيته العلميـة ، ثـم انتقلت إلى المدونة ، مدونة البحث "البرهان في علوم القرآن " فقدمت تعريفا به فـأبرزت منهجه ، ومضمونه ،والغاية من تأليفه.

وخصصت الفصل الثاني :

لمباحث علم المعاني عند الزركشي ، فأبرزت جهوده من خلال حديثه عن أقسام معنـى الكلام في الخبر والإنشاء ، والتقديم والتأخير ، واقفا عند بعض ما اصطلح عليه أسـاليب القرآن وفنونه البليغة ، وإن كانت متداخلة مع بعض قضايا البديع .

وخصصت الفصل الثالث :

لمباحث علم البيان ، فأبرزت التشبيه وقضاياه ، والمجاز في القرآن وخصائصه الفنيـة والخلاف الواقع بين العلماء في نفيه ، أو إثباته ، ثم عرجت على الاستعارة وجمالياتهـا وأنهيته بالحديث عن الكناية وأسبابها والتعريض ، والتلويح ، والتوجيه .

أما الفصل الرابع :

فقد أبرزت جهود الزركشي في البديع ممثلا في التورية ، والطباق ، والمقابلة والتجنيس والاستطراد ، والالتفات ...وغيرها.

أما الفصل الخامس :

فقد تناولت من خلاله قضية الأسجاع والفواصل في القرآن ، مبينا بعضا من آراء العلماء في هذه القضية وفحوى الخلاف الواقع بينهما في مسألة وقوع السجع في القرآن ، أو نفيه مبرزا رأي الزركشي في ذلك . موضحا الفاصلة ، وجمالها ، وفوائدها.

والفصل السادس :

تناولت فيه كبريات القضايا القرآنية ممثلة في قضية الإعجاز ،واقفاعند أهم آراء العلمـاء في تحديدهم لوجوه الإعجاز القرآني ،ثم إيضاح رأي الزركشي في المسألة.

كما أبرزت من خلاله سمات التفكير البلاغي عند الزركشي ممثلة في :

الموسوعية /العمق والشمولية/ الموضوعية /الأمانـة / النقـد./الـذوق الأدبـي الفنـي /المصطلح البلاغي وسيلة لإبراز جماليات القرآن.

أما الخاتمة :

فحوصلت فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث .

منهج البحث :

اعتمد هذا البحث على المنهج التاريخي في التعريف بالزركشي وعصره وآثاره وبيئتـه وكذا تتبع القضايا البلاغية التي تعرض لها .

ودراسة نقدية تعالج كل قضية علاجا نقديا ، وأخرى فنية تبـرز قيمـة المـصطلحات البلاغية ،وتبين مدى إسهامها في الكشف عن جمال آي الذكر الحكيم ، والإبانة عن وجوه إعجازه وبيانه .كما تجلي مواطن التقليد والتجديد لدى الزركشي وتبيان مواقفه وآرائه.

الدراسات السابقة :

يكاد المتأمل في الدراسات التي كتبت حول كتاب " البرهان في علوم القرآن " من الوجهة البلاغية يلاحظ ـ في حدود علمنا ـ شحا وقلة في هذا المجال ، باستثناء ما كتبه بعـض الباحثين والدارسين نذكر منهم : محمد حمدي بركات في مبحث الكناية عند الزركشي في كتابه :" فصول في البلاغة " حيث ألفيناه قد تطرق إلى زاوية من الزوايا البلاغية لـدى

الزركشي ، والمتمثلة في الكناية وأسبابها، كما أشار وبإيجاز إلى الغاية التي توخاها الزركشي من استخدام المصطلح البلاغي في كتابه البرهان ، والتي تبرز في تبيان الإعجاز القرآني والكشف عن جماليته وبيانه.

وبحث عبد الحميد أحمد محمد علي مباحث التشبيه عند الزركشي من خلال كتابه "مباحث التشبيه عند الإمام بدر الدين الزركشي ".

هذه المباحث وغيرها اقتصرت على دراسة بعض الجزئيات المتعلقة بهذا السفر النفيس ، ولم تتناوله بدراسة شاملة متخصصة تسفر عن القيمة البلاغية لهذا الكتاب "وتكشف عن قضايا التفكير البلاغي التي عرض إليها الزركشي .وأشرنا إلى هذه الدراسات القليلة والجزئية من باب الإقرار بجهود الآخرين ، والاعتراف بفضلهم.

المصادر والمراجع :

أما عن المصادر والمراجع التي أفاد منها البحث ، فكانت متنوعة تنوع قضايا البحث وتوزعت على الشاكلة الآتية:

1- كتب الطبقات والتراجم .

2- كتب علوم القرآن.

3- كتب النقد والبلاغة .

1- كتب الطبقات والتراجم :

استفاد منها البحث أيما استفادة في تراجم الأعلام وأخبارهم ومواقفهم نذكر منها :

- ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة.
- ابن خلكان ، وفيات الأعيان.
- ياقوت الحموي ، معجم الأدباء.
- ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب

2- كتب علوم القرآن

- الباقلاني ،إعجاز القرآن.
- عمر السلامي ،الإعجاز الفني في القرآن.

- محمد علي الصابوني ، التبيان في علوم القرآن.

3-كتب النقد والبلاغة

كان لها دور كبير في إماطة اللثام عن كثير من القضايا النقدية ، والبلاغية المهمة التـي تعرض إليها الزركشي في سفره البرهان في علـوم القـرآن (كالتـشبيه ، والمجـاز ، والاستعارة ،والكناية والتعريض)

وكذا الآراء النقدية التي أثيرت حول هذه القضايا ، نذكر منها:

- د.بدوي طبانة ، البيان العربي

- حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطـوره إلـى القـرن الـسادس الهجري.

- د. إدريس الناقوري ، المصطلح النقدي في نقد الشعر.

- حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء .

- يحي بن حمزة العلوي ،الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز.

- الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة.

هذه المراجع والمصادر كان لها أثر واضح في توجيه هـذا البحـث ، ورسـم معالمـه الأساسية ، والمضي قدما إلى الغاية المسطرة ، بالإضافة إلى مراجع أخرى أفـاد منهـا البحث ولم تكن أقل شأنا من تلك التي سبق ذكرها ، بل جميع المراجع والمصادر كانـت لها آثار طيبة على هذا البحث ، وكل منها أنار جانبا منه ، ووضع لبنة لبناء صرحه.

ولم أكتف بالمصادر والمراجع التي كانت عمدة لهذا البحث ، عن الاستنارة بأراء الأساتذة الأفاضل ، والاستزادة من توجيهاتهم القيمة ، استشارة ومراجعة.

أما فيما يتعلق بالصعوبات التي واجهت البحث ،فهي كثيرة ، ولعـل مـن أبـرز هـذه الصعوبات: - شح الدراسات المتخصصة حول الزركشي في المجال البلاغي.

-ومن الصعوبات أيضا ، حجم المدونة التي اشتغل عليها البحث لاتسعف علـى الإلمـام والإحاطة بكل شاردة وواردة ، لأنها مدونة تقع في أربعة مجلدات.

من الصعوبات أيضا ، تشعب وتنوع القضايا ، وتفرع فروعها ، بين اللغـة ، والنقـد والبلاغة ،وما إلى ذلك.

ولا يسعني في نهاية هذه المقدمة إلا أن أتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلـى كـل مـن ساعدني على إنجاز هذا البحث من قريب ، أو من بعيد خاصا بـذلك أسـتاذي المـوقر الأستاذ الدكتور "كمال عجالي " شكرا عجز منطقي عن الإبانة عنه ، أو تعديـد بواعثـه فقد غمرني بفضله ودماثة خلقه ، وأحاطني برعايته وعلمه وتوجيهه في حـب ونزاهـة وموضوعية يعز على طالبها في هذه الأيام ، حتى استقام البحث على سوقه ، وكادت كل فكرة طيبة فيه تنطق باسمه، وتلهج بالثناء عليه ، فله مني كل التقدير والعرفان وأرجـو من الله أن يجعل كل ذلك في ميزان حسناته ، ويجزيه خيـر مـا يجـزي بـه العلمـاء المخلصين العاملين .

والله يعلم أنني بذلت مافي وسعي ، ولم أدخر جهدا في هذا البحث ، فإن وفقت فمـن الله وفضله ، وإن تكن الأخرى فمن نفسي ، فحسبي أنني بذلت الجهد ، وحاولت الإخـلاص في العمل ، ويممت شطر وجهي نحو الصواب .

ولله الحمد أولا و آخرا ، وهو الهادي إلى سواء السبيل

تمهيد

البلاغة قبل الزركشي

- البلاغة قبل نزول القرآن
- أثر القرآن في البلاغة
- النقد والبلاغة .

من جهود العلماء في تطور النقد والبلاغة

- أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت209هـ)
- الجاحظ : (ت255هـ)
- المبرد (ت285هـ)
- ابن المعتز (ت296هـ)
- قدامة بن جعفر (ت337هـ)
- القاضي عبد العزيز الجرجاني (ت 366هـ)
- أبو الحسن الرماني (ت384هـ)
- أبو هلال العسكري (ت395هـ)
- عبد القاهر الجرجاني (ت 471 ، أو 474 هـ)
- الزمخشري (ت 538 هـ)
- السكاكي (ت626هـ)
- الخطيب القزويني (ت739 هـ)
- **خلاصة**

البلاغة قبل الزركشي

توطئة:

تشكل الدرس البلاغي من خلال تظافر تيارات ، ومذاهب ، ونظـرات كثيـرة ومتعددة ،ومتباينة ،أسهمت في تطويره ،وازدهاره ،وبلورت أسسه ومعالمه،وجعلت منـه درسا مستويا على سوقه ،مكتمل الحلقات ، والكلّ قد أضاف لمسة وقعت منه حسنا ولذلك يقول عبد الواحد حسن الشيخ :"...فقد نشأ البحث البلاغي في بيئات اختلفـت بـاختلاف نظرة كل بيئة والعلم الذي يسيطر عليهم ،لذا لونوا البلاغة بألوانهم المتعددة الأدبيـة ،أو العلمية ، أو اللغوية ،أو الفلسفية المنطقية الكلامية ، وغير ذلك من مشارب متفاوتة فـي البيئة الإسلامية الفنية الجديدة "[1]

ولذلك ألفينا البلاغة العربية استجابت لهذا التلوين ، والتزركش ، فتعددت مشاربها ، وتمايزت وجهات النظر والرؤوى في مباحثها وقضاياها.

ومن هنا سنتناول الدرس البلاغي في مسيرته من العصر الجاهلي إلى زمن الزركشي ، وسمة هذا التناول ستكون بإيجاز محاولين الوقوف عند أهم كبريات المحطات التي مربها الدرس البلاغي .

أولا : البلاغة والنقد قبل نزول القرآن:

عرف العرب في الجاهلية بفصاحتهم ، وقوة بيانهم ، وكان ذلك دأبهم وديدنهم وشهد لهم الداني والقاصي بالنبوغ في أفانين القول ، وضروب الكلام ، كما عرف العرب بتميزهم في قرض الشعر حتى صاروا مضرب الأمثال.

[1] ـ د. عبد الواحد حسن الشيخ ،دراسات في البلاغة عند ضياء الدين بن الأثير ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع الإسكندرية ، 1986م (د ط) ، ص6

والعرب أمة ديوانها الشعر ، وكان عنوان التفوق والتميز، حتى قال عمر بن الخطاب- رضي الله عنه-:" كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه"[1]

كما برز فيها خطباء مصاقع ، وقصاص لامعين ، كان لهم الأثر البين في شبه الجزيرة العربية.

وكانت الأسواق في الجاهلية مسرحا للشعر ، وموئلا للشعراء، ومن أشهر هذه الأسواق ،سوق عكاظ التي كانت حلبة للشعراء يأتون إليها في موسم الحج من كل حدب وصوب ، يلقون أشعارهم على نقاد كبار كان لهم دراية ومعرفة بالغين بكلام العرب ، ولغتهم ، وأساليبهم.

فالروايات والأخبار تروي أن زياد بن معاوية الملقب بالنابغة الذبياني كانت تضرب له قبة حمراء من آدم (جلد) في سوق عكاظ ، ويأتيه الشعراء ،فيعرضون عليه أشعارهم ، ويتحاكمون إليه ،فيجيد المجيد ، ويستهجن الردئى ، متكئا في كل ذلك على ذوقه وثقافته الواسعة .

وبعد ذلك فمن نوه به طارت شهرته تجوب الآفاق ، وسارت الركبان بشعره يقول شوقي ضيف ـ رحمه الله ـ " ففي أخبار النابغة الذبياني أن الشعراء الناشئين كانوا يحتكمون فيها إليه ، فمن نوه به طارت شهرته في الآفاق "[2]

وخلال تلك التحكيمات النقدية ـ إن جاز هذا التعبير ـ تلوح ملاحظات نقدية كثيرة ، منها ما يتعلق بالألفاظ ، ومنها ما يمس المعاني ، ومنها ما يتعرض إلى صوره البيانية ، وغيرها.

1 - عيسى علي العاكوب ، التفكير النقدي عند العرب ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ط 1 ، 1997 م ، ص56
2 - د – شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، دار المعارف ، ط6، د ت ، ص 11

ومن أشهر هذه التحكيمات النقدية ، حكومة النابغة على شعر الأعشى والخنساء وحسان بن ثابت ، والتي حكم فيها للأعشى والخنساء ، واستهجن قصيدة حسان وتروي الأخبار أن النابغة فضل الأعشى على حسان بن ثابت ، وفضل الخنساء على بنات جنسها.
وثار حسان عليه ، وقال له : أنا والله أشعر منك ومنها ، فقال له النابغة حيث تقول ماذا؟
قال :حيث أقول :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى * وأسيافنا يقطرن من نجدة دما
ولدنا بني العنقاء وابني محرق * فأكرم بنا خالا و أكرم بنا ابنما

فقال له النابغة : إنك لشاعر لولا أنك قللت عدد جفانك وفخرت بمن ولدت ،ولم تفخر بمن ولدك ، وفي رواية أخرى :
فقال له:" إنك قلت : الجفنات فقللت العدد ، و قلت يقطرن من نجدة دما ، فدللت على قلة القتل ، ولو قلت :يجرين لكان أكثر لانصباب الدم ، وفخرت بمن ولدت ، ولم تفخر بمن ولدك . فقام حسان منكسرا منقطعا "[1]

فالبلاغة العربية ـ على عهد الجاهليين ـ لم تكن تعتمد على الذوق فحسب ، وإنما اتكأت على الدربة والمران والمراس ، التجويد والتنقيح والتحكيك ، وتذكر كتب النقد والأخبار أن زهيرا كان ينقح ويحكك شعره حتى عرفت كبرى قصائده بالحوليات .
يقول ابن قتيبة :" كان زهير يسمي كبرى قصائده الحوليات "[2].
والحطيئة كان يقول : " خير الشعر الحولي المنقح المحكك"[3].

---

[1] - الأصبهاني أبو الفرج ،الأغاني ، ط ، دار الكتب ، بيروت ، لبنان ،(د ط) (د ت) ، ج9 ، ص 340
[2] - ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، تح ، محمد محمود شاكر ، ط3 ، القاهرة ، 1977 ، ص 84
[3] - المصدر نفسه ، ص ن

فالقائلون : إن البلاغة العربية في العصر الجاهلي كانت تعتمد على الذوق الفطري المحض ، وأنها كانت في أغلبها لا تحتكم إلى أحكام معللة ، وأنها اتصفت بالسذاجة ، فهذا الرأي لابد من إعادة النظر فيه ؛ لأن العرب في الجاهلية كانت تقلب الكلام على وجوهه ، وتختار الألفاظ ، وتنتقي العبارات ، وتنوع الأساليب ، " ومن ثم نستطيع أن نقول في اطمئنان :أن فصاحة العرب في الجاهلية لم تكن تعتمد على الموهبة والفطرة وحدها ، وإنما كانوا يعملون على صقلها بالممارسة والدربة والتنقيح والتهذيب حتى تصل إلى ماوصلت إليه ، وهذا يتفق مع طبيعة أي فن من الفنون "[1]

أما فيما يتعلق بتلك الأحكام النقدية التي كانت تصدر عن النقاد من خلال تلك التحكيمات وما اتسمت به من بساطة وإيجاز ، إلا أنها أسهمت في بناء صرح البلاغة والنقد العربيين.

يقول عبد القادر حسين :" والاصطلاحات البلاغية أول ما نشأت لم تكن واضحة المعالم دقيقة التعريفات ، وإنما كانت مجرد ملاحظات عابرة يدركها العرب بحكم ذوقهم وسليقتهم في التمييز بين الكلام البليغ ، وبين ما هو أقل درجة منه ، وبين ما هو عارض من سمة البلاغة "[2].

ومهما قيل عن تلك الأحكام النقدية التي أصدرها الشعراء والأدباء في محاكماتهم من حيث الوضع ، أو الاهتمام بالمعنى ، أو اللفظ ، أو الاتجاه إلى العروض فإنها تمثل الإرهاصات الأولى لنشأة البلاغة العربية ،وتعتبر حلقة هامة من حلقات تشكيل الصورة البلاغية في ذلك العصر .

وصدق محمد بركات حمدي حيث يقول :" فإن أمرا لا ينكر ، وهو أن هذه البدايات تشكل جزء من الصورة البلاغية التي تلتها مفردات أخرى على توالي العصور ، واختلاف الزمان والمكان "[3].

---

[1] - عبد القادر حسين ، أثر النحاة في البحث البلاغي ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ،(د ط) ، 1998م ، ص 13

[2] -.عبد القادر حسين ، المختصر في تاريخ البلاغة ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط2 ، 2000م ، ص8

[3] - محمد حمدي بركات ، البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل ، دار البشير للنشر والتوزيع ، عمان، الأردن ، (د ط) ، (د ت) ،ص 17

أثر القرآن في البلاغة والنقد :

نشأت البلاغة العربية في أحضان الدراسات القرآنية ، خاصة في حقل الإعجاز القرآني ؛ لأن البلاغة في حقيقة أمرها جاءت من أجل الكشف عن أسرار الإعجاز ووجوهه ، وإظهار مواطن الفصاحة في أفانين القول العربي منثورا ومنظوما.

والبلاغة العربية وجدت أولا وآخرا من أجل الدفاع عن العقيدة الإسلامية ،وذلك باللجوء إلى الاستدلال بالحجج المنطقية ،والأدلة الدامغة على صحة العقيدة ،يقول محمد بدري عبد الجليل:" فكانت البلاغة بذلك من عوامل الاستدلال على صحة العقيدة "[1].

والإسلام أحدث نقلة نوعية في شبه الجزيرة العربية ،إذ قفز بالعرب قفزة نوعية وتم ذلك على جميع الأصعدة والميادين ، حيث أخرجهم من الظلمات إلى النور ،وفك عنهم العزلة وجعلهم يحتكون بأمم وشعوب آخرين ، وانفتحوا على حضارات وعلوم أخرى ، فاتسعت زوايا الفكر والإبداع لديهم.

والإسلام جاء بمعجزة خاتمة تجلت في القرآن الكريم الذي أنزله الله عز وجل على نبيه سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والرسل ، فكانت معجزة دالة على صدق نبوته ، وصدق دعوته.

والقرآن الكريم أغنى اللغة العربية ، وأثرى معانيها ، فتطورت بذلك تطورا منقطع النظير والأمر" الذي لا ريب فيه أن الإسلام كان عاملا قويا في تطور اللغة عن طريق

[1] - عبد العزيز عتيق ،في تاريخ البلاغة العربية ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، (د ت) (د ط) ، ص 12

استخدام المجاز الذي وسع الفكر العربي ونوع مجالاته على أساس الصلة بين الألفاظ والمعاني "[1]

وكان لقضية الإعجاز القرآني أثرها الجليل في نشأة البلاغة العربية وازدهارها وذلك لكثرة التنقيب التي قام بها العلماء من أجل الوصول إلى وجوه الإعجاز في القرآن ، والكشف عن أسرار الجمال في آياته.

كما كان لأحاديث المصطفى -صلى الله عليه وسلم- دور كبير في إثراء البيان العربي ، وبلوغ البلاغة العربية إلى قمة الهرم ،لأن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم كانت ومازالت ينبوعا فياضا ، وبحرا لا ساحل له في مجال الجماليات البلاغية ، وما زخرت به من مجازات ، وأساليب بلاغية قمة في البيان والجمال ولا يخفى علينا أن الرسول صلى الله عليه وسلم اتخذ من الهدي النبوي الشريف وسيلة من وسائل نشر الدعوة الإسلامية ، وصراطا للإقناع البلاغي الذي خضعت له بلاغة العرب وسلمت له العرب.

ولا شك أن تلك المناقشات العميقة التي دارت حول قضية الإعجاز في القرآن ، كان لهاأثر فاعل وفعال في إبراز الكثير من القضايا النقدية والبلاغية واللغوية بل قل :إن جل التطورات التي حدثت في حقول المعرفة العربية يرجع ذلك إلى الإعجاز القرآني ،يقول ديفن ج سيتوارت :" ... إلا أنه من المعروف في العلوم الإسلامية أن أعظم التطورات في حقل النقد الأدبي ، والدراسات البلاغية قد تم إنجازها أثناء المناقشات الخاصة بإعجاز القرآن"[2].

ومن هنا يتضح جليا أن آثار القرآن في البلاغة العربية ظاهرة للعيان ، سواء أكان ذلك على مستوى النشأة ،أم التطور ، أم النضج ، فمعالم التأثير بارزة وعميقة ، ومن مظاهر هذا التأثير ما أشرنا إليه سلفا ، والمتمثل في أن العلماء ـ قديما وحديثا ـ

[1] - المرجع السابق ، ص 12
[2] - ديفن ج سيتوارت ، السجع في القرآن ،تر ، د.إبراهيم عوض مكتبة زهراء الشرق القاهرة ، 1998 ص 09

عكفوا على الدراسة في القرآن الكريم ، في محاولة للكشف عن أسرار إعجازه ، والغوص في أفانينه ، وسبر أغواره ، فقالوا : " إن أحق العلوم بالتعلم هو علم البلاغة ومعرفة الفصاحة ، والإنسان إذا أغفل علم البلاغة ،وأخل بمعرفة الفصاحة ، لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف ، وبراعة التركيب ، وما شحنه به من الإيجاز البديع "[1]

وتأييد لما سبق يقول عبد القادر حسين في سياق الإيضاح والتأكيد على مدى أثر القرآن الكريم في الدرس البلاغي : " وكان تأثير القرآن واضحا في اتخاذه مدارا للدراسات البلاغية ، واتخاذ آياته البينات شواهد على أبواب البلاغة وموضوعاتها ، واعتبارها مثالا يحتذى في جمال النظم ودقة التركيب "[2].

النقد والبلاغة

لا يختلف عاقلان على أن النقد والبلاغة تربطهما علاقة متينة ، لايمكن فصم عراها وعلة هذا الاتحاد ترجع إلى أن كليهما يسعى إلى تحقيق غاية واحدة ، وهي تقويم الأساليب في الأعمال الإبداعية وتقييمها.

ولعل العلاقة بين النقد والبلاغة برزت بصورة واضحة ، واشتد عودها وأزرها حين ظهر الاسلام ، وتربع الفكر الديني على الأنماط والأشكال التعبيرية ، فصار النقد يتكئ على الاستدلال والإقناع ، حيث راح ينطلق من المفاهيم الجمالية المؤسسة على أسس وقواعد علمية بعيدة على الانطباع ،أي صار النقد منهجيا.

فعالم البلاغة أصبح قادرا على التمييز بين الجيد والردئ ، الجميل والقبيح ، والحسن والسيئ ، وبين ما هو مطبوع ، وماهو مصنوع ، وبين المقلد والمبتدع وهذا الطرح وضع حدا مائزا يختلف اختلافا جذريا عن طريقة الجاهليين التي من أبرز سماتها الانطباعية والسليقة في إصدار الأحكام العامة بين شاعر وآخر .

[1] - أبو هلال العسكري ،الصناعتين الكتابة والشعر ، تح علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ،المكتبة العصرية صيدا ، بيروت ،ط1 ، 2006م ، ص7

[2] - عبد القادر حسين ، المختصر في تاريخ البلاغة ، ص8

والصلة بين النقد والبلاغة ظلت ردحا من الزمن على هذه المتانة والتآزر إلى أن أصيبت الأذواق بالفساد ، وبدأت عراها تنفصم عروة عروة، فدعا هؤلاء العلماء الـذين حكمـوا النقد إلى فصل البلاغة عن النقد ، واستندوا في ذلك إلى جملة من الآراء يمكن حوصلتها في النقاط الآتية:

1- البلاغة تختلف عن النقد ،ذلك أن البلاغة محورها الشكل ،والنقد محـوره الفكـر والعاطفة والأخيلة.

2- البلاغة توصف بأنها من العلوم التعليمية ،أما النقد فهو علم وصفي يعتمد علـى التمييز بين الأعمال الإبداعية من حيث الغث والسمين ، والجيد والردئ .

3- البلاغة أحكامها جاهزة ، بينما النقد أحكامه خاضعة للنص .

4- البلاغة نظرتها جزئية ،لأنها تهتم باللفظة ،أما النقد فموضوع واسع يصبو إلـى تكوين المبدع من جميع النواحي : ثقافيا، ونفسيا ، و فكريا ، وفنيا.

5- رجل البلاغة نظرته ضيقة وذاتية ، بينما رجل النقد نظرتة بعيدة عميقة ، وهـو على هامش كبير من الحرية كما أنه ينأى عن الذاتية المذمومة .

وعلى الرغم من هذه الفروق التي وضعها بعض الباحثين والدارسيين بين البلاغة والنقـد إلا أن مثل هذا العمل يعد ضربا من الحيف والجور في حقيهما .

فقد كان العلماء لا ينظرون في شعر أو نثر إلا باستخدام النقد والبلاغة كشئ واحد لـيس كشيئين منفصلين "[1].

وفي هذا السياق يقول محمد العمري : " إن التباس البلاغة بالنقد الأدبي التباس لا انفصام له . وليس هذا الأمر خاصا بالأدب القديم ، بل يمكن ملاحظته بسهولة من تتبع الألقـاب التي حملها مجموعة من أكابر النقاد المحدثين "[2]

[1] - المرجع السابق ، ص11

[2] - د. محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، أفريقيا الشرق ، بيروت ، لبنان (د ط) 1929 ، ص 42

من جهود العلماء في تطور الدرس البلاغي :

والبلاغة العربية ليست بدعا من العلوم والفنون ، فهي كغيرها ، تتنازعتها جهود علماء كثر ، وآراء وأفكار ووجهات نظر مختلفة ومتعددة ، فالتقت جهود اللغويين والنحويين ، بمعية آراء النقاد والأدباء ، ووجهات نظـر علمـاء الكـلام ،وإبـداعا ت الشعراء وما إلى ذلك .

فالبلاغة العربية لم تعرف منذ الوهلة الأولى بالنضج التي هي عليه ، ولا زالت تعرفه ، وتنشده إلى أن تقوم الساعة ، ولكن البلاغة قطعـت أشـواطا ومراحـل صعاب حتى استقامت على سوقها ، وأعطت ثمارها .

وفي هذه الصفحات القلائل ، سنذكر جهود بعض من العلماء الذين كانت لهم اليد الطولى في تطور الدرس البلاغي ، والأيادي البيض في إثرائه وإخصابه . ومن هؤلاء :

1- أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت209هـ):

تذكر كتب النقد والبلاغة أن أبا عبيدة معمر بن المثنى ألف كتابا سماه : (مجاز القرآن) توضيحا لمن سأله أن القرآن خاطب العرب بما لم تعهده ولم تره ، فانبرى إلى إيـضاح هذه الأمور ، وذلك من خلال التعرض إلى ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه بالشرح والتفسير. والمجاز عنده يعني الشرح والإيضاح والتفسير ، وليس ما نفهمه اليوم عند علماءالبلاغة بأن المجاز قسيم الحقيقة .

وطريقته في الشرح والتفسير تجلت في أن أبا عبيدة كان يعرض مافي السورة من ألفاظ ، فيشرحها شرحا لغويا ، ويفسر ما ورد فيها من غريب مشفعا ما يذهب إليه بشواهد مـن الشعر الفصيح وعلى الرغم من أن أبا عبيدة لم يقصد إلى المجاز الذي يقابل الحقيقة ،إلا أن المتأمل لكتابه يقع على بعض ألوان البيان : كالتشبيه والاستعارة ، والكناية ، وبعض أبواب البديع : كالإيجاز ، والإطناب ، والالتفات وغيرها.

2- الجاحظ : (ت255هـ) :

ومنهم من يرى أن نقطة الارتكاز والانطلاق في التأريخ للبلاغة العربية تأريخا صحيحا تبدأ من الجاحظ ؛ لأنه يمثل مرحلة هامة وحساسة في تاريخ البلاغة العربية ، كما أن مؤلفاته وآثاره تعتبر من المصنفات الأولى في هذا الباب ، كما أن آراءه ونظراته تمثل أصولا لهذا العلم ، تلقفها من جاء بعده من العلماء ، وأسسوا نظراتهم ، ووجهات نظرهم انطلاقا من الأسس والدعائم التي وضعها الجاحظ .

ومن هنا لانعجب إذ يقول حمادي صمود :أن " الجاحظ في اعتقادنا وضع الأسس الكبرى للتفكير البلاغي "[1]

وعد الدارسون كتاب البيان والتبيين للجاحظ من أهم الكتب التي أرست أسس البلاغة ، وأبانت على دور علماء الكلام في البلاغة العربية ، وفي هذا يقول حمادي صمود :" ولقد عدت مؤلفات الجاحظ ، خاصة البيان والتبيين أهم وثيقة عن دور المتكلمين في إرساء أسس البلاغة وضبط مقاييسها "[2]

وشهد على عظمة الجاحظ في المجال البلاغي شوقي ضيف - رحمه الله - حيث يقول : " لا تكاد تتقدم بعد الربع الأول من القرن الثالث الهجري حتى يتجرد معتزلي كبير ، وهو الجاحظ لدرس شؤون البيان والبلاغة ، فيؤلف كتابه * البيان والتبيين * في أربعة مجلدات كبار ، جامعا فيه ملاحظات العرب البيانية ، وبعض ملاحظات الأجانب ، وسجل كثيرا من ملاحظات معاصريه ، وبخاصة المعتزلة "[3]

ولم تقتصر آراء الجاحظ البلاغية على كتابه *البيان والتبيين* بل نجدها مبثوثة في كتابه * الحيوان * ، فضلا عن كتابيه المفقودين ، وهما * نظم القرآن * و * آي القرآن *.

---

[1] - حمادي صمود، التفكير البلاغي أسسه وتطوره إلى القرن السادس ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، تونس ، (د ط) ، (د ت) ، ص13

[2] - المرجع نفسه ،ص 15

[3] -د. شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، ط: دار المعارف ، القاهرة ، ط2 /(د ت) ، ص 46

أسهم الجاحظ إسهاما بينا في تطوير الدرس البلاغي ، وخطابه خطوة نوعية لم يسبق إليها من خلال ملاحظاته البلاغية حيث تكلم عن التشبيه ،والاستعارة ، والكناية وغيرها والإكثار من الشواهد والنماذج ، وكذا تقسيمه اللفظ إلى حقيقة ومجاز ، وهذا الأمر يضع أيدينا على الحقيقة التي لاجدال فيها ، وهي أن تقسيم اللفظ إلى حقيقة ومجاز ليس تقسيما حادثا ، وإنما قديم قدم البلاغة العربية ، وهذا ينفي ما زعمه ابن تيمية حين ذهب إلى أن تقسيم اللفظ إلى حقيقة ومجاز تقسيم حادث بعد القرون الثلاثة الأولى للهجرة .

ولا أحسبني مبالغا إذا قلت : إن الجاحظ هو الأب الروحي ، والمؤسس الحقيقي لعلم البلاغة ، ومن جاء بعده استفاد من أفكاره وآرائه الكثيرة ، والتي لايمكن لأي دارس الاستغناء عنها.

والبلاغة عند الجاحظ تجمع بين الجوانب النظرية والتطبيقية ، خاصة في حديثه عن ألوان البيان ؛ من مجاز واستعارة ، وتشبيه ، وكناية ، وغيرها.

والجاحظ يقف أمام القضايا البلاغية موقف الأديب المحلل ، صاحب الذوق الرفيع بعيدا عن كثرة الاعتناء بالمصطلحات ، فكان يحلل النصوص ، ويبين ما فيها من جمال فني بلاغي .

فجاءت آراؤه قمة في التأصيل والتأسيس من جهة ، والذوق والإبداع ، والابتكار من جهة أخرى .

ومن ثمة حق له أن يلقب بشيخ البيان العربي ومؤسسه ، ولهذا يقول سيد نوفل : " يعد الجاحظ في رأي مؤسس علم البلاغة العربية ، ذلك بأنه قد جمع ما يتصل به من كلام سابقيه ، ومعاصريه ، وشرحه ، وأضاف إليه "[1]

ومن باب النصفة يجب الإقرر بأن الجاحظ مؤسس علم البلاغة دون منازع وهو إمام البيان العربي ، وفي هذا السياق يقول طه حسين بـ : " أن العرب لم يخطئوا حين عدوا الجاحظ مؤسس البيان العربي "[2]

[1] - سيد نوفل ، البلاغة العربية في دور نشأتها ،ط ، الهيئة العامة المصرية ، (د ط) (د ت) ، ص 170

[2] - قدامة بن جعفر ، نقد النثر ، تقديم طه حسين ، عبد الحميد العبادي ،ط ، دار الكتب المصرية ، (دت) ، (د ط) ، ص 7

3- المبرد (ت285هـ):

المبرد من العلماء الأوائل الذين أطلقوا مصطلح البلاغة على مصنفاتهم فالمبرد له رسالة بعنوان :* البلاغة * وهي رسالة موجزة رد فيها عن رسالة بعثها إليه أحمد بن الواثق يسأله فيها عن أي البلاغتين أبلغ ، بلاغة المنظوم ،أم بلاغة المنثور ؟. فأجابه المبرد بقوله : " إن حق البلاغة إحاطة القول بالمعنى واختيار الكلام ، وحسن النظم حتى تكون الكلمة مقاربة أختها ومعاضدة شكلها ، وأن يقرب بها البعيد وتحذف منها الفضول " "[1]

ولكن آراء المبرد البلاغية برزت في كتابه * الكامل في اللغة والأدب * الذي اعتبره العلماء أصلا من أصول الأدب وأركانه ، وصورة جلية للثقافة العربية الصرفة في عصر المؤلف بكل ما يتصل بها من نظم ، ونثر ، وأخبار ، ولغة ، ونحو وصرف ، وأقوال مأثورة ، وحكم ... وما إلى ذلك .

ويشير المبرد في مقدمة كتابه إلى محتواه ،فيقول : " هذا كتاب ألفناه يجمع ضروبا من الآداب ما بين كلام منثور ، وشعر مرصوف ، ومثل سائرة ، وموعظة بالغة واختيار من خطبة شريفة ، ورسالة بليغة "[2]

ويكفي * الكامل * سموقا وعلوا أن ابن خلدون اعتبره واحدا من أربعة كتب كبار لاغنى لطالب المعرفة والثقافة عن قراءتها ، إذ يقول : " وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن أربعة دواوين ، وهي أدب الكاتب لابن قتيبة ، وكتاب الكامل للمبرد ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب الآمالي لأبي علي القالي ، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها "[3]

---

[1] - المبرد ، البلاغة ، تح ، رمضان عبد التواب ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط2، 1985م ، ص 81

[2] -- المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ، تح ، عبد الحميد هنداوي ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1999م ، مج1 ،ص32

[3] - ابن خلدون ، المقدمة ، ص460

وتكمن قيمة الكتاب من الوجهة البلاغية ، فيما تناوله المبرد في باب التشبيه الذي عد فيه مؤسسا ومؤصلا ، ذلك لأن المبرد استخدام الاستقراء في استنباط التشبيه ، ولـم يعتمـد على من سبقه .واعتمد على الجانب التطبيقي أكثر من اعتماده على الجانب النظري

وأشار إلى أن التشبيه كثير الجريان عند العرب في تعابيرها وتأليفها ، وتـشقيقها الكلام في مختلف فنون القول ، حتى قال المبرد :" والتشبيه جار كثير في الكلام - أغنى كلام العرب - حتى لو قال قائل : هو أكثر كلامهم لم يبعد "[1] .

وذكر أنواع التشبيه ، وقسمها إلى أربعة أضرب ، تشبيه مفـرط ، وتـشبيه مـصيب ، وتشبيه مقارب ،وتشبيه بعيد ، يقول المبرد : " والعرب تشبه على أربعة أضرب : فتشبيه مفرط ، وتشبيه مصيب ، وتشبيه مقارب ، وتشبيه بعيد يحتاج إلى التفـسير، ولا يقـوم بنفسه ، وهو أحسن الكلام"[2]

كما ميز حد التشبيه ، ورأى أن جودة التشبيه ، والبراعة فيه ترجع إلى المعنى ، ولـيس الى أركانه ؛ فيقول : " اعلم أن للتشبيه حدا ، لأن الأشياء تشابه من وجوه ، فإنما ينظـر إلى التشبيه من أين وقع"[3]

وعالج الاستعارة بأنواعها ، لكن الجديد عنده الاستعارة بالحرف ، وعـد أول من تنبه إلى هذا النوع من الاستعارة.

وتناول الكناية ، وحدد أغراضها وأقسامها ، وجعل الكناية ثلاثة أضرب :

أ- التعمية والتغطية ، والمقصود بهـا الغمـوض والإبهـام ، وعـدم الوضـوح والإفصاح.

ب- التفخيم والتعظيم ، ومنه اشتقت الكناية.

ج - الرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش إلى ما يدل على معناه من غيره.

---

[1] - المبرد الكامل ، مج 2 ، ص 424

[2] - المصدر نفسه ، ص 357

[3] - المصدر نفسه ، ص ن

وتناول أيضا مسألة التعقيد اللفظي والمعنوي.

كما فتح بابا جديدا للبلاغيين في علم المعاني والمتمثل في أضرب الخبر وتجلى ذلك فيما روي عن ابن الأنباري أنه قال : " ركب الكندي المتفلسف إلى أبي العباس وقال له : إني لأجد في كلام العرب حشوا فقال له أبو العباس : في أي موضع وجدت ذلك ؟ فقال :أجد العرب يقولون : (عبد الله قائم) ثم يقولون : (إن عبد الله قائم) ، ثم يقولون :(إن عبد الله لقائم) فالألفاظ متكررة والمعنى واحد .

فقال أبو العباس : بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ فقولهم :(عبد الله قائم) (إخبار عن قيامه ، وقولهم :(إن عبد الله قائم) جواب عن سؤال سائل ، وقولهم :(إن عبد الله لقائم) ،جواب عن إنكار منكر قيامه ، فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني : فما أحار المتفلسف جوابا "[1]

4- ابن المعتز (ت296هـ):

تكاد آراء الباحثين والدارسين تتفق على أن كتاب البديع لابن المعتز يعد من أهم الكتب في الدرس البلاغي ، بله من الكتب الأولى المتخصصة في البلاغة العربية بعيدا عن التمازج مع علوم أخرى ، ولهذا الكتاب أهمية بالغة في التأسيس للبلاغة العربية ، " لأنه أول مظهر من مظاهر استقلال التأليف البلاغي ، ربط فيه صاحبه دراسة وجوه البلاغة بجملة من الضوابط سيكون لها بدورها أثر عميق في النقاد والبلاغيين المتأخرين "[2]

ونبه بدوي طبانة إلى أهمية كتاب البديع لابن المعتز ، وبين أن هذا الكتاب من الكتب التي تفرغت للبلاغة العربية وأخلصت لها ؛ فهو كتاب متخصص في الدرس البلاغي ، ولذلك يقول بدوي طبانة :" ولم يخلص كتاب للبلاغة قبل هذا الكتاب الذي ألفه الخليفة العالم الشاعر عبد الله بن المعتز ، وهو كتاب البديع "[3]

---

[1] - عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ،تح ، عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2001م، ص 206

[2] - حمادي صمود : التفكير البلاغي ، ص13

[3] - د. بدوي طبانة ، البيان العربي دراسة في تطور الفكر البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى ، مكتبة الأنجلوالمصرية ، القاهرة ، ط6 ، 1976م ،ص129

فابن المعتز في كتابه * البديع * حاول أن يتناول البلاغة العربية بمعزل عـن أمـشاج العلوم الأخرى ، فجاء كتابا متخصصا في هذا المجال،" فهو في حدود مـا وصـلنا أول تأليف مخصص لجميع الأساليب البلاغية بكيفية لم تسبق ، إذ وردت مستقلة عن العلـوم الأخرى مقصودة في ذاتها وهذه خطوة هامة في طريق نشأة هذا الاختصاص "[1]

ويبرز جهد وفضل ابن المعتز في كتابه البديع في أنه أول مـن جمـع فنـون البلاغة ، وبينها واستدل عليها بشواهد متنوعة من الذكر الحكيم ، ومن الأشعار ، والحكم والأمثال ، وأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ولذلك ألفيناه يقول : " وما جمـع فنون البديع ولا سبقني إليه أحد وألفته سنة أربع وسبعين ومائتين "[2]

وكتاب البديع جمع فيه ابن المعتز من الفنون البلاغية خمسة .

وهي :(الاستعارة ، والتجنيس ، والمطابقة ؛ ورد الأعجاز على ما تقدمها ، والمـذهب الكلامي) ، مضيفا إليها ثلاثة عشر فنا اصطلح عليها بمحاسن الكلام تاركا لمـن يـأتي بعده للزيادة والاضافة . كما حاول ابن المعتز في كتابه البديع أن يربط البلاغة بالـدرس النقدي ، جاعلا من العناصر البلاغية معايير للنقد الأدبي ، ولايمكن للبلاغة أن تنفـصل عن الأصول النقدية والعكس صحيح أيضا ؛ ولذلك يمكن القول : أن ابن المعتز أوضـح النظرة الصحيحة السليمة للبلاغة ، محاولا ترسيخها. وتتلخص هذه النظرة في أنها :" تلك التي تنظر إلى العناصر البلاغية على أنها مقاييس صالحة يقيس بها الأسلوب الأدبي" [3]

صفوة القول :

إن المتأمل في كتاب البديع لابن المعتز يستشف الذوق الرفيع الذي امتاز به في تناول موضوعات البلاغة ، وكيفية تعامله مع المصطلحات ، كما بـرز الإحـساس المرهف الذي تميز به ابن المعتز ، ودل ذلك على الروح الأدبية ، والتذوق الجميـل . ومن ثم ، فالقارئ للكتاب لايلمس فيه :" منطق العلماء ،أو أصحاب البلاغة المتأخرين ،

[1] - حمادي صمود ، التفكير البلاغي ، ص 389

[2] - ابن المعتز ، كتاب البديع تح ، إغناطيوس كراتشقوفسكي ،دار المسيرة ، بيروت لبنان /ط3 ، 1982م ،ص 58

[3] - مازن المبارك ، الموجز في تاريخ البلاغة ، دار الفكر ، دمشق ، ط6 ،2006م ،ص73

وإنما هو إحساس الأديب ، وذوق الشاعر ، ومازال تجري علومها بأغلب مصطلحات ابن المعتز إلى يوم الناس هذا "[1]

وعليه ؛ فقد اعتبر الدارسون كتاب البديع نقطة انعراج خطير في مسار الدراسات البلاغية والنقدية ، وسمة بارزة في مجال النظرية الأدبية عند العرب .

ومنزلته في تاريخ البلاغة شبيهة بمنزلة كتاب * سيبوية * في تاريخ البحوث اللغوية والنحوية .

فهو بإجماع الباحثين والدارسين أول كتاب جعل من البلاغة غاية تأليفه ، ومحاولة فريدة لإرساء أصول البلاغة على أسس عربية صرفة .

5- قدامة بن جعفر (ت337هـ):

يغلب على التفكير البلاغي عند قدامة بن جعفر الجانب الفلسفي المنطقي ، وذلك لتأثره بالفكر اليوناني وبرز هذا التأثير في طريقة معالجته للقضايا البلاغية التي تعرض لها ، وفي طريقة تبويبها وترتيبها .

وقد تطرق قدامة في كتابه النفيس الموسوم بـ * نقد الشعر * إلى الأبواب الثلاثة لعلم البلاغة ، حيث تطرق في باب * البيان * إلى : التشبيه فأفاض في أقسامه

وصوره ، الاستعارة والتمثيل ،والإرداف ، وعرف كل ذلك مع ضرب الشواهد ، وإقامة الدليل والبرهان .

وتتناول في باب علم المعاني: الإيجاز ، والتتميم ،والإيغال ،والمساواة ، والإشارة ، وغيرها.

[1] - د. حلمي مرزوق ، النقد والدراسة الأدبية ، مكتبة نهضة القاهرة ، (د ط) ، 1959 م ، ص27

وتعرض ـ أيضا ـ إلى فنون البديع [1].

ترك قدامة بن جعفر آثارا راسخة ، وبصمات نافذة في الـدرس البلاغـي ، حتى عده الدارسون والباحثون من العلماء الأوائل الذين أسهموا إسهاما منقطع النظير في اختراع البديع .

وقيل عنه بأنه الناقد البصير في علم البلاغة ، والخبير في معرفـة معانيهـا، وسبر أغوارها وبواطنها.

وتجلت عبقريته في كتابه الذي عده الدارسون من الكتب القلائـل فـي النقـد والبلاغة مضمونا وأسلوبا ، وسدادا وتأثيرا.

يقول شوقي ضيف ـ رحمه الله ـ " ومما لا ريب فيه أن قدامة وفق في هـذا الكتـاب توفيقا منقطع النظير ، وهو توفيق جعل من يكتبون في البديع بعده يلهجون باسمه وفـي مقدمتهم أبو هلال العسكري صاحب الصناعتين ، وكذلك من كتبوا في عيـوب الـشعر ووجوه رداءته وفي مقدمتهم المرزباني في كتابه الموشح "[2]

6- القاضي عبد العزيز الجرجاني (ت 366هـ):

طارت شهرة القاضي الجرجاني في سماء الإبداع ، وتـسنم قمـم الدراسـات النقديـة والبلاغية من خلال كتابه الموسوم بـ * الوساطة بين المتنبي وخـصومه* وأراد مـن خلال هذا الكتاب أن يقيم المنهج الوسط في نقود المتنبي وشعره ، منتهجا في ذلك منهج المقايسة ؛ أي يعمد إلى قياس الظواهر الشعرية التي عابها خصوم المتنبي واستحـسنوها في شعر غيره ، مقيما الحجة والبرهان .

[1] ـ ينظر ، قدامه بن جعفر ، نقد الشعر ، شرح محمد عيسى فنون ، المطبعة الميليجية القاهرة ، (د ط) ، 1936م ، ص 363 وما بعدها
[2] ـ شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، ص 92

والكتاب في حقيقة أمره ؛ كتاب نقد أكثر منه كتاب بلاغة ،إلا أن الجرجاني ركـز فيـه على باب الاستعارة ، فتوسع فيه ، وحاول التفريق بينها وبين التشبيه البليغ[1]

وفي معرض حديثه عن الاستعارة قال : " وإنما الاستعارة ما اكتفى فيهـا بالاسم المستعار عن الأصل ، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها. ملاكهـا تقريـب الشبه ، ومناسبة المستعار له للمستعار منه ، وامتزاج اللفظ بالمعنى ؛ حتى لايوجد بينهما ولا يتبين في إحدهما إعراض عن الآخر"[2]

إلى جانب ذلك عد الجرجاني الاستعارة عمودا من أعمدة الكلام التي تضفي عليه مسحة من الجمال ، حيث يقول : " فأما الاستعارة فهي أحد أعمدة الكلام ، وعليها المعول في التوسع والتصرف ، وبها يتوصل إلى تزيين اللفظ وتحسين النظم والنثر "[3]

وقسم الاستعارة إلى حسنه وقبيحه ، ويرى أن محك حسنها ،أو قبحها يتجلى فـي مـدى قبول النفس لها ، أو النفور منها .

وأشار إلى البديع في معرض حديثه عن جودة الـشعر والتفاضـل بـين الشعراء فيما عرف بعد بعمود الشعر حيث يقول : " وكانت العرب تفاضل بين الـشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، وتسلم السبق فيه لمن وصف فأصاب ، وشبه فقارب ، وبده فأغزر ، ولمن كثرت سوائر أمثاله وشـوارد أبياته ؛ ولم تكن تعبأ بالتجنيس ، والمطابقة ، ولا تحفل بالإبداع والاستعارة إذا حصل لها عمود الشعر ،ونظام القريض "[4]

---

[1] - ينظر ، عبد العزيز الجرجاني ، الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تح ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمد البجاوي ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ، (د ط) (د ت) ، ص 41

[2] - المصدر نفسه ، ص ن

[3] - المصدر نفسه ، ص 428

[4] - المصدر نفسه ، ص33،34

وتناول إلى جانب ذلك ؛ التجنيس ، والمطابقة ، والتقسيم وغيرها ، مشفعا كل هذه الموضوعات بأدلة وبراهين من عيون الشعر العربي [1]

فصاحب الوساطة - ولامراء في ذلك - قد أثر في الدرس البلاغي من الناحيتين : النظرية والتطبيقية ؛ لأنه رصد كثيرا من القضايا البلاغية ، وأشار إلى جم من الملحوظات القيمة استفادت منها البلاغة العربية والنقد على حد سواء أيما استفادة.

7- أبو الحسن الرماني (ت384هـ):

ألف الرماني رسالة موجزة تناول من خلالها قضية الإعجاز القرآني والإشارة إلى أهم وجوهه الإعجازية .

هذه الرسالة الموسومة بـ * النكت في إعجاز القرآن * بين فيها الرماني وجوه الإعجاز السبعة ، وقال : " أن وجوه الإعجاز تظهر من سبع جهات : ترك المعارضة مع توافر الدواعي وشدة الحاجة ، والتحدي للكافة ، والصرفة ، والبلاغة والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية ، ونقض العادة ،وقياسه بكل معجز"[2]

أما حديثه عن البلاغة فتمثل في أنه يحصر البلاغة في عشرة أقسام ، أو أبواب هي: (الإيجاز ، والتشبيه ،الاستعارة، والتلاؤم ، والفواصل، والتجانس ،والتصريف ، والتضمين، والمبالغة ، وحسن البيان)[3]

وتعرض لكل هذه الأبواب بالشرح والاستدلال والتمثيل ، متوخيا من كل ذلك مسألة الإعجاز في القرآن ،بحثا عن أسرار إعجازه ، وقوة أسلوبه ، وشدة وقعه على النفوس ، وجماليات نظمه ، وروائع بيانه .

[1] - ينظر ، المصدر السابق ، ص 41،46

[2] - أبو الحسن الرماني ، النكت في إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تح ، د. محمد خلف الله أحمد ،د. محمد زغلول سلام ، دار المعارف مصر ،ط3 1976م ،ص 16

[3] - المصدر نفسه ، ص 16

وما البلاغة عند الرماني إلا مطية لتحقيق الغايات المشار إليها سلفا ، يحـدوه في كل ذلك ذوق رفيع ، وحس مرهف ، ودراية باللغة وأساليبها ، ومعرفة بكلام العرب وخصائصه . فجاءت الدراسة عنده مزيجا بين الإعجاز واللغة والبلاغة.

8- أبو هلال العسكري (ت395هـ):

العسكري من علماء البلاغة القلائل المشهود لهم بالتفوق في هذا المجال ، لما لـه مـن نظرات ثاقبة ، ورؤى ناضجة ، لذلك نراه يعتبر البلاغة من أحق وأخص العلوم بـالتعلم حيث يقول : " إن أحق العلوم بالتعلم هو علم البلاغة ومعرفة الفـصاحة ، والإنـسان إذا أغفل علم البلاغة وأخل بمعرفة الفصاحة ،لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف ، وبراعة التركيب ، وما شحنه به من الإيجاز البديع"[1]

وله مصنف مشهور في هذا الباب ، سماه بالصناعتين الكتابة والشعر ، ضمنه عشرة أبواب تحتوي على ثلاثة وخمسين فصلا تباينت موضوعاتها ، وتنوعت قضاياها. تكلم فيها عن البلاغة ومفاهيمها ، وتناول الفنون البلاغية ، نحو: التشبيه ،الاسـتعارة ، والكناية ، والمجاز، والحقيقة ، وغيرها من تلك الفنون .

كما تحدث عن فنون البديع من مثل : الطباق ، والمقابلة، والجناس ، وغيرها حتى أربت عن خمسة وثلاثين نوعا ؛ وهو في كل ذلك يقر بجهود من سبقه من العلماء . واعتمد العسكري في معالجته للقضايا البلاغية على أسس من أهمها:

أ- الذوق الأدبي والتحليل الدقيق .

ب- الإكثارمن الشواهد ، والعمل على تذوقها .

ت- الإلمام بالقضايا البلاغية .

---

[1] -أبو هلال العسكري ، الصناعتين الكتابة والشعر ، تح ، علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ،صيدا ،بيروت ،ط1 2006م ،ص 07

وغاية العسكري من البلاغة ومصطلحاتها ربطها بقضية الإعجاز القرآني ، والكشف عن وجوهه ، ومكامن الجمال فيه.

9- عبد القاهر الجرجاني (ت 471أو 474 هـ) :

برزت عبقرية الجرجاني في الدرس البلاغي من خلال كتابيه * دلائل الإعجاز * وأسرار البلاغة . وطارت شهرته تجوب الآفاق من خلال اكتمال حلقات نظرية النظم عنده . والتي جعلها الوجه الأساس في قضية الإعجاز القرآني ، والعمود الفقري في حقل البلاغة العربية .

أما كتابه* دلائل الاعجاز * فقد تناول فيه علم المعاني ،أو ما يعرف *بنظرية الأسلوب * وأبرز ما عالجه في هذا الكتاب *نظرية النظم * التي ترتكز عليها موضوعات البلاغة العربية ، فبين الجرجاني علاقة النظم بالبلاغة ،سواء علاقته بالنحو ، أو الأساليب الخبرية والإنشائية ، أو التقديم والتأخير ،أو الحذف ،أو الجناس ، والتسجيع ، أو التشبيه أو الاستعارة ،أو المجاز والحقيقة ،أو الكناية والتعريض ... وماإلى ذلك . وامتاز تناوله لهذه القضية (النظم) وعلائقها بالموضوعات المشار إليها سلفا بالتحليل الدقيق ، والاستنباط الصحيح ، والحكم السليم ،والاستدلال والتمثيل الحي . فجاءت آراؤه قوانين ونظريات في منتهى النضج والرسوخ .

أما كتابه *أسرار البلاغة * فقد تناول فيه أصول علم البيان ؛ من حقيقة ومجاز ، واستعارة ، وتشبيه .

وعالج كل هذه القضايا بدقة متناهية ، وتحليل عميق ، وإقناع سديد ، مكثرا من الشواهد والأدلة .

وعد الجرجاني في كتابه *أسرار البلاغة * مؤسسا لعلم البيان.

والخلاصة :

إن عمل الجرجاني في البلاغة العربية واضح المعالم ، وجم الفوائد ، كثير الجنى والثمار ، بدليل أن أغلب الباحثين والدارسين بعده اعتمدوا عليه في دراساتهم وبحوثهم

البلاغية والإعجازية ، وعلى رأس هؤلاء :الزمخشري صاحب الكـشاف ، القزوينـي صاحب التلخيص ، والإيضاح ، وغيرهم كثر قديما وحديثا.
إضافة إلى ذلك ،أنه كلما ذكر النظم ،إلا وذكر الجرجاني وسفره دلائل الإعجاز الذي يعد تأسيسا لنظرية (علم المعاني) .

10- الزمخشري (ت 538 هـ):

لم يؤلف الزمخشري كتابا مستقلا في علوم البلاغة العربية كما فعل سـابقوه من العلماء ، ولكن جاءت نظراته وآراؤه البلاغية مبثوثة بين دفتي تفسيره الكشاف الذي بناه على منهج يقوم على علمي المعاني والبيان .

ويرى الزمخشري أن الاهتمام بالبلاغة وعلومها ، والتعمق في معرفتها يكشف عن وجوه الإعجاز البلاغي في القرآن ، ويجلي غوامضه وخفايـا معانيـه وأسـراره . ولاشك أن المتأمل المدقق في تفسيره الكشاف ، والناظر إلى تلك الآراء البلاغيـة التـي ينضح بها ،أن الزمخشري متأثر أيما تأثر بطريقة عبد القاهر الجرجاني ومنهجـه فـي كتابيه * دلائل الإعجاز ، وأسرار البلاغة * ، حتى قيل :إن الزمخشري كان مطبقا أمينا لنظريات عبد القاهر الجرجاني ، ومكملا لعمله في مباحث البلاغة العربية ، ولذلك يقول عيسى علي العاكوب : " ويعد الكشاف خير مصدر لدراسة أسرار العربية وأساليبها فـي الحقيقة والمجاز والاستعارة والتشبيه ، بل يعد كشفافي الدرس البلاغي التطبيقي"[1]
والزمخشري تميز بعبقرية فذة في تذوق الكلام ومعرفة وجوهه الجمالية ، كمـا عـرف بتملكه لناصية اللغة ، وإدراك خفاياها وأسرارها .
من ثمة يمكن القول : لو لم يكن للزمخشري في كشافه إلا التطبيق على آراء الجرجاني والاستدلال عليها بالشواهد والأمثلة لكفاه ذلك إسهاما في تطوير علمي المعاني والبيـان ، ناهيك عن أن الرجل وصل التطبيق بكثير من أفكاره وآرائه التي دلت على تعمقه وفطنته

[1] - . عيسى علي العاكوب ، أ.علي سعد الشتيوي ، الكافي في علوم البلاغة العربية (المعاني ،البيان ، البديع) ،الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية ، (د ط) ، 1993م ،ص19

في تطوير الدلالات البلاغية ، والإلمام بخواص العبارات والأساليب . وكشافه خير شاهد على ما نقول .

11- السكاكي (ت626هـ) :

لاشك وأن البلاغة العربية في طورها الأول كانت طفلة تحبو، ومع مـرور الأعـصر والأحقاب نمت وتطورت ، ونضجت . ولابد بعد بلوغها أوج التطور والازدهار أن تقعد وتبوب ؛ لأن أي علم من العلوم ،أو فن من الفنون يمر بمرحلة النشؤ ، ثم يتدرج شـيئا فشيئا حتى يصل إلى مرحلة الاكتمال والنضج ، والبلاغة العربية ليست بدعا في العلوم ، فهي كغيرها سارت على هذا النهج وسايرت نواميس الكون ، ولما بلغـت الأوج ، كـان لزاما على الباحثين والدارسين من أن يضعوا القواعد والنظريات لها ، وهذا أمر طبيعي لأن العلم لا يصان إلا إذا وجدت قواعده وأسسه ، وإلا ضاع وداخله الكثير مـن الخلـل والزلل ، ولذلك يقول فضل حسن عباس ، وهو في معرض حديثه عن جهود الـسكاكي تجاه البلاغة العربية : " أن البلاغة كانت بحاجة إلى من يحدد مصطلحاتها تحديدا تاما

ومن يفصل مسائلها ، وتفصيل بعضها عن بعض ، وتلك حسنة لا ينبغي أن تغفل ، ولكن الكثرين ـ سامحهم الله ـ لايذكرون إلا السلبيات "[1]

ومن هنا يمكن القول : أن السكاكي ـ رحمه الله ـ كان له فضل كبير ، وجهد مشكور ، وعمل مقدور ، حين قعد للبلاغة العربية وجمعها من شتات ، ويكفيـه علـو كعب ما قام به ، إلا أن الذين وصموه بأنه كان السبب في جمـود البلاغـة وتعقيـدها ، وقتلها قبل آوانها ، فإن مثل هذا الرأي يحتاج إلى إعادة نظر ومناقشة بناءة ترتكز علـى أسس صحيحة ؛ لأن في ذلك ظلم كبير لهذا العالم .

[1] - د. فضل حسن عباس ،البلاغة المفترى عليها بين الأصالة والتبعية ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، عمان الردن ، ط2 ،1999م ، ص 145

والذين قالوا : إن البلاغة العربية جمدت وانتهت بمجئ السكاكي ، هذا رأي ـ أيـضا ـ يحتاج إلى مناقشة عميقة .

تعقيبات :

أولا : السكاكي ما جمدت البلاغة العربية على يديه،أو من بعده ، بل على العكـس تماما فالرجل أعطى البلاغة العربية ملمحها النهائي ، وألبسها ثوبها اللائق بها . فجمعها من شتات ، وقعدلها ، ورتبها ، وبوبها ، وقسمها إلى أقسام ثلاثة :

- علم المعاني .
- علم البيان .
- علم البديع .

فهذا عمل جبار ، وجهد ثمين ، يحسب للرجل ، ولولاه لضاعت أصـول البلاغـة العربية.

أما الذين توهموا أن البلاغة العربية بعد السكاكي أصابها الجمود والوهن والضعف وجنوح أصحابها إلى الشروحات والتلخيصات ، بعيدا عن الإبداع والجمال.

لو سلمنا بهذه الحقيقة ، هل البلاغة مسؤولة على هذا الاختيار وتبني هذه الوجهة ؟

البلاغة العربية في جوهرها ، وحقيقة أمرها ليست المسؤولة على هذا الاختيار، وتبنـي هذه الوجهة ؛ فالبلاغة العربية براء مما نسب إليها ، ومما علق بها ، فالبلاغة من الفنون والعلوم المتجددة ، بتجدد الأعصار والأمصار ؛ لأن البلاغة العربية جاءت ـ أولا وقبل كل شيئ ـ خدمة للقرآن الكريم ، ولتكشف عن جمالياته التعبيرية والفنية .

فالقرآن باق ما بقيت البشرية ، متجدد يفتر عن كنوز ثمينة في كل زمان ومكان .

ومما يشد عضد ما نذهب إليه ما قاله محمد بركات حمدي : " أن البلاغة العربية من العلوم التي لم تحترق ولم تنضج ؛ لم تحترق لأنها أحد مفـاتيح الإعجـاز القرآنـي

والجمال الأدبي ... أما أنها لم تنضج ؛ فلأن الوسائل التي تعرض بها بحاجة إلى تجديد وثقافة العصر الذي تشيع فيه..."[1]

ولنفاسة العمل الذي قام به السكاكي ،والإثراء الذي قدمه للدرس البلاغي من خلال كتابه الشهير * مفتاح العلوم * والذي بلغ شأوا كبيرا لدى العلماء ، وصار محجة رائدة في علم البلاغة منهجا ومضمونا ، وأغلب من جاء بعده كان يدور في فلكه ، ويعشو إلى ضوء ناره ، إما تلخيصا ،أو شرحا ، ومن أهم شروحاته ؛ شرح الخطيب القزويني (ت739هـ).

ولكن هذا الحكم لا يعمم ، ولا يتخذ منه قاعدة ،أو قانونا ؛ لأن هناك من أجاد في فقه الدرس البلاغي ، وعمل على استخراج كنوزه ودرره.

وعليه ، إن دور السكاكي في تطور الدرس البلاغي لا ينكر ، وإضافاته يجب أن تذكر ، وستبقى سماتها شاهدة العصر على ما أسداه الرجل من آراء وأفكار ، ونظرات استنارت بها دروب البلاغة العربية.

12- الخطيب القزويني (ت739 هـ):

عمد القزويني إلى كتاب * مفتاح العلوم * للسكاكي ، فلخص فيه القسم الثالث الخاص بالبلاغة ، تلخيصا تميز بالدقة والوضوح ، وجاء تلخيصا فريدا من نوعه ، ومميزا عن التلخيصات الأخرى التي قام بها بعض العلماء من أمثال :بدر الدين بن مالك وغيره.

والأمر الذي دفع بالقزويني إلى تلخيص كتاب المفتاح للسكاكي ، يرجع إلى ما وقع فيه السكاكي من حشو وإطناب وتطويل ، وبعض الاضطراب ، فأراد أن ينقحه ويهذبه ويصونه عما فيه من غموض وتعقيد .

[1] - محمد بركات حمدي أبو علي ، البلاغة عرض وتوجيه وتفسير ،دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ،الأردن ،ط1 ، 1983 ، ص8

حيث يقول في مقدمة تلخيصه :

" أما بعد ؛ فلما كان علم البلاغة وتوابعها من أجل العلوم قدرا وأدقها سرا ، إذ به تعرف دقائق العربية وأسرارها ، وتكشف عن وجوه الإعجاز في نظم القرآن أستارها ، وكـان القسم الثالث من مفتاح العلوم الذي صنفه الفاضل العلامة أبو يعقوب يوسـف الـسكاكي أعظم ما صنف فيه من الكتب المشهورة نفعا لكونه أحسنها ترتيبـا ، وأتمهـا تحريـرا وأكثرها للأصول جمعا ، لكن كان غير مصون عن الحشو والتطويـل والتعقيـد قـابلا للاختصار ؛ مفتقرا الى الإيضاح والتجريد : ألفت مختصرا يتضمن ما فيه من القواعـد ويشتمل على ما يحتاج إليه من الأمثلة والشواهد ، ولم آل جهدا في تحقيقـه وتهذيبـه ورتبته أقرب تناولا من ترتيبه... وأضفت إلى ذلك فوائد عثرت في بعض كتـب القـوم عليها ... وسميته تلخيص المفتاح "[1]

وما كاد القزويني ينتهي من كتابه * التلخيص * حتى نراه يشرع فـي وضـع شرح آخر سماه * الإيضاح في علوم البلاغة * فصل فيه بعض ما أجمله في التلخيص ، مضيفا إليه زوائد من دلائل الإعجاز ، وأسرار البلاغة ، والكشاف ، ومستكثرا بالشواهد والأمثلة.

تناول القزويني في كتابه* الإيضاح* موضوع الفصاحة و البلاغة، و محاولة التمييز بينهما, و تناول أحوال الإسناد الخبري، و أحوال المسند إليه، و أحوال المـسند و غيرها.

و تناول التشبيه، و الاستعارة ، و الكناية، و تحدث عن المجاز و علاقته. و لم ينل البديع حظه الكافي من الدراسات كما هو الحال في أبواب المعاني و البيان.

و على الرغم مما جاء به القزويني في كتابيه *التلخيص *و *الإيضاح* من روائع في عملي المعاني و البيان خاصة ،إلا أنه يبقى مدينا للسكاكي بمادة الكتابين ؛ و إن كان قـد أضاف إليها من كتابات عبد القاهر، و الزمخشري و من آرائه الخاصة التي انفرد بها,

[1] - القزويني ، التلخيص في علوم البلاغة ، تح ، عبد الرحمن البرقوقي ، القاهرة ، ط2 ، 1932م ، ص 22،23

و أثنى عليه بهاء الدين السبكى بقوله :" أما بعد ،فإن تلخيص المفتاح في علم البلاغـة و توابعها بإجماع من وقف عليه ،و اتفاق من صرف العناية إليه ، أنفع كتاب في هدا العلم صنف , وأجمع مختصر فيه على مقدار حجمه ألف"[1]

وفي نهاية تناولنا لبعض من جهود أهم أعلام البلاغة العربية ، وبشئ من الإيجاز تاركين التوسع والإسهاب لمن أراد أن يعود لكتب البلاغة وتاريخها ، والتي استقينا مـن أهمهـا هذه الإطلالة لتكون جسرا للوصول إلى الزركشي الذي يعد واحدا من أهم البلاغيين الذين نجموا في القرن الثامن الهجري ، والذي كان له صولات وجولات في جنبـات الـدرس البلاغي ، ولكن رغم ذلك بقي الرجل مغمورا في هذا الجانب ،لأنه عرف فـي مجـال الدراسات القرآنية والدينية واشتهر فيها ؛ لذلك جاءت هذه الدراسة لتميط اللثام ، وتنفض غبار السنين ، وتنير ظلمات الأحقاب والأمصار عن شخصية كان لها قدم راسـخة فـي مجال البحث البلاغي ، ويتجلى ذلك من خلال سفره النفيس * البرهان في علوم القرآن*.

وتناول الزركشي للبلاغة العربية جاء مختلفا عمن عاصرهم من المتأخرين الذين شـاع عنهم الاهتمام بالشروحات والتلخيصات لكتاب * مفتاح العلوم * للسكاكي فـي قـسمه الثالث.

الزركشي عالج البلاغة معالجة المحلل المتذوق لجمال البلاغة ومصطلحها ،لأن غايتـه السامية التي يرمي إليها من خلال دراسته للمصطلح البلاغي تكمن فـي الكـشف عـن جماليات القرآن العظيم ، وإبراز وجوه الإعجاز وأسرارها فيه.

ومن هنا يجب أن نصحح تلك النظرة القائلة بأن البلاغة العربية لم تفهم فهمـا صـحيحا وسليما بعد عصر الجرجاني والزمخشري ، حيث يقول بكري شيخ أمـين : " ولعلنـا لا نغالي إذا قلنا : إنه لم يأت بعد عصر الجرجاني والزمخشري من فهم البلاغة فهمهما

[1] - بهاء الدين السبكي ، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط2 ، 1343ه ، ج1،ص4.

إياها ، وإن الذين جاؤوا من بعد ، إنما كان عملهم - في أكثر الأحيان - تلخيصا، أو شرحا ، وإنهم لم يزيدوا في فهم البلاغة وشرح فنونها شيئا ذا بال "[1] .

إن ما ذهب إليه بكري شيخ أمين فيه نظر، وذلك أن البلاغة لم تكن لتنتهي بمجيء الجرجاني والزمخشري ،أو تنقطع سبل الفهم والفقه بمن جاء بعدهما ، فالبلاغة العربية ليست حكرا على قوم دون قوم ، ولا على زمن دون زمن ، وإنما يقيض الله لها في كل عصر ومصر من يأتي ويتأمل أساليبها وفنونها ، ويمخض زبدتها ،ويفتق أكمامها ، ويسفر عن أسرار جمالها .

ولا نذهب بعيدا ، فالزركشي نجم في القرن الثامن الهجري ،ويعد من المتأخرين ، وكتابه * البرهان * جاء في زمن متأخر أيضا ، وعلى الرغم من ذلك ألفيناه نظر إلى البلاغة نظرة القارئ المتفنن ، والناقد البصير ؛ فأفاد من الدرس البلاغي أيما فائدة ، واستفاد من آرائه من عاصروه ، ومن جاؤوا بعده . ومن ثم فنحن لسنا مع القائلين بمثل هذه الأقوال بل البلاغة العربية حية طرية الغصن ، غضة العود ، شهية الأكل . وستظل هكذا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

خلاصة القول :

وهكذا قطع الدرس البلاغي أشواطا كبيرة ، وطوى مراحل عديدة ، ومر بمرحلة طويلة ومضنية استهلها بملحوظات ذوقية فطرية بسيطة معللة وغير معللة ، حتى وصل بها إلى علم واضح المعالم ، متعدد الأقسام ،واضعا الأسس الرئيسة لهذا العلم ، تاركا هامشا للجمال والإبداع والتجديد والابتكار ؛ لأن البلاغة في حقيقة أمرها ، وعمق جوهرها علم لم ينضج ولم يحترق.

يقول حمدي بركات اعلم :" أن البلاغة العربية من العلوم التي لم تحترق ولم تنضج ،ولم تحترق لأنها أحد مفاتيح الإعجاز القرآني ، والجمال الأدبي ... أما أنها

[1] - د. بكري شيخ أمين ، البلاغة العربية في ثوبها الجديد ، ج1 علم المعاني ،دار العلم للملايين ،بيروت ،لبنان ،ط7 ،2001م ،ص46

لم تنضج ؛فلأن الوسائل التي تعرض بها بحاجة إلى تجديد وثقافة العصر الذي تشيع فيه..."[1]

ومن هنا ، فإن القائلين بأن الدرس البلاغي انتهى وجمد لدى السكاكي ، ومن جاء بعده ،هذا الحكم لابد أن يعاد فيه النظر ،لأن البلاغة ما عرفت الجمود والركود على عهد السكاكي ؛ بل للرجل فضل مزية ، أنه جمع البلاغة العربية من شتات ، وقعد لها وقنن ، فحافظ عليها من الضياع والإندثار هذا من جهة ، والسكاكي ما أغلق الأبواب أمام المبدعين والباحثين حين عمد إلى هذا العمل ، بقدر ما سهل لهم الأمر ، وأنار لهم الدرب ، ومهد لهم الصراط ، ووضعهم على السكة الصحيحة.

وهذه النظرة الخاطفة الموجزة إلى تاريخ البلاغة العربية ، وضعت أيدينا على لفيف من الخصائص تبلورت في النقاط الآتية :

1- الأحكام النقدية الجمالية التي وجدت في العصر الجاهلي ـ وعلى الرغم من بساطتها ـ كانت بمثابة شرارة الانطلاق لنشأة البلاغة العربية ، إن لم نقل نقطة التأسيس.

2- ظهور الإسلام في شبه الجزيرة ،وتأييد النبي صلى الله عليه وسلم بمعجزة خالدة وخاتمة ، وهي القرآن ، كان عنصرا أساسيا في نشأة البلاعة العربية وازدهارها ونجم ذلك عن بلاغة القرآن ، وفصاحته ، وبديع أساليبه التي أعجزت الثقلين (الإنس والجن) ، وكان لقضية الإعجاز القرآني اليد الطولى والأثر البالغ في استفادة البلاغة العربية ،واستمداد قواعدها.

3- كان للأحاديث النبوية الشريفة ، الفياضة بألوان البلاغة من مجاز ، وتصوير وألفاظ جديدة ، وعبارات قشيبة ، وأساليب رفيعة بالغ الأثر في إثراء الدرس البلاغي وازدهاره.

[1] - د .محمد بركات حمدي أبو علي ، البلاغة عرض وتوجيه وتفسير ، ص8

4- كان لأئمة العلماء على اختلاف ثقافاتهم ، وعلومهم ، وميولهم الأثر الكبيـر فـي دفع عجلة التطور والازدهار ، والسمو بالبلاغة وإثراء مباحثها.

الفصل الأول

الزركشي وكتابة البرهان في علوم القرآن

المبحث الأول:عصر الإمام الزركشي

- الحالة السياسيـة
- الحالة الاجتماعية
- الحالة العلميـ ـة
- علاقة الزركشي بهذه الأحداث

المبحث الثاني :التعريف بالزركشي

- اسمه ونسبه
- رحلاته في طلب العلم
- ثقافته
- مكانته العلمية
- ألقابه العلمية ومناصبه
- عقيدته وصفاته
- شيوخه وتلاميذه
- وفاة الزركشي
- تصانيفه
- من أقوال العلماء فيه

المبحث الثالث :كتاب البرهان في علوم القرآن

- التعريف بالبرهان
- موضوع الكتاب
- منهج الكتاب وأساوبه
- مضمون الكتاب
- الغاية من تأليفه
- خلاصة القول

توطئة :

تعد الحضارة العربية الإسلامية – ولا شك- من الحضارات العريقة التي رفدت مسيرة التراث الإنساني بمختلف ألوانه وزركشاته ، وأفانينه ، وميادينه خلال أحقاب وآماد طويلة وعديدة ، فأسهمت بذلك في إثراء الموروث الإنساني ، وإشادة صرح الإنسانية إضافة لمسات ومسحات فكرية وعلمية ، وثقافية وفنية وجمالية كثيرة ومتنوعة لامست جميع الحضارات الإنسانية ، فأثرت وتأثرت.

وعلى الرغم من أفول مجدها الغابر ، إلا أنها تركت بصمات واضحة المعالم على صفحات التاريخ ، وأسماء منقوشة على وجه الزمن تنزل غيثا من سماء العلم والمعرفة ، وتتلألأ نجوما لامعة ، وأعلاما مرفرفة ، يسطع نورها وذكرها في النفوس . وما نالت الحضارة العربية الإسلامية هذا الشموخ والعلو إلا بجهد أولئك العلماء الفطاحل ، والأدباء الجهابذ ، والمفكرين الأساطين ، الذين برزوا في حقول معرفية متشعبة ومتباينة ، وبلغوا بها شأوا بعيدا ، وشأنا عظيما ، حتى عدوا مفخرة للدراسات الجادة ، والأبحاث القيمة النفيسة التي آتت أكلها في كل حين بإذن ربها .

وقد حظيت العلوم الدينية على مختلف مشاربها ومصباتها بعناية بالغة من قبل الفقهاء والعلماء ـ وتبلورت في بعث علوم الدين في الأصول و الفروع .

كما اتسعت دائرة التأليف في مجالات العلوم القرآنية ، لاسيما تفسير القرآن ، وعنّت فيه روح الجدة والإبداع ، والابتكار ، وحسن التأليف والتنسيق ، مما أدى إلى نبوغ الكثير من العلماء الأفذاذ ذاع صيتهم ، وطارت شهرتهم تجوب الآفاق .

ومن هؤلاء الإمام الزركشي صاحب التآليف الكثيرة ، والتصانيف القيمة المتنوعة المعروف بصاحب البرهان في علوم القرآن . الذي هو محط بحثنا ، وموضوع دراستنا وقبل التطرق إلى التعريف به، وجبت الإشارة ولو بشئ من الإيجاز إلى ملامح عصره وهذا ما سنتعرض له بشئ من التفصيل .

الحالة السياسية :

في القرنين السابع والثامن الهجريين تمزق شمل المسلمين وتفرقوا طوائف وشـيعا وصاروا أشتاتا وطرائق قددا ، مما أدى إلى تربص الأعداء بهم ، وازدادت أطماعهم في البلاد العربية و الإسلامية . وكانت حملات التتر والمغول تتكالب على المسلمين يوما بعد يوم ، وأثخن المغول في البلاد الإسلامية جراحات غائرة وجرعوها المآسي وعاثوا فـي الأرض فسادا ، فأهلكوا البلاد والعباد . وفي هذا السياق يقول ابن الأثيـر: " ولقـد أزال المغول معظم معالم الحضارة في البلاد التي تعرضت لغزوهم واحتلالهم ، وقتلوا قـسما كبيرا من السكان ودمروا كثيرا من مظاهر العمران " [1]، إلا أن أوضاع المسلمين ما لبثت تهدأ بعض الشئ ، والجراحات تندمل **لأسباب عدة منها** :

أ- اعتناق بعض القبائل المغولية للإسلام .

ب- دخول الدولة العثمانية إلى البلاد الإسلامية ، وبسط نفوذها .

ج- تحرك الفتح الإسلامي ، وهزيمة زعماء البلقان ، وانكسار الجيوش الصليبية.

ولا شك أن هذه الأسباب كانت الصحوة التي أعادت الثقة والأمل للمسلمين بعـد يـأس وانكسار .

كما أن الاضطرابات الداخلية زعزعت كيان الدولة الإسلامية على كر الجديـدين وخاصة ذلك الصراع والتطاحن والتقاتل الدائر الرحى بين تلك الدويلات المتنـاثرة فـي اليمن والحجاز ، وبلاد الجزيرة ، وبلاد فارس ، والشام ، ومصر وغيرها.

وعلى وقع هذه الأحداث الأليمة ، كانت الحالة السياسية للبلاد الإسلامية على شفا جرف هار ينذر بالخطر . إلا أن الله قيض لمصر في مطلع القرن الثامن الهجري حاكما صالحا ورعا ، تقيا ، راجح العقل ، صاحب حكمة ، وبعد نظر ، تمثل في شخص الملك الناصر محمد بن قلاوون الذي استطاع أن يعيد التوازن للمسلمين ، ويغير ميزان القوى ، ويعلي

[1] - ابن الأثير ، عز الدين على بن محمد الجزري ، الكامل في التاريخ ، بيروت (د ط) ، 1965 م ، ج12، ص 148

من همة المسلمين ، وذلك من خلال إذكاء جذوة الإيمان ،إلا أن يد المنون تخطفته قبل أن يقيم أركان الدولة الإسلامية على أقدامها ، إذ توفي سنة إحدى وأربعين وسبعمائة هجرية (741هـ).

ثم تولى بعده ابنه سيف أبو بكر ، ولكنه لم يكن بهمة والده ، ولم يستطع أن يتمم ما أقامه والده ، فكثرت الخلافات والنزاعات ، وأطلت الفتنة برأسها من جديد ، وعادت الصراعات تحمل أصنافا من الجور ، وضروبا من الحيف .

وخر السقف بعودة نفوذ الأمراء ، وانتكس المسلمون وعاودهم الألم والوجع ، وانتشر فيهم الداء ، واتسع الشرخ ، مما أدى إلى سقوط دولة المماليك البحرية في سنة أربع وثمانين وسبعمائة (784هـ) وظهور دولة المماليك الجراكسة ، وأول ملوكهم الملك الظاهر برقوق بن أنس الذي أشعل حربا ضروسا بينه وبين سابقيه ،مما أدى إلى إضعاف المسلمين وتفريق شملهم وكلمتهم ، وتمزيق ما بقي من صفهم .

الحالة الاجتماعية :

والظاهرة اللافتة للنظر في هذا العصر عنّت في انقسام المجتمع إلى طبقات متعددة ومتباينة تمثلت في **ثلاث طبقات:**[1]

أ- طبقة الحكام.

ب- طبقة العلماء.

ج - الطبقة العامة.

فطبقة الحكام تمثل أعلى الطبقات ، لأنها تحظى بالنفوذ والجاه ، وتمثل سلطان الحكم وقوته ، أما طبقة العلماء فكانت لها منزلة خاصة ، ولها السمع والطاعة ، خاصة في أمور الدين ، أما الطبقة العامة ، فكانت تركن تحت سلطان الأمراء ، وترضخ له ، وأغلبهم كانوا زراعا وصناعا ، وتجارا في المال القليل ، ولذلك قال ابن خلدون واصفا لهم :" فهم الذين عليهم الكد والكدح ومتاعب الحياة الإنسانية "[1]

[1] - ينظر ، أيمن عبد الرزاق الشوا ، والإمام ابن قيم الجوزية وأراؤه النحوية ،دار البشائر الطباعة والبشر والتوزيع دمشق ،ط1995 ، ص22
[2] - مقدمة ابن خلدون ، دار المعرفة بيروت ،(د ط)1968 ،ص434

ونظرا للطبقية المتفشية في البلاد ، نجم عنها معضلات اصطبغت بها الحياة ، وانعكست سلبا على الناس ، وتمظهرت في طغيان الظلم والتغطرس ، والسطو علـى الأمـوال ، واختلاسها والاستحواذ عليها بغير وجه حق .كما عم الفساد والانحـلال الخلقـي حتـى راجت تجارة الحشيش ، وغدت مباحة لا تقيدها قيود ، بل صارت تباع جهارا في كـل مكان وزمان والدولة لا تحرك ساكنا.إلى جانب هذا شيوع الفاقة ، وانتـشار العـوز ، وكثرت الأمراض ، والأوبئة وتفاقمت الأمور ، واستعصى علاجها ، والقـضاء عليهـا وعلة ذلك انصراف الدولة عن مشكلات المجتمع وهمومه إلا لماما ، وفي حالات نـادرة لمحاولة الإصلاح.

الحالة العلمية :

على الرغم من المشكلات السياسية التي أقضت مضجع الدولة الإسلامية ، وأقلقت راحة الخلق سنين عددا .إلا أن المجتمع الإسلامي لم يخل من الرجال الربـانيين الـذين حملوا على عاتقهم مسؤولية ثقيلة ، وعبئا أثقل من أجل خدمة العلم بكل إخلاص .

ففي هذا العصر قد ألفينا كثيرا من العلماء زهدوا في السلطان ، وضحوا بالجاه والمال لخدمة العقيدة والدين ، واجتهدوا في نشر العلم لطلابه ومريد يه.

ومن العلماء الذين سبقوا الزركشي الإمام المجاهد ابن تيمية الذي أبلى بلاء حـسنا فـي المعارك لدى السلطان وجنوده بإشعال جذوة الجهاد ، وإذكاء قبس الإيمان .

ومن أولئك شيوخ الزركشي الذين أخذ عنهم ومنهم أفاد علما كثيرا .ولا مماراة فـي الأمر أن ثبات أولئك الجهابذة من العلماء انتشل البلاد من قيود الجهل وسـيما الـضلال ومنقذا للأمة من تلك الطوائف والملل والنحل الضالة المضلة ، وكـانوا بمثابـة الـدرع الواقي ، والترس الحامي لجسد الأمة من ضربات الإلحاد والوثنية ، ومن خطر الزندقـة الزاحف الجارف.

كل هذه المحن انبرى لها هؤلاء العلماء الأجلاء برباطة جأش ، وصبر لا ينفذ وعزيمة لا تقهر ، ونور من الله لا ينطفي .

علاقة الزركشي بهذه الأحداث :

المدقق في عصر الزركشي وما اكتنفه من أحداث عظـام ، وتـصدعات وشـروخ شاسعة وطوائف منكرة وغيرها ، لم تكن لتقف عقبات كأداء في وجه الزركشي ، وإنمـا اتخذ منها مطية لبلوغ مآربه وغاياته ، فلم تقعد به هذه الظروف والمحن والأهوال ، عن طلب العلم والتفرغ له ، والاستزادة منه ، وملازمة شيوخه من جهة. والزهد في الحيـاة والانعزال عن الناس تعمدا ، ومن أجل الاعتكاف على التأليف والتنصيف من جهة أخرى كما أن تلك الظروف الحالكة والخطوب القاسية لم تقف حائلا أمام الرجل لمحاربة الأعداء بقلمه السيال ، وفكرة الغزير المستنير ، فألفيناه يكتب عن الركن الـركين مـن أركـان الإسلام ، وهو العقيدة محاربة للوثنية والزندقة والإلحاد.

وصنف في تحريم الحشيش المتفشي في المجتمع بصورة بشعة ومنذرة بالخطر .

كما نجده يعتني بالطبقة العامة من الناس وطبقة العلماء المصنفين فكان يفكر في العامـة بعمق لتحديد المشكلة والحكم الشرعي فيها ، وكان يرى أن هذا هو الحل الأنجع ،والعلاج المفيد للمجتمع .

اما طبقة العلماء ، فكان ملازما للشيوخ منهم ، ينهل من علمهم الـصافي ، ليكـون لنفسه زادا معرفيا يساعده على عوادي الزمن ، وظلمات الجهالة المتفشية فـي عـصره وإنارة الدروب لأبناء جلدته وغيرهم . فعكف على العلم طلبا واستزادة وتصنيفا ، وتأليفا واستفادة ، وإفادة . مع العلم أن أعماله لم تخل من النكت والفرائد ، وفي أعماله حـرص كبيـر علـى الخيـر والبعـد عـن مخـاطر الـسلطان وفـتن المجتمـع .

التعريف بالزركشي :

الإمام الزركشي علم من أعلام القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) وإمام من أئمة الإسلام ، شافعي المذهب ، وأحد الفطاحل المشهود لهـم بـالنبوغ والاجتهـاد ، وعمدة في التأليف والتصنيف ، وحجة في العلوم الدينية ، ومنارة للعلم ومفخرة العلمـاء بالديار المصرية .

كرع من معين الثقافة الإسلامية ، ونهل من علومها الصافية الغراء ، فكان جماع ذلك كله أن عرف الزركشي بالمحدث ، والأصولي ، واللغوي ، والأديب ، والفقيـه المتمـرس ، الكفء. ومؤلفاته جميعها تصطبغ بهذا التلوين الثقافي الفكري المنقطع النظير.

اسمه ونسبه :

تتفق كتب التراجم عل أن اسمه الكامل هو :

بدر الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن بهادر المنهاجي الزركشي[1]

اسمه محمد بهادر بن عبد الله ، وكنيته أبو عبد الله ، ويلقب ببـدر الـدين ، يعـرف بالمصري[2] ؛ لأنه مصري المولد والنشأة والوفاة ، ويقال له ، التركي باعتبار أصله ،لأن أباه كان مملوكا لبعض الأكابر [3].

ويعرف ـأيضا ـ بالزركشي ،لأنه احترف صنعة الزركش وهو صغير ، وكان يلقـب أيضا بالمنهاجي ،لأنه حفظ المنهاج في الفروع للإمام النووي في سن مبكرة [4].

ولادته ونشأته :

تتفق كتب التراجم على أن الزركشي أبصر النور سنة خمس وأربعـين وسـبعمائة (745) للهجرة في القاهرة.

1- أبو بكر هداية الله الحسيني ، طبقات الشافعية ، منشورات دار الأفاق الجديدة بيروت ، (تج) ، عادل نويهض ، ط2 ،1979،ص 242
2 - الزركشي ، المنثور في القواعد ، (تح) ،د.تيسير فائق أحمد محمود ،ج1،ط1، 1986 ،ص40
3 - م ، ن ، ص40
4 - م ، ن ،ص 40

ينحدر من أسرة مغمورة مطمورة ،لم يكن لها باب من الشهرة ،أو الوجاهة.فهي أسـرة فقيرة تدين بالإسلام، وتعيش في بلاد إسلامية ، وكان والده مملوكا .

يقول تيسير فائق أحمد محمود :"فإن أباه كان مملوكا لبعض الأكابر "[1]

إلا أن الحالة الاجتماعية التي نشأعليها الزركشي كانت دافعا قويا ، لأن يشق دربه إلـى قمم العلم ومسالك النبوغ ، إذ استهل حياته بتعلم حرفة تساعده على الحياة ، وتقيه عوادي الزمن ، ونوائب الدهر ، فألفيناه يمهر ويبرع في حرفة الزركش ، ولكن همـة الرجـل السامقة لم تقف به عند هذا الحد ،بل راح يعب من العلوم والمعارف ويستزيد منهـا دون ملل أو كلل .فوجدناه يختلف إلى حلق العلم منذ نعومة أظافره ، ويومها كانـت القـاهرة تمور بالحركة والنشاط ، وتغص بالمدارس ، وتحفل بالعلماء ، وتزدان بالأدباء، وتزدحم برجالات العلم ، كما كانت تزخر بالمكتبات الخاصة والعامة.

وما فتئ الزركشي ينتظم في حلقات الدروس حتى لاحت عليه أمارات النجابـة وسـيما النبوغ والتفوق . تتلمذ على أيدي شيوخ القاهرة الجهابذة وقتئذ ، فلازم الشيخ جمال الدين الإسنوي رئيس الشافعية بالديار المصرية ، وتتلمذ على يديه ، ونهل من علمه الـوافر ، حتى فاق أقرانه ، فكان أنجبهم وأذكاهم ، وأوعاهم ، كما تخرج على الشيخ سراج الـدين البلقيني والحافظ مغلطاي وغيرهم من شيوخ مصر وعلمائها.

<u>رحلاته في طلب العلم :</u>

لم تتسع الرحلة عند الإمام الزركشي ، فلم تذكر له كتب التراجم إلا رحلتين

الأولى :إلى حلب .

والثانية :إلى دمشق .[2]

فألفيناه يشد الرحال إلى حلب ، فيأخذ الأصول والفقه على يد الإمام شهاب الدين الأذرعي ثم يمم وجهه شطر دمشق ، ليأخذ الحديث وعلومه على يد العالم الفذ الجليل:الحافظ ابـن كثير.

1-الزركشي ، المنثور في القواعد ، ج1 ، ص 40

2-الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج1 ، ص7

ثم ألقى عصا التسيار بمسقط رأسه القاهرة ليتفرغ بعدها للتـدريس و الإفتـاء والتـأليف والانكباب على القراءة والمطالعة ولعل سائلا يـسأل : لمـاذا ضـاقت الرحلـة عنـد الزركشي؟

الجواب في اعتقادنا ، ربما علة ذلك أن القاهرة وقتئذ كانت قبلة للطلبة ، وكعبة للمريدين لما عرف عنها من تطور في المجال العلمي والتعليمي ، كما أنها كانت من أهم الحواضر العلمية والثقافية ، وكان بها لفيف من خيرة العلماء والأئمة المبرزين المشهورين ، المشار إليهم بالبنان ، لغزارة علمهم ، ونبوغهم ، وتمكنهم في علوم شـتى ، ومعـارف جمـة وميادين متنوعة ، ولذلك لم تنل الرحلة نصيبا وافرا ، وحظا واسعا لدى الإمام الزركشي فقد كفته القاهرة مؤونة السفر والرحلة .

ثقافته :

والزركشي منذ صغره كان محبا للعلم ، مولعا بالقراءة ، شغوفا بالمطالعة، ملازما للشيوخ ، ومنتظما في حلق الدروس ، سائحا بين الكتب ، منوعا في مـصادره، صـابرا مرابطا،ويروى أنه لم يشتر كتابا قط ، بل كان يلازم حوانيـت الكتـب يقـرأ ، ويفهـم ويستوعب ويدون صفوة ما يقرأ على ظهور أوراق كان يستصحبها معه، وفي هذا السياق يقول ابن حجر:"وكان منقطعا في منزله لايتردد إلى أحد إلا إلى سوق الكتب وإذا حضر إليها لا يشتري شيئا ، وإنما يطالع في حانوت الكتبي طول نهاره ، ومعه ظهـور أوراق يعلق فيها ما يعجبه ، ثم يرجع ، فينقله إلى تصانيفه "[1] ويشير ابن حجر ـ أيضا ـ إلـى شغف وتعلق الزركشي بالمطالعة، والاعتكاف على أمهات الكتب قراءة وفهمـا وانتقـاء وتدوينا قائلا :" بل كان يقضي نهاره في حوانيت الكتب يقرأ ويفهم ويدون ما يروق له"[2]

فثقافة الزركشي في الأساس كانت ثقافة دينية أصيلة ، وجعل علوم القرآن وأفانينه على وجه الخصوص همه ووكده، ولذلك ألفينا أغلب تصانيفه تدورحول الفقه ، والأصول والحديث ،والقرآن ، والتفسير وكل ما له صلة موصولة بحقل الدراسات القرآنية والدينية.

1- الزركشي ، البرهان ، ج1 ، ص7

2- المصدر نفسه، ص ن

بيد أن هذا التوجه إلى العلوم الدينية لم يصرف الرجل عن التلفت إلى علوم أخـرى ذات صلة بما سلف من الدراسات ، بل تعد من الأصول و الأساسات المتينة ، كاللغة ، والنحو وعلوم البلاغة .

وثقافة الزركشي تتسم بالموسوعية في العطـاء والدقـة فـي التحليـل والتعليـل والموضوعية في الطرح والإقناع ، كما أنها تصطبغ بصبغة دينية ذات جذور إسـلامية أصيلة ، وهي ثقافة عربية قحة لم تشبها شائبة من الثقافات الأعجمية المثقلة بالتوجهـات الفلسفية والتيارات المتنازعة.

ومن ثم ، إن ثقافة الزركشي أساسها ثقافة دينية تضرب في الأصول ،والفقه ، والحـديث وعلوم القرآن بسهم وافر ، كما اتسعت للفنون الأدبية والعلوم البلاغية والنحوية واللغوية. وهكذا كان الزركشي محصلا للعلم ، جماعا للمعرفة ، مـستوعبا لأصـولها وفروعهـا مضفيا عليها وشيا وجمالا من بنات أفكاره وعصارة جهده ، لا تثنـي عزمـه العقبـات الكأداء ولا تقف في سبيله العوائق والسدود.

<u>مكانته العلمية :</u>

تبوأ الإمام الزركشي مكانة مرموقة عند العلماء خاصة والعامة من النـاس ، لمـا يحمله من علم غزير وثقافة واسعة ، وما تحلى به من أخلاق فاضلة ، وخصال حميـدة وفي هذا السياق أشارتيسير فائق أحمد محمود إلى علو منزلة الزركشي العلميـة وتلـون ثقافته وزركشتها قائلا: "فكان محدثا أصوليا وفقيهاولغويا وأدبيا، وانعكست أضواء ثقافته على مؤلفاته ، فهو أحد العلماء الأثبات الذين نجموا بمصر في القرن الثامن الهجري".[1]

1- الزركشي ، المنثور في القواعد، ص40

كما كان الزركشي مقصدا للطلاب ، وكعبة للمريدين، وقبلة للعلماء ، يعبون من علمه الوافر ويحتذون بأخلاقه الرفيعة وسيرته الطيبة ،وسريرته الصافية ، ومما يبرز مكانته العلمية ، وشدة ولعه بالعلم ، والانقطاع له ، والاشتغال به ما رواه تلميذه شمس الدين البرماوي قائلا :و"أنه كان منقطعا إلى الاشتغال بالعلم لايشتغل عنه بشئ ، وله أقارب يكفونه أمر دنياه"[1]

ومما يشير أيضا إلى عظمة الزركشي في المناحي العلمية تمرسه بالتأليف والتصنيف في سن مبكرة من حياته ، حيث بدأ التأليف وهو في الرابعة والعشرين من عمره، أشار إلى ذلك صاحب الدرر الكامنة قائلا:"ويصنف الكتب وهو في الرابعة والعشرين لجدير بالمكانة العلمية العالية "[2] كما توضح مسيرته الحياتية مدى حرصه على الوقت واستغلاله أحسن استغلال والعمل على استثماره على الوجه الصحيح والأكمل ، فتراه يرتاد حوانيت الكتب يستفيد من كتبها ،أو يلازم شيخا يفيد من علمه ، أو معتكفا في بيته على كتاب يدرس مسائله ، أو يؤلف ويستمر على هذا النحو دون انقطاع ، أو فتور.

وفي صدد الإشارة إلى مكانة الزركشي في الشروحات والحذق في التأليف ذكرالحافظ ابن حجر في معرض حديثه عن شرح الزركشي لكتاب المنهاج في الفروع للإمام النووي قائلا :و" هو أنفع شروح المنهاج على كثرتها "[3] ضف إلى ذلك كثرة مصنفاته التي تعد أكبر شاهد على سعة علم الرجل ورسوخ قدمه في التحصيل والتأليف كما شهد له كبار العلماء وأساطين الباحثين بسمو كعبه ، وعلو شأنه في ميادين العلم والمعرفة ، فكان خليقا أن ينال تلك الشهرة ، وذلك الشأو البعيد ، فأكثر العلماء الأجلاء الذين جاءوا بعده استفادوا من مؤلفاته ، وأفادوا بها معرفة وعلما ، فكان مثالا حيا في الفقه وعنوانا في الأصول ، وأنموذجا للمحدث البارع الذي لايشق له غبار ، وأديبا فذا ، وناقدا متميزا.

---

1 - البرهان في علوم القرآن ، ج1 ، ص8
2 - ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة تح محمد سيد جاد الحق ، القاهرة 1966، (ب ط)،ج3 ، ص 397
3 - الزركلي ،خير الدين ،الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ،لبنان، 1980ط5 ، مج 6 ،ص61

ألقابه العلمية ومناصبه :

ذكرنا فيما سلف أن الإمام الزركشي تربع على مكانة علمية كبيرة لما قدمه من عمل جليل وخلق فضيل ، وهذه الأعمال الجليلة النافعة القيمة ألبست الرجل ألقابا علمية كثيرة وبوأته مناصب ورتبا راقية شهد له بها الداني ، والقاصـي ، وبقيـت وسـام اسـتحقاق ووشي تفوق وسم به الزركشي على مر الدهور ، وكر العصور . فمن هذه الأوصـاف والألقاب العلمية التي خلعها العلماء على الإمام الزركشي قولهم : بأنه عالم علامة .

وقالوا : المفتي وهو من الألقاب العلمية الرفيعة ، والتي لاتطلق إلا على من شهد له بغزارة العلم ، والتفوق ، والألمعية ، والتقوى ، والورع ، والـصلاح ، والزركـشي قمين بذلك كله . ومن ألقابه العلمية ـ المصنف ـ فقد برع في هـذا الجانـب وأبـدع ، وآثاره شاهد عيان على أحقية هذا اللقب .

كما أسبغوا عليه لقبا علميا خصصه تخصيصا دقيقا ، وهو مرتبط بحفظه و عنايتـه بالمنهاج في الفروع للإمام النووي ، وهومازال صغيرا فقيل عنه : " المنهاجي " ، فهـو أوثق من اعتنى بهذا المؤلف ، وأبدع في شرحه ، كما أشار إلى ذلك الحافظ ابن حجر[1].

أما عن المناصب العلمية ، فقد تقلد الزركشي مناصب علمية نالها بعلمه وتفوقه ونبوغه إذ تولى منصب الإفتاء والتدريس ، يقول عادل نويهض : و" سمع بحلب ودمشق ودرس وأفتى "[2] ، كما تولى مشيخة خانقاه كريم الدين *بالقرافة الصغرى بمصر[3]

1 - ينظر ، الزركلي ، الأعلام ، مج 6 ، ص 61
2 - عادل نويهض ، معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر ، لبنان ، ط3 1988،مج ، ص 505
3 - المنثور في القواعد ، ج1 ،ص 44
*" خانقاه كريم الدين " نسبة إلى كريم الدين وكيل السلطان ، وإليه ينسب الجامع الكرمي بالقبيبات أما " خانقاه فلا تزال موجودة في الشارع الجمالية بالقاهرة بإسم جامع بيبرس " ينظر إبن تغري بردي النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج12 ، ص 134

والمشيخة منصب علمي راق لا يناله إلا من برز على أقرانه ، وفاقهم علما وكياسة وفطانة إلى جانب ذلك تولى إيوان الشافعية بالديار المصرية[1]

عقيدته وصفاته:

تجمع كتب التراجم أن الزركشي مسلم العقيدة ، فقيه شافعي المذهب وإمام من أئمة الإسلام يقول عادل نويهض :

" الزركشي فقيه شافعي أصولي مفسر"[2]

ويقول تيسير فائق أحمد محمود في معرض حديثه عن الزركشي أنه :"إمام من آئمة الإسلام وعلم من أعلام الشافعية "[3]

أما عن صفاته وأخلاقه ، فكان يتسم بأخلاق رفيعة وصفات جليلة ، ومثالا حيا للتواضع ، وأنموذجا من الطراز الأول في المحافظة على الوقت ، والحرص على تثمينه ، وإنفاقه في العلم والمعرفة . يقول محمد أبو الفضل إبراهيم :" وكان رضي الخلق محمود الخصال ، عذب الشمائل ، متواضعا رفيقا ، يلبس الخلق من الثياب ، ويرضى بالقليل من الزاد ، لايشغله عن العلم شيئ من مطالب الدنيا ، أو شؤون الحياة"[4]

كما كان حاذقا بالعلوم ، ذواقا للفنون ، نقادة بصيرا ولم يكن جماعا دون تمييز بين غث وسمين ، بل كان له في كل علم جولة وصولة تشهدان له بالبراعة والإتقان والحذق.

ومن سماته ـ أيضا ـ التواضع في العلم والموضوعية في الإفادة ممن سبقوه.

---

1 - المنثور في القواعد ، ج1 ، ص44
2 - عادل نويهض ، معجم المفسرين ، مج2 ، ص 505
3 - المنثور في القواعد ، ج1 ، ص 40
4 - البرهان في علوم القرآن ، ج1 ، ص8

يقول :" اعلم أن بعض الناس يفتخر ، ويقول : كتبت هذا وما طالعت شيئا مـن الكتـب ويظن أنه فخر ولا يعلم أن ذلك غاية النقص ، فإنه لايعلم مزية ما قاله إلـى ماقيـل ولا مزية ما قيل إلى ما قاله ، فبمادا يفتخر" ؟1

كما عرف بزهده وورعه وتقواه ، وآية ذلك أنه كان منقطعا عن الدنيا، ولم يشغله بهرجها ومفاتنها ، وكان همه الوحيد الاستزادة من العلم والعب منه

ومما يدل على تواضعه أثناء التصنيف والتأليف قوله :" ومع هذا ما كتبت شـيئا إلا خائفا من الله مستعينا به ، معتمدا عليه ، فما كان حسنا فمن الله وفضله ، وما كان ضعيفا فمن النفس الأمارة بالسوء "2 وتواضعه هذا يذكر بما قاله والد الشيخ متولي الـشعراوي ـ رحمه الله ـ لابنه أثناء طلبه للعلم والتحصيل الموصل إلى قمـم العلـم ، والإمـساك بعرى :" والعلم لا تتأتى فتوحاته إلا بالتواضع "3

والتواضع من أجل الصفات الخلقية التي تبلغ بصاحبها إلى الدرجات العلـى عنـد الله وعند الناس .

مما سبق ذكره نخلص إلى أن الإمام الزركشي منذ صغره أكب على العلم والفضيلة ومجاهدة النفس حتى بلغ شأوا بعيدا ، فكان عالما فاضلا ، زاهد ، ورعامتنكبا عن بهرج الدنيا وأطماعها ، بل تركها لعشاقها والمتكالبين عليها ، والطامعين فيها والمتهالكين على متاعها الزائل ، ولذاتها الزائفة ، كان راضيا بالقليل ، والعيش الكفيف فغذت حياته كلها ورعا ، ومجاهدة للنفس ، وتقللا من الدنيا ومتاعها.

1- الزركشي ، تصحيح العمدة ، تح ، د، مرزوق بن هيا س آل مرزوق الزهرا ني ، ج1 ط1 ، ص10

2 – المصدر نفسه ، ج1 ، ص10

3- محمد الصديق المنشاوي ،الشيخ الشعراوي وحديث الذكريات ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير ، القاهرة ، ص 78

شيوخه :

تتلمذ الزركشي على يد لفيف جم من علماء عصره وزمانه في علوم شتى ، منها : علم القراءات ، والأصول ، والشعر ، والنحو ، واللغة ، وعلـوم البلاغـة ، والتفـسير وغيرها.

وشيوخ الزركشي كثر ، لايمكن إحصاؤهم وعدهم ، وبالتالي سـنكتفي بـذكر أشـهرهم لاسيما من كان له الأثر الواضح والعميق في تكوينه العلمي ، وبناء معالم شخصيته.

من هؤلاء :

1- **الإسنوي (ت/772هـ) ، عبد الرحيم بن الحسن بن عمر ، أبو محمد جمال الدين :** فقيه شافعي ، مفسر ، أصولي ، ومن علماء العربية ، ولي وكالة بيـت المـال والحسبة ، ودرس التفسير بالجامع الطولوني ، انتهت إليه رياسة الشافعية ، تتلمذ على يده خلق كثير ، منهم الزركشي الذي لازمه ، ونهل من علمه الوافر ، فكـان من أنجب تلاميذه ، وأوعاهم ، وأفضلهم ، وأذكاهم . وله تـصانيف كثيـرة مـن أهمها شرح أنوار التنزيل في التفسير للبيضاوي ، ت772هـ"1"

2- **الأذرعي (ت/783هـ) ، أحمد بن حمدان بن أحمد بن عبد الواحد ، أبو العباس شهاب الدين فقيه شافعي:** ولد بأذرعات الشام ، وتفقه بالقاهرة ، و ولـي نيابـة القضاء بحلب له تصانيف كثيرة منها : شرح المنهاج على شـرحين ، أحـدهما : غنية المحتاج ، ثماني مجلدات ، والثاني : قوت المحتاج ثلاثـة عـشر جـزء ، الحلبيات في مجلد ، وغيرها توفي في حلب 783هـ . تتلمذ على يديه الزركشي فأخذ عنه الفقه والأصول في حلب"2"

---

[1] - عادل نويهض ، معجم المفسرين ، مج 1، ص 280
2 - الزركلي ، الأعلام ، مج 6 ، ص 188

3- **أبو الفداء ، إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقي ، عماد الدين ، حافظ** :مؤرخ فقيه ولد في قرية من أعمال بصرى الشام له تصانيف قيمة منها : البداية والنهاية ، شرح صحيح البخاري ، طبقات الفقهاء الشافعيين ، وتفسير القرآن الكريم وغيرها ، أخذ عنه الزركشي الحديث وعلومه في دمشق .ت774هـ بدمشق"1"

<u>تلاميذه :</u>

تلقى على يد الزركشي العلم جمع غفير من الطلبة والمريدين، فأخذوا عنه المعرفة في مختلف الميادين والمجالات ، كما تزودوا منه بالخلق الرفيع ، والتقوى والإيمان والورع .

<u>نذكر منهم :</u>

- شمس الدين البرماوي المتوفي سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة للهجرة (831هـ)
- ابن حجي : عمر بن حجي بن موسى بن أحمد السعدي الدمشقي الشافعي المتوفي سنة ثلاثين وثمانمائة للهجرة .(830هـ)
- كمال الدين الشمني : محمد بن حسن بن محمد الشمني ، ثم الأسكندري المالكي المتوفي سنة إحدى وعشرين وثمانمائة للهجرة (821هـ).
- عمر بن عيسى سراج الدين الوزوري المتوفي سنة إحدى وستين وثمانمائة للهجرة وغيرهم"2" (861هـ)

---

1 - م ، س ، مج 1 ص 320 ، وينظر ، ناصر بن سعود بن عبد الله السلامه ، معجم مؤلفات العلامة الزركشي الشافعي ،دار الفلاح ،مصر (د ت)
(د ط) ، ص 5،6
2 - المنثور في القواعد ، ج1 ص41

ومن أشهر هؤلاء ، وأكثرهم رواية ، وملازمة للزركشي شمس الدين البرماوي وهو محمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي العسقلاني ، أبو عبد الله شمس الدين : عالم بالفقه والحديث ، شافعي المذهب مصري أقام مدة في دمشق وتصدر للإفتاء والتدريس بالقاهرة له تصانيف كثيرة ومشهورة منها :

شرح الصدور بشرح زوائد الشذور في النحو، ومنظومة في الفرائض ، وكتاب اللامع الصحيح على الجامع الصحيح في شرح البخاري . تتلمذ على يد الزركشي ولازمه وحصل عليه العلم في جميع الفروع ت 831هـ في بيت المقدس"1"

وفاة الزركشي:

بعد مسيرة علمية زاخرة بالعطاء العلمي ، والثراء الفكري والعمل الجاد الدؤوب والاجتهاد المتواصل الحافل بالتأليف والتصنيف،انطفأت شمعة من شموع الحضارة العربية الإسلامية ، تاركة وراءها قبسا يتوهج على مر العصور والأحقاب و الأزمان ، يهتدي به الحيارى في غياهب الجهل وظلماته،وتتزود منه الأجيال ، وتتخذ منه خيرظهير على مواجهة معترك الحياة ، والوقوف سدا منيعا أمام أخطار التغريب،وهمجية التضليل وزحف التيارات المدمرة ، الهادمة للشخصية،الطامسة لكل الثوابت ، والمحطمة لكل فكر مستنير بناء.

هذا وكانت وفاته يوم الأحد ثالث شهر رجب سنة أربع وتسعين وسبع مائة (794هـ) بإجماع مترجميه ، ودفن بالقرافة الصغرى بالقرب من تربة بكتمر الساقي يرحمه الله بالقاهرة"2"

1 - - الأعلام ، مج 6 ، ص 188
2 - معجم المفسرين ، مج2 ص 505 ، وينظر البرهان في علوم القرآن ،ج1،ص8 ، وينظر الأعلام مج 6 ،ص 61

تصانيفه :

لايخفى على أحد أن الزركشي أنفق حياته في طلب العلم والتأليف ، فكـان نتـاج ذلك وثمرته إثراء المكتبة العربية الإسلامية بما قدمه من عـصارة مـسيرته العلميـة مؤلفات بقيت شهود عيان على عظمة الرجل ، وشموخ قدره ، ورسوخ قدمه فـي العلـم ،وأبانت عن أصالة ثقافته ، وعمق فكره ، وبعد نظره ،وصفاء قريحته ،ونقاء علمه مـن كل ما هو دخيل ممجوج مفسد للعقل ، مشوه لثقافة الغير.

1- وكان أغلب مصنفاته في علوم القرآن ، والفقه ، والأصول ، والحديث ، وهي ـ ولا ريب ـ تكشف عن عمق معرفته بعلوم الدين ، ومدى استيعابه لها وتمرسـه بها حتى غدت مؤلفاته في هذا الحقل ملاذ الدارسين والباحثين والمتلقين في كـل عصر وزمان . كما كانت له بعض المؤلفات في علوم البلاغة ، والنحو، والأدب لا تقل شأنا عن سابقتها.

ومما سبق يتضح في الأذهان وضوح الشمس في رابعة النهار أن مؤلفات الإمام الزركشي ذات أهمية بالغة ، وعلى جانب من النفاسة بمكان ، ولذلك سأعرض جل تآليفه التي وقفت عليها من خلال كتابه البرهان في علوم القرآن الطبعة المحققة من قبل محمد أبو الفضل إبراهيم الذي عرج فيها على أغلب تـصانيف الزركـشي المخطـوط منهـا والمطبوع على حد سواء،كما أشيرإلى مصنفات أخرى لم يذكرها محقق البرهان وعرض إليها محقق المنثور في القواعد للزركشي ، تيسير فائق أحمد محمود.

وعادل نويهض صاحب معجم المفسرين وهي على التوالي :

- الإجابة لإيراد مااستدركته عائشة على الصحابة .
- إعلام الساجد بأحكام المساجد.
- البحر المحيط في أصول الفقه،ونشرته لجنة إحياء التراث بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بتحقيق الأستاذ أبو الوفا المراغي سنة1385هـ.
- البرهان في علوم القرآن ، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم.
- تخريج أحاديث الشرح الكبيرللرافعي ، المسمى بكتاب فتح العزيز على كتاب الوجيز.
- التذكرة في النحو، ذكره محقق المنثور في القواعد ، تيسير فائق أحمد محمود.
- تشنيف المسامع بجمع الجوامع.
- تفسير القرآن، ذكره السيوطي وقال :إنه وصل فيه إلى سورة مريم وكذا أورده صاحب الأعلام ، الزركلي.
- تكملة شرح المنهاج للإمام النووي.
- التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح.
- خادم الرافعي والروضة في الفروع .
- خبايا الزوايا في الفروع.
- خلاصة الفنون الأربعة.
- الديباج في توضيح المنهاج.
- ربيع الغزلان في الأدب.

- رسالة في كلمات التوحيد ، وذكره تيسير فائق أحمد محمـود فـي المنثور بعنوان رسالة في علم التوحيد.
- زهر العريش في أحكام الحشيش.
- سلاسل الذهب في الأصول ، وذكره تسيير فائق أحمد محمود تحت عنوان سلاسل الذهب في أصول الفقه.
- شرح الأربعين النووية.
- شرح البخاري.
- شرح التنبيه للشيرازي.
- شرح الوجيز في الفروع للغزالي .
- عقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان لابن خلكان.
- الغرر السوافر فيما يحتاج إليه المسافر.
- فتاوى الزركشي .
- في أحكام التمنى. وذكره تيسير فائق أحمد تحت عنـوان : أحكـام الثمن.
- القواعد في الفروع ، ويسمى ـ أيضا ـ المنثور في القواعد ذكـره تيسير فائق أحمد محمود محققه.
- اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة.
- لقطة العجلان وبلة الظمآن في أصول الفقه والحكمة والمنطق
- مالا يسع المكلف جهله.
- مجموعة الزركشي في فقه الشافعي .
- المعتبر في تخريج أحاديث المنهاج والمختصر.
- النكت على عمدة الأحكام.

- النكت على ابن الصلاح ، وذكره تيسير فائق أحمد محمود تحت عنوان : النكت على علوم الحديث لابن الصلاح .
- كشف المعاني "[1]

من أقوال العلماء فيه :

حظي الإمام الزركشي بمكانة عالية لدى العلماء والدارسين ، والذين شهدوا له بالتميز والتفرد في مجالات المعرفة ، واعتبروه نسيجا وحده ، ومثلا للعالم الكفء والمصنف القدير ، ولذلك نراهم ينوهون بعلمه ، وفضله ، لاسيما في الدراسات القرآنية . ومن ثم فلاغرو أن تكثر الأقوال في شخص الإمام الزركشي وعلمه وفضيل خلقه.

قال عنه تيسير فائق أحمد محمود :" فهو أحد العلماء الأثبات الذين نجموا بمصر في القرن الثامن الهجري"2

وقال عنه أيضا :"فهو عالم من قلة العلماء الذين لم تختصم في أذهانهم ملكات الفقه والأدب وقد تجلى في مؤلفاته جميعا صفاء الذهن ، وعمق الفكر ، ودقة التحقيق ووضوح الأسلوب"3

وجمع محمد أبو الفضل إبراهيم محاسن الزركشي في العلم والتحصيل والتأليف فقال:" وقد جمع أشتات العلوم ، وأحاط بالأصول والفروع ، وعرف الغامض والواضح ووعى الغريب والنادر واستقصى الشاذ والمقيس، إلى ذكاء وفطنة، وثقافة وألمعية فأهله كل ذلك للفتيا والتدريس والتوفر على الجمع والتصنيف ،واجتمع له من المؤلفات في عمره القصير مالم يجتمع لغيره من أفذاذ الرجال"4

[1] ينظر البرهان في علوم القرآن ،ج1 ،ص8،9،10،11،12،12 ، وينظر المنثور في القواعد ، ج1 ،ص42،43 ،وينظر معجم المفسرين ،مج2 ص506.
2- المنثور في القواعد ج1 ،ص 40
3- م ، ن ،ص 42
4- البرهان في علوم القرآن ص8

وقال عنه محمد بركات حمدي أبوعلي ، وهو يوضح طريقته في فهم البلاغة العربية وكيفيـة تناولها :"وأنه اختار طريقة الجاحظ وعبد القاهر الجرجاني في فهم البلاغـة العربيـة وهـي طريقة الأدباء ، وطريقة ذات الأسلوب الواضح غير المتفلسف"4

إن أقوال العلماء في الزركشي ومكانته العلمية البارزة كثيرة لايمكن حصرها في هذا المقام ، وحسبنا منها ما سلف كإضاءة تنير درب المتلقي ليتعرف على شخصية الرجل عن كثب ، ويتلمس مكامن العظمة عنده ، والنبوغ في شتى ضروب المعرفة وصنوفها.

ويكفي الزركشي رفعة وسموا أنه استطاع أن يترك أعمالا بقيت شاهدا مدى العصر على ثبوت قدمه ورسوخها على بساط تراث الأمة العربية الإسلامية . يبعثها عبق السنين شذا وأريجا، يدفعنا إلى العودة إليها نستشرف الماضي لنبني الحاضر والمستقبل في سيرورة مع نواميس الحياة المتجددة والمتواصلة.

1- محمد بركات حمدي أبو علي ، فصول في البلاغة ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ،ط1 ،1983 ،ص173.

التعريف بالبرهان :

البرهان في علوم القرآن كتاب فريد من نوعه،متميز في طرحه، قشيب في أسلوبه. فهو كتاب يحفل بعلوم القرآن والتنزيل ، وحقائق التأويل، وحكمة العدل عند مشتبهات الأمور، ومن حيث فصاحته، وإعجازه.

كما يعتبر الكتاب محصلة وعصارة ما تلقاه الزركشي من علوم ومعارف ، وما فقهه من العلماء ، وما جمعه واستوعبه من مظان الكتب التي عكف يستخلص زبدتها ، ويستخرج كنوزها ، ويستلهم عبرها .

فالكتاب خلاصة تجاربه ، وثمرة زاده المعرفي ، وصفوة أقوال العلماء ، ومحصلة أرائهم على اختلاف نحلهم ، ومللهم وتخصصاتهم ، من مفسرين ، ومحدثين ، وفقهاء ، ونحويين وبلاغيين ، وهلم جرا.

فجمع أقوالهم في فصول ومحاورمستقلة المعالم ، واضحة الدلالات ، مشبعا الفصول نائيا عن الحشو والفضول ، كما أن الزركشي لم يكن ، جماعا للآراء والأقوال فحسب ، وإنما كان مستوعبا فاقها لما يقرأ، ويحصل ، كما كان ينقد ، ويرجح ، ويضيف من علمه الغزير ، وفهمه المستنير.

قسم الزركشي كتابه إلى سبعة وأربعين نوعا يضاف إليها مقدمة وفصلان تحدث كل نوع من الأنواع عن علم من علوم القرآن . وفي هذا السياق يقول في مقدمته :"فإن أولى ما اعملت فيه القرائح ، وعلقت به الأفكار اللواقح ، الفحص عن أسرار التنزيل ، والكشف عن حقائق التأويل ،الذي تقوم به المعالم، وتثبت الدعائم ، فهو العصمة الواقية ، والنعمة الباقية ، والحجة البالغة ، والدلالة الدامغة ، وهو شفاء الصدور ، والحكم العدل عند مشتبهات الأمور ، وهو الكلام الجزل ، الفصل الذي ليس بالهزل ،وسراج لايخبو ضياؤه، وشهاب لايخمد نوره وسناؤه ، وبحر لا يدرك غوره ، بهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول ، وتظافر إيجازه وإعجازه ،وتظافرت حقيقته ومجازه

وتقارن في الحسن مطالعه ومقاطعه ، وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه ، قد أحكم الحكيم صيغته ومبناه ، وقسم لفظه ومعناه ، إلى ما ينشط السامع ،ويقرظ المسامع ..."[1].

ومن خلال هذا التقديم يمكننا أن نستشف النقاط التالية :

1. تلخص علوم القرآن.
2. توضح علومه.
3. تحدد الغايات المقصودة منه.

والكتاب يعد من أهم المصنفات التي ألفها الزركشي ، فهو يمثل جماع القول في علوم القرآن ، والبلاغة ، والنحو ، والأدب . ولذلك قال عنه محمد أبو الفضل إبراهيم: "فجاء كما شاء الله كتابا فريدا في فنه ، شريفا في أغراضه ، مع سداد المنهج، وعذوبة المورد وغزارة المادة ، بعيدا عن التعمية واللبس ، نائيا عن الحشو والفضول "[2].

موضوع الكتاب :

موضوعات الكتاب في أغلبها تدور حول علوم القرآن ومباحثه ، تتخللها لطائفة بلاغية وفرائد لغوية ونكت أدبية.

والكتاب على الرغم من تخصصه في الدراسات القرآنية وما يتعلق بها ، وما يدورفي فلكها ،إلا أنه يضم بين دفتيه كبرى القضايا البلاغية : كعلوم المعاني ، والبيان ،والبديع حيث تعرض إليها الزركشي، وعالجها معالجة تصب في مجال إظهار جماليات القرآن الكريم ، ولذلك لم يعن بالتعريفات والتشقيقات والتعقيدات كسابقيه،لأن الزركشي لا يسلك مسلك المتفلسفين والمناطقة المتأثرين بالثقافات الأخرى ، كالثقافة اليونانية ،والرومانية والهندية وغيرها ، فهو ينتهج منهج الأدباء من أمثال : الجاحظ وعبد القاهر الجرجاني وغيرهما.

---

[1] - البرهان في علوم القرآن ،ج1 ،ص 19.
[2] - المصدر نفسه ،ج1 ، ص 13.

فلذلك كانت نظرة الزركشي إلى المحاور البلاغية التي طرحها في كتاب البرهان في علوم القرآن نظرة جمالية وظف من خلالها المصطلحات البلاغية خدمة لإبراز جمال التعبير القرآني ، والكشف عن روائعه.

فلرب سائل يسأل لماذا الحديث عن الجوانب البلاغية ونحن بصدد التعريف بموضوع الكتاب ؟

والجواب : لأن مدار بحثنا يرتكز على الجوانب البلاغية المطروحة في هذا الكتاب وعلاقتها بالقرآن الكريم .

أما حجر الزاوية بالنسبة لموضوع الكتاب فيتجسد في علوم القرآن ومباحثه ، واعلم أن كل نوع من تلك الأنواع التي تعرض إليها الزركشي إلا وله صلة وثيقة بالعلوم الأخرى التي صاحبت كل نوع ، ولذلك جاءت كل المعارف خادمة للقرآن ، ورافدة لمعانيه ودلالاته.

وعلى الرغم مما بذله الزركشي من جهود مضنية في دراسة تلك الأنواع ،ومحاولة إشباع فصولها ،وتجنب حشوها وفضولها مصوبا سهمه نحو الغاية والمرمى ،إلا أنه رأى أن الإنسان لا يمكنه استقصاء نوع واحد منها استقصاء تاما شاملا ، مهما حاول.

وفي هذا السياق يقول الزركشي :" واعلم أنه ما من نوع من هذه الأنواع إلا ولو أراد الإنسان استقصاءه،لاستفرغ عمره ، ثم لم يحكم أمره ، ولكن اقتصرنا من كل نوع على أصوله ، والرمز إلى بعض فصوله ، فإن الصناعة طويلة والعمر قصير ، وماذا عسى أن يبلغ لسان التقصير " ؟[1].

منهج الكتاب وأسلوبه :

إن نظرة فاحصة في كتاب البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي يستشف من خلالها الباحث ، أو الدارس حقيقة جوهرية تبرز في دقة منهجه ومدى إحاطته وشموله فهو يلم أطراف الموضوعات ، ويجمعها من شتات ، مستقصيا محصيا ، منتهجا الأسلوب العلمي ، معتمدا على الجوانب الذاتية ، وهو في كل مجتهد مبتعد عن التقليل

[1] - البرهان في علوم القرآن ، ج1 ، ص 25

والتقليد كما يرتكز في مصنفه على أمهات الكتب يتدارسها وينقدها ، ويمخض زبـدتها ، ويشبع الفصول ، ويجنح عن الحشو والفضول .

وفي هذا السياق يقول محمد أبو الفضل إبراهيم موضحا منهج الزركشي من خلال كتابه البرهان :" ويحصي الكتب التي ألفت فيه ، ويشير إلى العلماء الذين تدارسـوه فأشـبع الفصول ، وجمع أشتات المسائل ، وضم أقوال المفسرين والمحدثين ، إلى مباحث الفقهاء والأصوليين ، نائيا عن الحشو والفضول "[1].

كما يتسم منهج الكتاب بالموسوعية ، فصاحبه ملم بأساليب التـأليف منهجـا ، وأسـلوبا وغزارة في العطاء العلمي ، فهو يضرب بسهم وافر في التحلي بالموضوعية والطـرح السليم ، وقوة الحجة ، وسطوع البرهان . ومن ثمة يمكننا أن نلخص خصائص منهجه **في النقاط التالية :**

1- الدقة في الطرح والشمولية .
2- تقسيم الموضوع إلى أقسام وجزيئات.
3- الإلمام بحيثيات الموضوع في تقص واستقصاء منقطعي النظير.
4- غلبة الروح العلمية والموضوعية أثناء المعالجة والطرح .
5- الابتكار والاجتهاد.
6- إحصاء التآليف والكتب التي تناولت الموضوع الذي يعالجه ، والإشارة إلى العلمـاء الذين تدارسوه.
7- إشباع الفصول ، ولملمة أشتات القضايا والمسائل .
8- الاستدلال بأقوال المفسرين والفقهاء والمحدثين وآراء الفصحاء والبلغاء .
9- مناقشة الآراء ونقدها بإقامة الدليل والبرهان الساطع .
10- الميل إلى الإيجاز والاختصار.

[1] - البرهان في علوم القرآن ، ج1 ، ص 13

11- كثرة الاستشهاد بالآيات القرآنية ، والشواهد الشعرية.

12- اختيار الأساليب الرصينة التي تزخربها ثقافته اللغوية والأدبية ، موشية بروائـع اللغة ، ونجائب الأشعار.

13- الاعتماد على مصادر أصيلة لها شهرتها ، وقيمتها العلمية ، ووزنها الأدبي .

أما عن لغة الكتاب وأساوبه ، فهو يمتاز بلغة غاية في الجـودة ، وأسـلوب رصـين وتعابير دقيقة ، كما ينفرد بالسعة والشمول ، ويغلب عليه طابع الموسوعية ، ويعتبر فيه الزركشي مفسرا ومحدثا بليغا .

وقصارى القول :

إن المنهج الذي أسس عليه الزركشي كتابه استفاد منه علماء كثر ، لاسيما فـي علوم القرآن والحديث ، والفقه ، والأصول ، فضلا عن علوم اللغة ، والنحو، و البلاغة .

مضمون الكتاب :

يتألف كتاب البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي من أربعة مجلدات ، مقـسمة على سبعة وأربعين نوعا تدور موضوعاتها حول علوم القرآن ومباحثه ، وكل نوع يعـد بحثا قائما بذاته.

استهل الزركشي كتابه بمقدمة وفصلين :

مقدمة الكتاب القيمة ضمنها حديثا جامعا عن القرآن الكريم من حيث بلاغته وفصاحته وإعجازه وتفرده عن كل الأساليب ، حيث حارت فيه الألباب ، واهتـزت لـه الأبـدان وطربت له الأسماع ، وخشعت له النفوس ، واطمأنت بذكره القلوب ، واكتحلت بنـوره العيون لما اتسم به من جيد النظم ، وفصيح بيان ، وبليغ عبارة إلى جانب فرادة عجائبـه التي لا تنقضي ، وأسراره التي لا تنتهي ، فهو ينبوع يتدفق دررا ، ويزخـر بالفرائـد واللطائف ، وفي هذا السياق يقول الإمام الزركشي :"فسبحان مـن سـلكه ينـابيع فـي القلوب،وصرفه بأبدع معنى وأغرب أسلوب،لا يستقصي معانيه فهم الخلـق ،ولا يحـيط بوصفه على الإطلاق ذو اللسان الطلق ، فالسعيد من صرف همته إليه ، ووقـف فكـره

وعزمه عليه ، والموفق من وفقه لتدبره ،واصطفاه للتذكير به وتذكره ، فهو يرتع منه في رياض ، و يكرع منه في حياض"[1].

أمـا الفصلان :

فـالأول : تحدث فيه عن علم التفسير موضحا أن هذا العلم يمثل حجـر الأسـاس بالنسبة للقرآن الكريم ، وعليه مداره ، ولايدركه من عنانه إلا من تمرس بأساليب العرب لغة ، ونحوا، وبلاغة ، وإلماما بأشعارها ،وحكمها ،وأمثالها ،وإلى هـذا أشـار الإمـام الزركشي حيث قدم تعريفا لعلم التفسير:و"التفسير علم يعرف به فهم كتـاب الله المنـزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وبيان معانيـه ، واسـتخراج أحكامـه وحكمـه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو،والتصريف،وعلم البيان ،وأصول الفقـه والقـراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ .)[2]

أما الفصل الثاني :

تناول فيه علم القرآن مشيرا إلى أقسامه التي ذكرها العلماء والمتمثلة في التوحيـد والتذكير ، والأحكام ، كما تحدث عن أم الكتاب الفاتحة ، موضحا لم سـميت الفاتحـة ، وتحدث عن نظمه.

وبعدها ينتقل إلى الحديث عن الأنواع الموزعة على الأجزاء الأربعة ،وهي - كما أسلفنا - سبعة وأربعون نوعا ، أولها أسباب النزول، وآخرها معرفة الأدوات.

وأولى هذه الأنواع معرفة أسباب النزول :

وأوضح فيه الزركشي عناية المفسرين بذلك في كتبهم ، وإفراد التصانيف فيه ،لأنه يعد عمدة الدراسات القرآنية ، وزاد المفسر ، كما تطرق أيضا إلى خـصوص الـسبب وعموم الصيغة.

ثم انتقل إلى النوع الثاني : وهو علم المناسبة ويرى أنه علم من العلوم الشريفة تحرز به العقول ، ويعرف به قدر القائل فيما يقول ، ثم يورد تعريفا لغويا للمناسبة ،

[1] - الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ،ج1 / ص20
[2] - المصدر نفسه ، ج1 / ص26

وهي المقاربة و المشاكلة، ثم يتعرض إلى المناسبة من حيث الاصطلاح فقال :"واعلم أن المناسبة علم شريف تحرز به العقول ويعرف به قدر القائل فيما يقول "[1]

وفائدته يجعل أجزاء الكلام بعضها آخذ برقاب بعض ، والتناسب يتضح أكثر في مـدى اتصال اللفظ والمعنى، وعلى خلاف ، ومن ثمة فالتناسب يعمل علـى تقويـة الارتبـاط وإحكام التأليف والبناء في التعبير القرآني.

وبعدها يتطرق إلى النوع الثالث :والمتمثل في الفواصل ورؤوس الآيات ،ويبدأ بتحديد الفاصلة :"وهي كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع"[2]

ثم يبين أن الفواصل في القرآن تختم مقاطعها بحروف المد واللين ، كمـا أن الفواصـل مبنية على الوقف.

ثم يتطرق إلى أقسام الفواصل ، فوجد أن الفواصل تقسم باعتبار المتماثل والمتقارب فـي الحروف ، كما تقسم أيضا باعتبار المتوازي،و المتوازن ،و المطرف.

والفواصل عنده محصورة في أربعة أضرب: تمكين ، وإيغال، و توشـيح ، وتـصدير، وبين- أيضا – أن الفاصلة لها ضابطان : الأول توقيفي ، والثاني قياسي .

وبعدها يعرج على النوع الرابع : وهو جمع الوجوه والنظائر ، حيث أشار إلى أن وجوه اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان ، وضرب لذلك مثلا لفظ الأمـة ،أمـا النظائر فهي بمثابة الألفاظ المتواطئة ، وقال بعضهم أن الوجوه والنظائر تعد نوعا مـن أنواع الإعجاز في القرآن ،لأن الكلمة الواحدة تتصرف إلى وجوه كثيرة ،وعد بعـضهم عشرين وجها، أو أكثر، أو أقل ،ولا يمكن أن تعثر على ذلك في كلام البشر[3].

ثم ينتقل إلى النوع الخامس: والمتعلق بعلم المتشابه ، وبين أن هذا العلـم مـن أجل العلوم ،لأنه ينوع أساليب الكلام ، ويتصرف في صنوف الفواصل ،وخاصة في باب القصص القرآني ،وهذا السياق يقول الزركشي :" وعلم المتشابه هو إيراد القصة الواحدة

---

[1] - ينظر المصدر السابق ص 91
[2] - ينظر المصدر السابق ص 114
[3] - ينظر ، البرهان في علوم القرآن ،ج1 ، ص 84

في صور شتى ، وفواصل مختلفة ، ويكثر في إيراد القصص والأنباء ،وحكمته التصرف في الكلام و إتيانه على ضروب ، ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلـك : مبتـدأ بـه ومتكررا"[1].

ثم تحدث عن النوع السادس: والمتمثل في علم المبهمات فـي القـرآن الكـريم والمقصود به أن الله عز وجل أبهم كثيرا من الأسماء والأعلام لحكم وغايات لا يعلمهـا إلا هو، وضرب الزركشي أمثلة لذلك منها قوله تعالى :"وآخرين من دونهم لا تعلمـونهم الله يعلمهم " والعجب من تجرأ وقال : إنهم قريظة ، وقيل من الجن [2].

وأبان على أن هذا الإبهام لم يأت هكذا سبهللا ، وإنما لأسباب كثيرة ، ذكرها المـصنف بالتفصيل مدعومة بالشواهد والأدلة.

في النوع السابع: يتعرض الإمام الزركشي إلى أسرار الفواتح والسور ، ويبين أن الله تعالى افتتح كتابه العزيز بعشرة أنواع من الكلام ، بدأها بالثناء وأنهاها بالتعليل وهي :(الثناء عليه ، وحروف الهجاء ، والنداء،والقسم ،والجمل الخبرية ،والأمر،والشرط والاستفهام ،والدعاء ،والتعليل).

ثم ينتقل بنا إلى النوع الثامن : والمتعلق بخواتم السور ، ورأى أن الخـواتم مثل الفواتح في الحسن ، لأنها آخرما يقرع الأسماع ،ولذلك ألفيناهـا تتـضمن المعـاني البديعة إيذانا للسامع بانتهاء الكلام حتى يرتفع معه تشوق النفس إلى ما يذكر بعـد ،كمـا أبان عن تنوع الخواتيم حسب المواقف تارة تكون دعاء ،وأخرى تكون وعـدا ووعيـدا وتكون مرة تعظيما وتبجيلا ...إلخ .. وألمح أيضا - إلى مناسبة فواتح السور وخواتمها.

يدلف بنا إلى النوع التاسع: والمتمثل في المكي والمدني من حيث النزول فلاحظ أن آراء العلماء على ثلاثة أقسام، فمنهم من قال :المكي هو ما نزل بمكة ، والمدني هو مـا

[1] - ينظر المصدر السابق ، ص 91
[2] - المصدر السابق ، ص114

نزل بالمدينة ، ولفيف قال المكي مانزل قبل الهجرة ،والمدني ما نزل بعدها، وآخـرون قالوا:المكي ماجاء خطابا لأهل مكة،والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة.

ثم أشار إلى المشهور فيها ، وهو أن المكي مانزل قبل الهجرة،وإن كان بالمدينـة ، والمدني ما نزل بعد الهجرة ،وإن كان بمكة ،كما أوضح الفوائد الناجمـة عـن معرفـة المدني من المكي وذكر منها :

- يفيد في معرفة الناسخ والمنسوخ.
- يفيد في معرفة المخاطبين بالآيات.

كما تعرض إلى النوع العاشر: والمتعلق بأول مانزل من القرآن وآخر ما نزل ، ويرى أن الأمر في هذه المسألة على خلاف بين العلماء فمنهم من قال : أن أول ما نزل على المصطفى صلى الله عليه وسلم قوله تعالى :" اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ{1} [1] ويرى مسلم في صحيحه أن أول ما نزل من القرآن سورة المدثر ، ثم يورد أقوالا كثيرة للعلماء تنبي على تباين آرائهم واختلافها.

وكذلك الأمر فيما يتعلق بآخر ما نزل من القرآن، فمنهم من قال: آخر مانزل مـن القرآن قوله تعالى : وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ [2].

ويرى فريق آخر ومنهم السدي أن آخر ما نزل قوله تعالى : فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللّـهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ [3].إذا فمسألة أول ما نزل من القرآن وآخرما نزل تبقى من المسائل الخلافية بين العلماء.

وفي النوع الحادي عشر:يعرج الزركشي على عدد اللغات التي نزل بها القـرآن وبين أن القرآن نزل على سبعة أحرف ، ثم أشار إلى الخلاف الذي وقع بين العلماء فـي تحديد ماهية الأحرف السبع.موضحا رأي جمهور العلماء وما أجمع عليه المسلمون في

[1] - العلق ،الآية 01
[2] - البقرة ، الآية 281
[3] - التوبة ، الآية 129

هذه العصور قولهم :"كان الإنزال على الأحرف السبعة توسعة مـن الله ورحمـة علـى الأمة"[1].

وفي النوع الثاني عشر: يتطرق الإمام الزركشي إلى كيفية إنزاله مشيرا إلـى أن العلماء اختلفوا في كيفية الإنزال ، وانقسموا إلى ثلاث فرق ، ثم أوضح الأشهر والأصح والمتمثل في أن القرآن نزل إلى السماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة ، ثم نزل بعد ذلـك منجما في عشرين سنة ، أوفي ثلاثة وعشرين ، أو خمسة وعشرين على حسب الاختلاف في مدة إقامته بمكة بعد النبوة.[2] وبعدها يقول الإمام الزركشي "وهذا القول أشهر الأقوال وأصحها"[3].

ثم يتحدث عن النوع الثالث عشر :والمتعلق بجمعه وحفظه من قبـل صـحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبين أن حفظ القرآن في الصدور كان سابقا في الزمان والمكان فكثير من الصحابة تلقوا القرآن على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فحفظوه حفظا جيدا ، كما قام الصحابة بحفظه في الألواح والعظام والعسيب واللخاف وغيرهـا ، فقد كان محفوظا كاملا فيها ، ولكنه كان متفرقا بين أيدي الصحابة والقطعة الواحدة كـان يحفظها جماعة كثيرة ، وأقلهم بلغ حد التواتر .

أما عن جمع القرآن في مصحف واحد فقد تحدث الزركشي عن جهود أبي بكر رضي الله عنه وسعيه الحثيث للقيام بهذا العمل الجليل حيث كلف زيد بن ثابت رضي الله عنه بذلك. ثم جاء من بعده سيدنا عثمان رضي الله عنه وجمع الأمة على مصحف واحـد عـرف بمصحف عثمان ، وأحرق ما سواه مما كان متفرقا ، أو كان مختلطا بسواه.

---

1 - ينظر ، البرهان في علوم القرآن ج1 ، ص 162

2 - ينظر ،البرهان في علوم القرآن ج1، ص 163

3 - المصدر نفسه ، ص 163

ثم ينتقل إلى النوع الرابع عشر: في معرفة تقسيمه ،فيوضح الزركشي أن العلماء قسموا القرآن الكريم إلى أربعة أقسام :(الطوال ،المئون ، المثاني ، والمفصل) ثم يقدم شـرحا لكل واحد من هذه الأقسام مستدلا عليها من آي الذكر الحكيم ، كما تطرق إلى عدد سور القرآن وآياته وكلماته .

وفي النوع الخامس عشر: يتحدث عن أسماء القرآن الكريم ذاكرا أسماءه بالتفصيل مشفعا كلامه بالأدلة والشواهد من آي الذكر الحكيم .

ومن أسمائه:

- "هدى" : لقوله تعالى : هدى ورحمةً للْمحسِنِين [1].
- "نور" : لقوله تعالى : وَأَنزلْنَا إِلَيْكُم نُوراً مبِيناً [2].
- "كلام ": لقوله تعالى : حتى يسمع كَلاَم اللّهِ [3].
- " عزيز": لقوله تعالى : وإِنه لَكِتَاب عزِيز [4].

وغيرها من الأسماء.

وفي النوع السادس عشر: والمتعلق بما وقع فيه من غير لغـة أهـل الحجـاز . يتحدث الزركشي عن قضية مهمة تتضح في أن المتعارف عليه بـين علمـاء الأمـة أن القرآن نزل بلغة قريش ،و بين أن خالد بن سلمة قال : " إنما نزل بلسان قريش ولـسان خزاعة ،وذلك أن الدار كانت واحدة [5]وجمهور العلماء يجمع على أن القرآن نـزل بلغـة الحجازيين "وقد فضل الفراء لغة قريش على سائر اللغات ، وزعم أنهم يـسمعون كـلام العرب فيختارون من كل لغة أحسنها ، فصفا كلامهم "[6].

[1] - لقمان ، الآية 3
[2] - النساء ، الآية 174
[3] - التوبة ، الآية 6
[4] - فصلت ، الآية 41
[5] - البرهان في علوم القرآن ج1 ،ص 198
[6] - المصدر نفسه ، ص 199

ثم ينتقل إلى النوع السابع عشر: معرفة مافيه من غير لغة العـرب ، وفيـه يوضح الزركشي أن القرآن نزل بلغة العرب ، ولا يجوز أن يتلى،أو يقرأ إلا بها مستدلا بقوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه قرآناً عربياً﴾[1] كما أن القرآن تحدى به المولى عز وجل العرب ليكون معجزة دالة على نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ،وبرهانا على صدق رسـالته وعزز رأيه بما ذهب إليه الإمام الشافعي بأن القرآن لو اشتمل على غير لغة العرب لـم تكن له فائدة ،ومذهب الشافعي يمثل رأي الجمهور من العلماء.

أما النوع الثامن عشر: تكلم فيه الزركشي عن غريب القرآن وبين أن الكاشف عن ذلك إلى معرفة علم اللغة اسما،وفعلا ،وحرفا فالحروف لقلتها تكلم النحاة علـى معانيهـا فيؤخذ ذلك من كتبهم ، وأما الأسماء والأفعال ،فيؤخذ ذلك من كتب اللغة ، وأشـهر مـا صنف في هذا الباب كتاب المفردات للراغب الأصفهاني .

وفي النوع التاسع عشر: تحدث فيه عن التصريف ، ويبدأ بتعريفه ، وهو مايلحق الكلمة ببنيتها وقسمه إلى قسمين :

الأول : يجعل الكلمة على صيغ مختلفة بضروب من المعاني وحصرها في :(التـصغير والتكبير ، والمصدر ،واسمي الزمان والمكان ،واسم الفاعل ،واسم المفعول ،والمقـصور والممدود).

أما الثاني : تغيير الكلمة لمعنى طارئ عليها وحصره في (الزيادة والحـذف ،والإبـدال والقلب ، والنقل ،والإدغام).

وفائدة التصريف تتمثل في حصول المعاني المختلفة المتشعبة عن معنى واحد والتصريف أجل من علم النحو ، وهو من العلوم التي يحتاجها المفسر.

[1] - يوسف ، الآية 2

وفي النوع العشرين : والمتعلق بمعرفة الأحكام من جهة إفرادها وتركيبها يرى الزركشي أن معرفة الأحكام من جهة الإفراد والتركيب يخضع لعلم النحو ، لأن النحو عمدة هذا الباب.

ثم يشيرإلى لفيف من المصنفات التي اهتمت بهذا الموضوع منها : كتاب البرهان في تفسير القرآن للحوفي ، والمشكل لابن قتيبة ، وكتاب المستحب للهمذاني وغيرها .

ثم أوضح أن التطرق لهذا الموضوع عليه معرفة مايلي :

- فهم المعنى الذي يريد إعرابه مفردا كان أو مركبا.
- تجنب الأعاريب المجهولة علي اللغات الشاذة لأن القرآن نزل بالأفصح من لغة قريش.
- تجنب اللفظ الزائد في كتاب الله تعالى أو التكرار،ولا يجوز إطلاقه إلا بالتأويل .
- تجنب الأعاريب التي هي خلاف الظاهر ، والمنافية لنظم الكلام.
- الابتعاد عن التعابير البعيدة والمجازات المعقدة.

وفي النوع الحادي والعشرين : المتعلق بمعرفة كون اللفظ والتركيب أحسن وأفصح بين الزركشي بأن هذا الموضوع مداره علم البيان ،والبديع ،وهو من العلوم الجليلة التي لاغنى للمفسرين عنها ،لأن به يعرف إعجاز القرآن ،وحقيقته ومجازه وغير ذلك ،وقد صنف فيه خلق كثير منهم حازم القرطاجني في كتابة منهاج البلغاء وسراج الأدباء وغيره.

أما في النوع الثاني والعشرين : والمتمثل في معرفة اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص ، أو تغيير أشار الزركشي إلى أن ذلك يعرف عن طريق علم القراءات وهو من العلوم الجليلة التي لايمكن لقارئ القرآن ، أو المشتغل بعلوم القرآن الاستغناء عنها فهو لب الدراسات القرآنية.

ثم ينتقل بنا إلى النوع الثالث والعشرين : وهو معرفـة توجيـه القـراءات وتبيين وجه ماذهب إليه كل قارئ وقال :"وهو فن جليل ،وبه تعـرف جلالـة المعـاني وجزالتها ، وقد اعتنى الأئمة به ، وأفردوا فيه كتبا منها كتاب الحجة لأبي علي الفارسي ..."[1]

كمابين أن كل قراءة لها خصوصيتها ، ولذلك نجد كثيرا من الفروق في توجيه القراءات حسب الرواية ومدى شهرة القراءة أو شذوذها.

وتحدث الزركشي في النوع الرابع والعشرين : عن الوقف والإبتداء وقال: هـو " فن جليل وبه يعرف كيف أداء القرآن ، يترتب على ذلك فوائد كثيرة واستنباطات غزيرة وبه تبين معاني الآيات ، ويؤمن الاحتراز عن الوقوع في المشكلات "[2].

وأبان أبو بكر بن مجاهد شروط متقن هذا العلم بقوله :" لايقوم بالتمـام فـي الوقـف إلا نحوي عالم بالقراءات ،عالم بالتفسير والقصص ، وتخليص بعضها من بعـض ، عـالم باللغة التي نزل بها"[3].

والوقف عند أكثر القراء ينقسم إلى أربعة أقسام:

- تام مختار .
- كاف جائز.
- حسن مفهوم .
- قبيح متروك[4].

أما في النوع الخامس والعشرين : والمتعلـق بمرسـوم الخـط أوضـح الزركشي بأن به يعرف كيف تكتب كلمات القرآن تبعا لخط مصحف الإمام أي

[1] - البرهان في علوم القرآن ج1،ص 238
[2] - البرهان في علوم القرآن ،ج1 ،ص 241
[3] - المصدر نفسه ص 242
[4] - المصدر نفسه ص 246

خط مصحف عثمان رضي الله عنه ويذكر أن الصحابة(ض) اختلفوا في كتابة التابوت ، فقال زيد: اكتبوها التابوه بالتاء المربوطة وقال النفر القرشيون : بل تكتب (التابوت) بالتاء المفتوحة، وترافعوا إلى عثمان رضي الله عنه فقال : اكتبوها التابوت ،فإنما نزل القرآن على لسان قريش[1].

لذلك تختلف بعض الكلمات القرآنية من حيث الكتابة على الكتابة العادية وهذا من الإعجاز القرآني.

وتعرض في النوع السادس والعشرين : إلى فضائل القرآن الكريم وذكر من صنف فيه من العلماء ومنهم أبو بكر بن شيبه ، وأبوعبيد القاسم بن سلام ،والنسائي وغيرهم .كما بين أن جمهرة المفسرين يتعرضون لذكر فضائل السورفي أول كل سورة ترغيبا وحثا على حفظها ،إلا الزمخشري فكان يذكرها في أواخر السور .

ثم يعرض جملة من الأحاديث تبين أهمية القرآن ، ودوره في السمو بحامله والإعلاء من شأنه ، منها ما رواه مسلم من حديث عمر رضي الله عنه :"إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع آخرين "[2].

وفي النوع السابع والعشرين : يتطرق إلى خواصه ، وفي هذا النوع يستوقفنا الزركشي عند خواص بعض الآيات في القرآن الكريم ، كآيات الشفاء والاستعانة بالله ،وتفريج الهموم وغيرها.ناقلا لفيفا من الروايات والحكايات المتواترة عن السلف منها ما يحكى عن الشيخ أبي القاسم القشيري أنه رأى النبي(ص) في المنام ، فقال له رسول الله (ص) : مالي أراك محزونا؟ فقال : ولدي قد مرض ، واشتد عليه الحال فقال له :أين أنت عن آيات الشفاء:

(ويشف صدور قوم مؤمنين)

---

[1] - المصدر السابق ص 26
[2] - البرهان في علوم القرآن ج1 ، ص 299

(وشفاء لما في الصدور)

(وفيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون) ...الخ[1]

يتحدث الإمام الزركشي في النوع الثامن والعشرين : عن فضل بعض الآيات في القرآن الكريم ويذكر فيها فضل آية الكرسي قوله تعالى : اللّه لآ إِلَـه إِلا هو الْحي [2]

وذكر ما ورد أيضا في فضل سورة الفاتحة ،سورة البقرة ، سورة يس ،وسورة الإخلاص وهذا العلم (علم فضائل الآيات) يرشد إلى أي آية في كتاب الله أرجى وأي آية في كتاب الله أخوف .

أما في النوع التاسع والعشرين: والمتعلق بآداب تلاوته وكيفيتها تحدث الزركشي عن عظمة القرآن، وبين أن القرآن أعظم معجزة أرسل بها المصطفى (ص).

وأن القرآن هو الحجة الباقية على مر الأحقاب والأزمان وعلى قارئ القرآن أن يستحضر عظمة القرآن، وأن يتمثل أفعاله الصالحة ،ويجتنب نواهيه ، وليحرص على ترتيله وتدبره والتأدب معه وقال بعضهم تلاوة القرآن على ثلاثة مقامات :

1. التأمل في أوصاف المتكلم في كلامه ومعرفة معاني خطابه.
2. حضور القلب.
3. مناجاة ربه والخضوع أثناء تلاوته وترتيله ، كأنه يرى ربه.

ثم ينتقل إلى النوع الثلاثين : والمتعلق بهل يجوز في التصانيف والرسائل والخطب استعمال بعض آيات القرآن ؟ وهل يقتبس منه في شعر وتغير نظمه بتقديم وتأخير وحركة إعراب ؟

---

[1] - البرهان في علوم القرآن ج1،ص 298
[2] - البقرة ، الآية 255

أجاب الزركشي بأن بعض العلماء جوزوا ذلك للمتمكن من العربية ، واستدل على ذلـك بأمثلة كثيرة منها:

أن الشيخ عز الدين سئل عن قول النبي صلى الله وسلم :(وجهت وجهي) والـتلاوة ﴿إني وجهتُ وجهي﴾[1].

وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم :(اللهم فالق الإصـباح ، وجاعـل الليـل سـكنا ، والشمس والقمر حسبانا ، اقض عني الدين ، وأغنني من الفقر)[2].

كما أشار إلى أنه يكره ضرب الأمثال بالقرآن الكريم ، ولا يجوز تعدي أمثلة القرآن إلى غيره وتمثل بقول أبي عبيد :(وكذلك الرجل يريد لقاء صاحبه ، أويهم بحاجته ، فيأتيـه من غير طلب ، فيقول كالمازح :(جئت على قدر يا موسى) ، فهـذا مـن الاسـتخفاف بالقرآن[3].

وفي النوع الحادي والثلاثين: والمتعلق بمعرفة الأمثال الكائنة فيه يذكر الإمام الزركشي أن الإمام الشافعي عده مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن ، فقال " أي في معرض سرده لشروط المجتهد - قال : ثم معرفة ما ضرب فيه مـن الأمثـال الدوال على طاعته المثبتة لاجتناب معصية"[4].

وقد صنف فيه من المتقد مين الحسن بن الفضل وغيره.

ويكفي هذا العلم مزية وتفخيما قوله سبحانه : ﴿تِلْكَ الْأَمثَالُ نَضرِبها لِلناسِ وما يعقِلُها إِلـا الْعالِمون﴾[5].

والأمثلة في القرآن جاءت مشتملة على بيان تفاوت الأجر على المـدح والـذم ، وعلـى الثواب و العقاب ، وعلى تفخيم الأمر، أو تحقيره.

1 - الأنعام ، الآية 79
2 - البرهان في علوم القرآن ، ج1 ص 326
3 - المصدر نفسه ص 328
4 - البرهان في علوم القرآن ص 330
5 - العنكبوت ، الاية 43

<u>وفي النوع الثاني والثلاثين</u> : والموسوم بمعرفة أحكامه بين الإمام الزركـشي أن آيات الأحكام على قسمين :

أحدهما ما صح به في الأحكام ،وذكر بأنه كثير مثاله : (سورة البقرة ،والنساء ، والمائدة والأنعام).

وثانيهما ما يؤخذ بطريق الاستنباط ،وهو على قسمين أيضا :

أولهما : ما يستنبط من غير ضميمة آية إلى أخرى

والثاني : ما يستنبط مع ضميمة آية إلى أخرى.

<u>أما في النوع الثالث والثلاثين</u> : والمتعلق بمعرفة جدله ، يشير الزركشي إلى أن القرآن العظيم قد اشتمل على جميع أنواع الأدلة والبراهين ، وما من برهـان ودلالـة وتقسيم وتحديد شئ من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله تعالى قد نطق به لكن أورده تعالى على عادة العرب دون دقائق طرق أحكام المتكلمين لأمرين [1].

أحدهما : بسبب ما قاله : وما أرسلْنَا مِن رسولٍ إلا بِلِسان قَومِهِ لِيبين لَهم [2].

والثاني :أن الله جعل القرآن في أوضح صورة لفظا ، وأسلوبا وخطابـا تفهمـه العامـة والخاصة ، وهذا من الإعجاز.

<u>ثم ينتقل إلى النوع الرابع والثلاثين:</u> والمتعلق بالناسخ والمنسوخ ، ونلاحـظ أن الزركشي في بداية الأمر يشير إلى عظم شأن هذا الباب موضحا أن جماعة كثيرة من العلماء صنفت فيه ، منهم : أبو عبيد القاسم بن سلام ، وأبو جعفر النحاس ، وأبن العربي وابن الجوزي ، وغيرهم .

ثم أشار إلى أن الأئمة لم يجوزوا لأحد تفسير القرآن إلا بعد معرفته للناسخ والمنسوخ .

ثم أبان معاني النسخ منها:

---

[1] - ينظر البرهان في علوم القرآن ج2 /ص 17

[2] - إبراهيم الآية 4

الإزالة ، والتبديل والتحويل ،والنقل وغيرها.

ثم تحدث عن أنواع النسخ وهي ثلاثة :

1. مانسخ تلاوته وبقي حكمه.
2. مانسخ حكمه وبقى تلاوته.
3. نسخهما جميعا ، فلا تجوز قراءته ولا العمل به .

النوع الخامس والثلاثون في معرفة توهم المختلف: وهو ما يوهم التعارض بين آياته،وهو ليس كذلك ،لأن كلام الله جل جلاله منزه عن الاختلاف . قال تعالى : ولـو كان مِن عِندِ غَيرِ اللّهِ لَوجدواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيرا [1]

إنما ألف في هذا الباب أبو علي محمد بن المستنير كتاب (الرد على الملحدين في تشابه القرآن) ، ثم بين طريقة العلماء في الترجيح عند تعارض آيتين ، ويتم ذلـك أولا بتقـديم المكي على المدني ، ثم من المرجحات أن يكون أحد الحكمين على غالب أحـوال أهـل مكة،والثاني على غالب أحوال أهل المدينة ، ثم أن يكون أحد الظاهرين مستقلا بحكمه ، والآخر مقتضيا لفظا يزاد عليه ، ثم أن يكون كل واحد من العمومي محمولا على ماقصد به في الظاهر منهما من المقصود بالآخر ، وغير ذلك من المرجحات ، ثم يـورد أمثلـة كثيرة عن ذلك . نذكر منها ما حكاه أبو العباس بن سريج قال:"سأل رجل بعض العلماء عن قوله تعالى :(لا أقسم بهذا البلد) فأخبر سبحانه أنه لايقسم بهذا البلد ، ثم أقسم به في قوله (وهذا البلد الأمين) ... قال له لوكان هذا تناقضا لعاق به القوم وسارعوا للرد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن القوم علموا وجهلت ، فلم ينكروا ما أنكرت ، ثم قال : إن العرب قد تدخل "لا" في أثناء كلامها وتلغي معناها "[2].

[1] - النساء ،الآية 82
[2] - ينظر البرهان في علوم القرآن ج2 / ص 31،32

النوع السادس والثلاثون في معرفة المحكم والمتشابه: يقول الإمام الزركشي :
المحكم أصله لغة : المنع
أما في الاصطلاح : فهو ما أحكمته بالأمر والنهي وبيان الحلال والحرام.
وقد حكى الحسين بن محمد بن حبيب النيسابوري عن المحكم والمتشابه ثلاثة أقوال:
أحدهما :أن القرآن كله محكم ،لقوله تعالى :(كتاب أحكمت آياته).
الثاني : القرآن كله متشابه لقوله تعالى (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها).
والثالث : ـ هو الصحيح ـ أن منه محكم ومنه متشابه لقوله تعالى :(منه آيات محكمات هن أم الكتاب)[1].

النوع السابع والثلاثون في حكم الآيات المتشابهات الواردة في الصفات وذكر أن الناس اختلفوا في الوارد منها في الآيات والأحاديث على طوائف ثلاث :
الأولى : تجري على ظاهرها ولا تؤول شيئا منها ، وهم المشبهة.
الثانية : تؤول ، ولكن نمسك عن تأويلها، ونقول لايعلمه إلا الله وهو قول السلف.
الثالثة : أنها مؤولة ، وأولوها على ما يليق بها.
ثم يرجح الثانية والثالثة ويرد الأولى لأن قولها باطل.
ويستدل بقول أم سلمة لما سئلت عن الاستواء ، فقالت ، الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة[2] .

النوع الثامن والثلاثون في إعجازه : يقول الزركشي في معرض حديثه عن الإعجاز :"وهو علم جليل ،عظيم القدر،لأن نبوة النبي صلى الله عليه وسلم معجزتها الباقية القرآن ، وهو يوجب الاهتمام بمعرفة الإعجاز"[3]
ثم يستعرض وجوه الإعجاز عند العلماء وأقوالهم المتباينة في ذلك.
بدأ من الصرفة التي قال بها النظام وأتباعه ،وأبطلها ورأى أنه وجه فاسد مقدما البراهين والأدلة على بطلانه . ثم يذكر الوجوه الأخرى:

---
[1] ـ البرهان في علوم القرآن ج2 / ص 45
[2] ـ المصدر نفسه ، ج2 / ص 51
[3] -- المصدر نفسه ، ج2 ، ص59

- التأليف الخاص.
- الإخبار عن الغيوب المستقبلية.
- إخبار عن قصص الأولين وسائر المتقدمين.
- النظم.
- الفصاحة وغرابة الأسلوب،وسلامته من جميع العيوب ، وغيرها من الوجوه منتهيا إلى إحدى عشر وجها.

ثم يبين رأيه في قضية الإعجاز ، وهو رأي جامع مانع حيث يقول بجميع الوجوه ما عدا الصرفة التي رأها فاسدة وباطلة.

فالقرآن عنده معجز بجميع الوجوه التي قال بها العلماء ،وليس بوجه واحد .

ثم يذكر وجوها جديدة حاز بها قصب السبق وهي :

- الروعة التي يتركها في قلوب السامعين وأسماعهم .
- جمعه بين صفتي الجزالة والعذوبة.
- كما أنه لايزال غضا طريا في أسماع السامعين وعلى ألسنة القارئين.
- اعتباره آخر الكتب غنيا عن غيره ،وغيره من الكتب السابقة تحتاج إلى بيان يرجع فيه إليه.

النوع التاسع والثلاثون في وجوب تواتره:

أشار الزركشي أن العلماء أجمعوا أن القرآن منقول إلينا بالتواتر؛ أي جماعة عن جماعة حتى وصل إلينا ، والتواتر شمل أصله ، وأجزاءه، ومحله ، ووضعه ، وترتيبه.

ويذكر أن القرآن الكريم كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأنه الكتاب المعجز الهادي إلى سواء السبيل ، وهو محفوظ إلى قيام الساعة . لقوله تعالى : ﴿إِنا نَحن نَزلْنَا الذكْر وإِنا لَه لَحافِظُون﴾[1].

[1] ـ الحجر ، الآية 9

ويتحدث في النوع الأربعين:عن معاضذة السنة للقرآن ويرى أن السنة جاءت لشرح مـا غمض من الأحكام ،أو أجمل في القرآن الكريم،ومن ثم جاءت السنة مـآزرة ومعاضـدة للقرآن،وبين الزركشي أن القرآن والحديث أبدا متعاضدان على استيفاء الحق، وإخراجـه من مدارج الحكمة حتى إن كان كل واحد منهما يخصص عموم الآخر،ويبين إجماله.

وبعدها ينتقل إلى النوع الحادي والأربعين : مشيرا إلى أهمية معرفـة التفـسير والتأويل مقدما تعريفات لغوية لكل من التفسير والتأويل، ثم عدد أقسام التفسير من خلال قسمة العلماء والمتمثلة في تقسيم التفسير إلى أربعة أقسام:

1. قسم تعرفه العرب في كلامها إعرابا،وشرحا،وبيانا،وبديعا.
2. لايعذر أحد لجهالته شرائع الأحكام ودلائل التوحيد.
3. يعلمه العلماء خاصة اجتهاد العلماء وهو يدخل في باب التأويل.
4. لايعلمه إلا الله ،ومن ادعى علمه فهو كاذب كالغيبيات.

كما أشار إلى كل ما يتعلق بالتفسير ووجوهه،وآراء العلماء في ذلك،ومؤلفاتهم فـي هـذا الباب.

وفي النوع الثاني والأربعين : تكلم عن الخطاب في القرآن الكـريم ووجوهـه ، وأوضح أن الخطاب القرآني يأتي على أربعين وجها،وأحصى منها ثلاثين ،وأولها خطاب العام المراد بالعموم، وأخرها المعدوم مشفعا كل نوع من أنواع الخطاب بأقوال العلمـاء وأدلتهم مقدما الشواهد من القرآن الكريم .

ثم يعرج بنا إلى النوع الثالث والأربعين :والمتمثل في الحقيقة والمجاز في القرآن الكريم ، وفي بداية الأمر ألفيناه يوضح اتفاق العلماء على الحقائق المشار إليها في القرآن ولا خلاف ، أما المجاز فاختلفوا في وروده في القرآن الكريم بين مثبت ومنكر،ثم بيـين رأيه بقوله:"وهذا باطل،ولو وجب خلو القرآن من المجاز،لوجب خلوه من التوكيد والحذف وتثنية القصص وغيره،ولوسقط المجاز من القرآن سقط شطر الحسن"[1] .

وينهي هذا النوع بالإشارة إلى أنواع المجاز.

[1] - البرهان في علوم القرآن ،ج3 ،ص159

أما النوع الرابع والأربعون : فتعرض فيه إلى الكناية والتعريض،وفي بداية الأمر أوضح أن العرب تعد الكتابة أبلغ من الحقيقة،وهي من وجوه البراعة والبلاغة.

ثم يعرف الكناية بقوله:"والكناية عن الشئ الدلالة عليه من غير تصريح باسمه"[1]

ثم يعرج على أسباب الكناية ، أو إن شئت أغراض الكناية.

ثم يتحدث عن التعريض والتلويح مبينا الفرق بينهما،ويقول :"إنه الدلالة على المعنى من طريق المفهوم ،وسمي تعريضا لأن المعنى باعتباره يفهم من عرض اللفظ أي من جانبه ويسمى التلويح لأن المتكلم يلوح منه للسامع ما يريده كقوله تعالى: ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴾[2] .

في النوع الخامس والأربعين: يتحدث عن أقسام معنى الكلام فيشير إلى أن المعاني في القرآن قسمان :

خبر وغير خبر

وفي هذا الباب يتعرض للخبر والإنشاء،فيبين أنواع الإنشاء،كالاستفهام والأمر،والنهي ...وغيرها.

أما في النوع السادس والأربعين:فيتحدث فيه عن أساليب القرآن بفنونه البليغة،وفي هذا الباب يقول :"وهوالمقصود الأعظم من هذاالكتاب،وهوبيت القصيدة،وأول الجريدة،وغرة الكتيبة وواسطة القلادة،ودرة التاج ،وإنسان للحدقة، على أنه قد تقدمت الإشارة للكثير من ذلك"[3].

ثم بعد هذا التقديم يبدأ حديثه عن التأكيد مشيرا إلى أقسامه: التوكيد الصناعي ،ويبين قسميه :اللفظي والمعنوي مشفعا ما يذهب إليه بأمثلة من آي القرآن الكريم ،ويذكر أدوات التوكيد،مشيرا إلى مؤكدات الجملة الاسمية والفعلية.

ثم تحدث عن التكرار، والتفسير،والقسم،والمبالغة ،والاستثناء، والاستدراك والاعتراض،

---

1 - البرهان في علوم القرآن ،ج3 ،ص 186
2 - الأنبياء ، الآية 63
3 - البرهان في علوم القرآن ج3 ، ص236

والاحتراس، والتذييل، والتتميم، والزيادة، والتعليل، والحذف، وأسبابه، وشروطه، وأقسامه، والإيجاز وهو نوع من الحذف،ويسميه العلماء إيجاز القصر،والتقديم والتأخير،وأسبابه، وأنواعه، والقلب، والإلغاز، والاستطراد، والترديد، والالتفات، حقيقته وأقسامه، وأسبابه، وشروطه، والتضمين، ومشاكلة اللفظ للمعنى ،والتشبيه حقيقته، وأغراضه، وأدواته، وأقسامه، والاستعارة، والتورية، والتجنيس، والتجريد، والطباق والمقابلة ،والعكس ،وإلجام الخصم بالحجة،والتقسيم ،والتعديد. مشفعا كل هذه القضايا بأدلة وشواهد من القرآن الكريم، والأحاديث الشريفة، والأشعار،وأقوال العلماء وتأليفهم.

<u>ويختم الإمام الزركشي كتابه بالنوع السابع والأربعين</u> : والموسوم بـ الأدوات ومعاني الحروف وما يحتاج إليه المفسر لاختلاف مدلولها ، وفي هذا النوع يتحدث عن دلالات الأدوات على مختلف أنواعها : من حروف جر، وعطف ، وغيرها،واختلاف معانيها من سياق إلى آخر ، ويرجع تحديد المعاني إلى الاستخدام ،وفي هذا السياق يقول "ولهذا توزع الكلام على حسب مواقعها ، وترجح استعمالها في بعض المجال على بعض بحسب مقتضى الحال "[1].

هذا - ولاشك - عرض سريع لمضامين كتاب البرهان في علوم القرآن ، محاولة منا من أجل الوقوف على أهم محاوره وأبوابه.

ومن خلال هذه الإطلالة بدا لنا الكتاب بحرا لا ساحل له في الدراسات القرآنية فكرة،وطرحا،وأسلوبا،ومادة ، حيث يبرز الزركشي من خلاله علما فذا،متبحرا في شتى العلوم،ملما بكثير من المعارف والفنون ،مطلعا على الجم الغفير من كتب العلماء،والفقهاء،والمفسرين،والبلاغيين، والنحويين،والأدباء ، وغيرهم .

كما أوضحت لنا هذه الوقفة أن الرجل له قدم راسخة في علوم البلاغة،وباع طويل في اللغة نحوها وصرفها.

[1] - البرهان في علوم القرآن ج4 / ص 113

ومن ثمة غدا الكتاب موسوعة شاملة، ومتنوعة في أبوابها ومحاورها ،يحتاج إليها كـل دارس، وباحث ، ومتعلم، ينشد علوم القرآن ودروسه،أو علوم اللغة والبلاغة وفنونها.

فالكتاب يعد قبلة مضيئة تتوهج نورا،وتتلألأ لآلئ ودررا في طريق كل مريد ومـستزيد للعلم الديني والدنيوي.

وجماع القول :

ما اختتم به الإمام الزركشي حديثه ، وهو يعدد علوم القرآن وأنواعه موضحا سعة كـل نوع منها ، وكثرة تفرعاته و تشعباته ، مشيرا إلى أن الإنسان لو سخر وقتـه وعمـره محاولة منه لاستقصاء نوع من هذه الأنواع لما استطاع إلى ذلك سبيلا،واستمع إليه وهو يقول :"واعلم أنه ما من نوع من هذه الأنواع إلا ولو أراد الإنـسان استقـصاءه،لاستفرغ عمره، ثم لم يحكم أمره ولكن اقتصرنا من كل نوع على أصـوله،والرمز إلـى بعـض فصوله:فإن الصناعة طويلة والعمر قصير،وماذا عسى أن يبلغ لسان التقصير. "[1]؟

الغاية من تأليفه:

القرآن الكريم - ولا ريب - فيض من الأسرار والعجائب ، وبحر مـن العلـوم والفرائد،تناولته عقول البـاحثين ،وهمـم الدارسـين بالتنقيـب والتنقيـر فـي أصـوله وفروعه،وأحكامه وحكمه،تستخرج منه الدرر،وتستخلص منه العبر،وتسترشد بسناه فـي غياهب الظلمات ،وترتوي به من ظمأ الجهل والضياع والدركات.

ولذلك كثر التأليف في علوم القرآن على مرالأحقاب والأعصار،ولاحت الآراء و الأقوال تترى هنا وهناك،معبرة عن فهوم أصحابها ونظراتهم المتعددة والمختلفة الجواهر للقـرآن ودرره، وأعاجيبه ،وإعجازه ، وبقي الأمر هكذا ،إلى أن جاء العلامة الإمـام الزركـشي واستجمع همته من أجل تأليف كتاب شامل في هذا الباب،فألفيناه ينهض بهذا العبء الثقيل ويستجمع ما شاء الله له من آراء الدارسين والباحثين من شتات جمع واع بصير ،وناقـد خبير ، وعالم مستنير ، فتراه مرجحا للأقوال تارة ،ومفندا لها تارة أخرى ، ومعطيا مـن بحر علمه ، ونصاعة فكره ، وقوة فهمه،ونباهة عقله ، مثريا ما جمعه وحصله من أقوال

[1] - البرهان في علوم القرآن ج1 / ص25

وهاهو ذا يحدد لنا الغاية من تأليف كتابه البرهان في علوم القرآن في مقدمته قائلا:"ولما كانت علوم القرآن لاتنحصر ،ومعانيه لاتستقصى وجبت العناية بالقدر الممكن ،ومما فات المتقدمين ، وضع كتاب يشتمل على أنواع علومه، كما وضع الناس ذلك بالنسبة إلى علم الحديث،فاستخرت الله تعالى - وله الحمد - في وضع كتاب في ذلك جامع لما تكلم الناس في فنونه، وخاضوا في نكته وعيونه،وضمنته من المعاني الأنيقة ،والحكم الرشيقة مايهز القلوب طربا ،ويبهر العقول عجبا ؛ ليكون مفتاحا لأبوابه ، وعنوانا على كتابه معينا للمفسر على حقائقه ، ومطلعا على بعض أسراره ، ودقائقه ،والله المخلص والمعين وعليه أتوكل ، وبه أستعين ، وسميته البرهان في علوم القرآن"[1]

خلاصة القول :

يعد البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي من الكتب القيمة النفيسة النافعة والمفيدة ، وهو أحد الجهود الجبارة التي بذلها المصنف في خدمة هذا الدين ، ففيه من الفوائد العلمية الجمة ، والنكت الجياد ، والفرائد النادرة ،تنبي عن همة عظيمة ، وعزم لا ينثني لدى علماء الأمة الإسلامية بتوخي الدقة في النقل ، وسلامة الرواية ، وغزارة المعرفة ، وعمق الفكر ، والنظر الثاقب .

فالكتاب موسوعة زاخرة بالعلوم والفنون ، فقد حوت كل ما يتصل بعلوم القرآن وتفرعاته ، كما أنه تعرض إلى كبريات القضايا البلاغية التي عليها مدار فهم القرآن وإعجازه ، وتطرقت - أيضا - إلى علوم اللغة وأصولها وأفانينها.

والإمام الزركشي وقف أمام هذه القضايا المذكورة سلفا كالطود الأشم ، فعالجها وأفاض فيها ، وأبان أراء العلماء فيها ، كما اتكأ على غربلتها وتمحيصها ، ناقدا تارة ومرجحا تارة أخرى ، مضيفا إليها من بنات أفكاره ، وما جادت به قريحته من علم غزير وفهم مستنير ،ونظر عميق ،ورؤية شاملة. كما ألفيناه متمثلا لها أحسن تمثيل مسبلا عليها وشيا ووحيا منبعثا من سلاسة أسلوبه،ورصانة عباراته ،وجزالة لفظة وصفاء كلمه ، فغدت علوما قشيبة متدفقة ، نفيسة استوفت معالمها ، وأنارت جوانبها.

[1] - البرهان في علوم القرآن ، ج1 ،ص 23

وفي ذات السياق يقول مصطفى عبد القادر عطا منوها بمنزلة كتاب البرهان في علـوم القرآن :" فقد أجمع الإمام الزركشي وأوعى فجاء كتابه لايضارعه كتاب في نوعه فكـل من ألف بعد الزركشي في هذا النوع من العلوم القرآنية عيال عليه "[1]

[1] ـ الزركشي ،البرهان في علوم القرآن ، تج مصطفى عبد القادر عطا، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2001 ، ص 17،18

الفصل الثاني

مباحث علم المعاني عند الزركشي

المبحث الأول : من أقسام معنى الكلام

- توطئة
- الخبر
- أغراضه البلاغية

الإنشاء

- التمني
- النداء
- الاستخبار (الاستفهام)
- أقسام الاستفهام

أ- الاستفهام بمعنى الخبر.

- استفهام الإنكار
- استفهام التقرير

ب- الاستفهام بمعنى الإنشاء

- الأمر

المبحث الثاني: التقديم والتأخير

- توطئة
- أسبابه
- أنواعه
- خلاصة

المبحث الثالث : أسلوب الحذف

- توطئة.
- الحذف عند الزركشي .
- ماهيته .
- فوائده.
- أسبابه.
- أدلته.
- شروطه.
- أقسامه.
- خلاصة.

أقسام معنى الكلام :

الكلام في أي لغة من اللغات لايخرج على نمطين اثنين وهما :

1- الخبر .

2- الإنشاء .

فالخبر عبد البلاغيين هو كل كلام يحتمل الصدق أو الكذب .

وأوضحوا معيار الصدق والكذب في مدى مطابقة الخبر للواقع وهـذا رأي الجمهـور ، واستثنوا من ذلك الأخبار الواردة في القرآن والسنة النبوية ،والأمور المسلمة التي تعارف عليها الناس .

أما الإنشاء ؛فهو كل أسلوب لايحتمل الصدق ولا الكذب .

وهو على قسمين :

أ- **طلبي:** (الأمر ، النهي ،الاستفهام ، النداء ، التمني).

ب- **غير طلبي** : (التعجب ، المدح و الذم ،ألفاظ العقود ... وغيرها) .

أولا : ماهو الخبر عند الزركشي ؟ وما هي أغراضه البلاغية؟

يعرف الزركشي الخبر بقوله : " والقصد به إفادة المخاطب ، وقد يشرب مع ذلك معاني أخر "[1].

وذكر منها التعجب . ووضح الزركشي التعجب استنادا على ما قاله ابن فارس : " وهـو تفضيل الشئ على أضرابه بوصف "[2] .

وما قاله الزمخشري في معرض تفسيره لسورة الصف أن : " معنـى التعجـب تعظيم الأمر في قلوب السامعين ؛لأن التعجب لايكون إلا من شئ خارج عـن نظـائره وأشكاله" [3].

---

[1] - البرهان ، ج2 ،ص 196
[2] - المصدر نفسه ، ص 197
[3] - المصدر نفسه ، ص ن

وقد وضعوا للتعجب صيغا من لفظه ، وهي : "ما أفعله "! و"أفعل به "! ، وصيغا من غير لفظه ،نحو "كبر" في مثل قوله تعالى: كبر مقْتًا عِنْد الله [1]

وقوله : كَبرتْ كِلِمةً تَخْرج مِن أَفْواهِهم إن يقُولُون إلا كَذِبا [2].

ونبه الزركشي إلى مسألتين بالأهمية بمكان وهما :

أ- لايتعجب من فعل الله ؛ فلا يقال :" ما أعظم الله ! لأنه يؤول إلى شيئ عظيم الله كمافي غيره من صيغ التعجب .

ب- لايجوزإطلاق التعجب في حق الله تعالى ؛ لأن التعجب استعظام ويصحبه الجهل ، والله سبحانه ـ منزه عن ذلك ، وبه جزم ابن عصفور في " المقرب"[3].

ويرى الزركشي أنه لم يقع في القرآن من صيغة التعجب إلا قوله تعالى : فَما أَصبرهم علَى النار [4] وقوله : قُتِلَ الإِنْسان ما أَكْفَره [5]

وقوله: يا أَيها الإنسان ما غَرك بِربك الْكَرِيمِ [6] في قراءة من زاد الهمزة.

وأشار إلى أن التعجب في هذا مصروف إلى المخاطبين ، وهذا الذي عليه المحققون [7].

من أغراض الخبر البلاغية :

- الأمر ، كقوله تعالى : والْمطَلَّقَاتُ يتَربصن [8]، والْوالِداتُ يرضِعن [9] فإن السياق يدل على أن الله تعالى أمر بذلك ؛لأنه خبر ، وإلا لزم الخلف في الخبر ؛ وسبق في المجاز[10].

---

[1] - الصف ، الآية : 03
[2] - الكهف ، الآية :05
[3] - البرهان ،ج2 ، ص197،198
[4] - البقرة ، الآية :175
[5] - عبس ،الآية :17
[6] - الانفطار /الآية :06
[7] - البرهان ،ج2 ،ص 198
[8] - البقرة ،الآية :228
[9] - البقرة ،الآية :233
[10] - البرهان ،ج2 ،ص 199

- النهي ، كقوله تعالى : لا يمسه إلا المطَهرون [1].
- الوعد ، كقوله تعالى : سنُريهم ءاياتِنَا فِي الآفَاق وفِي أَنْفُسِهِم حتى يتَبين لَهم أَنـه الْحق أَولَم يكْفِ بِربك أَنه علَى كُل شَيءٍ شَهيد [2].
- الوعيد كقوله تعالى : وسيعلَم الَّذِين ظَلَموا أَي منقَلَبٍ ينقَلِبون [3].
- الإنكار والتبكيت ،نحو: ذقْ إِنك أنتَ العزيز الكريم [4].
- الدعاء ،كقوله تعالى : إِياك نَعبد وإِياك نَستَعِين [5].
- وربما كان اللفظ خبرا ، والمعنى شرطا وجزاء ؛ كقوله : إِنا كَاشِـفُو الْعـذَابِ قَلِيلاً إِنكُم عائِدون [6]؛ فظاهره خبر ، والمعنى :إنا إن نكشف العذاب تعودوا.ومنه قوله تعالى : الطلاقُ مرتَان [7] من طلق امرأتـه مـرتين فليمـسكها بعـدهما بمعرف ، أو يسرحها بإحسان[8]

الإنشاء :

وقبل أن يستفيض الزركشي في أسلوب الاستخبار ، أوجز الكلام عـن بعـض الأساليب الإنشائية وهي :

- التمني ؛ وكلمته الموضوعة له * ليت * وقد تستعمل ثلاثة أحرف :

أ- "هل" :كقوله تعالى : فَهلْ لَنَا مِن شُفَعاء فَيشْفَعوا لَنَا [9].

حملت "هل " على إفادة التمني لعدم التصديق بوجود شفيع في ذلك المقام ، فيتولد التمني.

[1] - الواقعة ،الآية :79
[2] - فصلت ،الآية :53
[3] - الشعراء ،الآية :227
[4] - الدخان ،الآية :49
[5] - الفاتحة ،الآية :05
[6] - الدخان ،الآية :15
[7] - البقرة ،الآية :227
[8] - البرهان ، ج2 ، ص 200
[9] - الأعراف ،الآية :53

ب- "لو "سواء أكانت مع " ود " أو لم تكن ، كقولـه تعـالى : ودوا لـو تُـدهِن فَيدهِنُوا [1]بالنصب . وكقوله تعالى : قَالَ لَو أَن لِي بِكُم قُوةً أَو آوِي إِلَى ركْـنٍ شَدِيدٍ [2] .

ت- "لعل " ، كقوله تعالى : وقَالَ فِرعون يا هامان ابن لِي صـرحا لَعلـي أَبلُـغُ الأَسباب أَسباب السماواتِ فَأَطلِع إِلَى إِلَهِ موسى [3]

وبين الفرق بين الترجي والتمني ،ووضح أن الترجي لايكون إلا في الممكنات والتمني يدخل في المستحيلات[4].

- النداء :

وهو طلب إقبال المدعو على الداعي بحرف مخـصوص ، وإنمـا يـصحب الأكثر الأمر والنهي ،كقوله : يا أَيها الناس اعبدوا ربكُم الَّذِي خَلَقَكُم والَّـذِين مِـن قَبلِكُم لَعلَّكُم تَتقُون [5] وكقوله : يا أَيها الَّذِين آمنُوا لا تُقَدموا بين يدي اللهِ ورسـولِهِ واتقُوا الله إِن الله سمِيع علِيم [6]

وأشار فيه إلى أن جملة الخبر بعد النداء تتبعها جملة الأمر ،كقوله تعالى : يـا أَيهـا الناس ضرِب مثَلٌ فَاستَمِعوا له [7]

وقد تجئ معه الجمل الاستفهامية والخبرية ؛ كقوله تعالى في الخبر: يا عِبادِي لا خَوفٌ علَيكُم الْيوم ولا أَنْتُم تَحزنُون [8] ، وفي الاستفهام : إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ ياأَبتِ لِم تَعبـد مـا لا يسمع ولا يبصِر ولا يغْنِي عنْك شَيئًا [9] .

[1] - القلم ، الآية :09 والقراءة المشهورة : (ودوالو تدهن فيدهنون)
[2] - هود ،الآية :80
[3] - غافر ،الآيتان :36،37
[4] - البرهان ،ج2 ، ص 201
[5] - البقرة /الآية :21
[6] - الحجرات ،الآية 01
[7] - الحج ، الآية :73
[8] - الزخرف ، الآية :68
[9] - مريم ، الآية :42

وأشار إلى أن النداء قد يستعمل في غير معناه مجازا في مواضع منها:

1- الإغراء والتحذير ،كقوله تعالى : فَقَالَ لَهم رسـولُ اللـهِ نَاقَـةَ اللـهِ وسقْيَاها [1].

2- التنبيه ،كقوله تعالى : قَالَتْ يا لَيتَنِي مِت قَبلَ هذَا وكُنتُ نَسيا منْسِياً [2]. لأن حرف النداء يختص بالأسماء.

3- الاختصاص ،وهو كالنداء إلا أنه لاحرف فيه كقولك : " نحـن معـشر الشباب عدة البلاد".

الاستخبار (الاستفهام):

يستهل الزركشي حديثه عن الاستخبار بقوله :" والاسـتخبار معنـاه طلب خبر ما ليس عندك ،وهو بمعنى الاستفهام أي طلب الفهم "[3].

وهذا سبق وأن قاله ابن فارس : " الاستخبار طلب ما ليس عنـد المـستخبر ،وهـو الاستفهام "[4].

وأشار الزركشي إلى أن بعض العلماء حاول التفريق بـين الاسـتخبار والاستفهام ؛ فقالوا :أن الاستخبار ماسبق أولا ولم يفهم حق الفهم ، فإذا سـالت عنـه ثانيا كان استفهاما ، ولذلك قال ابن فارس :" وذكر ناس أن بين الاستخبار والاستفهام أدنى فرق ،قالوا : وذلك أن أولى الحالين الاستخبار؛ لأنك تستخبر فتجاب بشئ فربما فهمته ، وربما لم تفهمه ، فإذا سألت ثانية فأنت مستفهم .

تقول :أفهمني ما قلته .قالوا :والدليل على ذلك أن الباري جل ثناؤه يوصف بالخبر ولا يوصف بالفهم [5].

---

1 - الشمس ،الآية :13

2 - مريم،الآية :23

3 - البرهان ،ج2 ، ص203

4 - أحمد بن فارس ،الصاحبي في فقه اللغة تح السيد أحمد صقر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ،القاهرة ،ص292

5 - المصدر نفسه ، ص ن

وبهذه النظرة إلى الاستخبار والاستفهام يتضح أن ابن فارس ميز لنا بين الاستخبار والاستفهام ، وهذا التمييز لاشك ، وأنه قدم خدمة جليلة لدارسي اللغة والبلاغة على حد سواء .

ويبرز هذه الحقيقة حسني عبد الجليل يوسف حين يقول: "ولاشك أن ابن فارس قد ميز الاستخبار عن الاستفهام في القرآن وما ورد في غير القرآن من شعر ونثر ، وقد أفاد ذلك البحث اللغوي والبلاغي فليس كل استفهام طلبا للفهم ، وليس طلب للفهم استفهاما)[1].

ولكون الاستفهام طلب مافي الخارج أو تحصيله في الذهن لزم ألا يكون حقيقة إلا إذا صدر من شاك مصدق بامكان الإعلام ،فإن غير الشاك إذا استفهم يلزم تحصيل الحاصل ... "وإذا لم يصدق بإمكان الإعلام انتفت فائدة الاستفهام".[2]

وأشار الزركشي إلى : " أن ما جاء على لفظ الاستفهام في القرآن الكريم ،فإنما يقع في خطاب الله تعالى ... على معنى أن المخاطب عنده علم ذلك الإثبات والنفي حاصل ،فيستفهم عنه نفسه"[3].

فالإثبات :كقوله تعالى : ومن أَصدقُ مِن اللهِ حدِيثًا [4].

والنفي :كقوله تعالى : هلْ أَتَى علَى الإِنسانِ حِين مِن الدهرِ لَم يكُن شَيئًا مذْكُورا [5].

وقوله تعالى : فَهلْ أَنْتُم مسلِمون [6].

ومعنى ذلك أنه قد حصل لكم العلم بذلك تجدونه عندكم إذا استفهمتم أنفسكم عنه فإن الله عز وجل لا يستفهم خلقه عن شئ ، وإنما يستفهمهم ليقررهم ويذكرهم أنهم قد علموا حق ذلك الشئ ، فهذا أسلوب بديع انفرد به خطاب القرآن .

ونبه الزركشي إلى أن الاستفهام في القرآن الكريم على قسمين :

---

1 - د.حسيني عبد الجليل يوسف ،اساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي ،مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 ،2001م ،ص9
2 - البرهان ،ج2 ، ص 203
3 - المصدر نفسه ، ص ن
4 - النساء ،الآية :87
5 - الانسان ، الآية :01
6 - هود ، الآية :14

1- استفهام بمعنى الخبر.

2- استفهام بمعنى الإنشاء.

أما الاستفهام الخبري فهو على ضربين :

أ- استفهام إنكاري

ب- استفهام تقريري.

الأول يطلب به إنكار المخاطب ، والثاني يطلب به إقراره.

والمعنى في الاستفهام الإنكاري ؛ على أن ما بعد الأداة منفي ، ولذلك تصحبه "إلا" من مثل قوله تعالى : فهل يهلك إلا القوم الفاسقون [1]

وقوله تعالى : وهلْ نُجازي إلا الْكفُور [2]

ويعطف عليه المنفي ،كقوله تعالى : فَمن يهدِي من أَضل الله وما لَهم مِن نَاصِرِين [3]

أي لا يهدي .

ويأتي الاستفهام الإنكاري لأمرين:

أ- أن الإنكار قد يجئ لتعريف المخاطب ؛أي أن ذلك المدعى ممتنع عليه وليس من قدرته ، كقوله تعالى : أَفَأَنْتَ تُسمِع الصم أَو تَهدِي الْعمي ومن كان فِي ضلالٍ مبِينٍ [4].

لأن إسماع الصم لا يدعيه أحد ،بل المعنى أن إسماعهم لايمكن ،لأنهم بمنزلة الصم والعمى ، وإنما قدم الاسم في الآية ، ولم يقل :" أتسمع الصم " .

إشارة إلى إنكار موجه عن تقدير ظن منه عليه السلام أنه يختص بإسماع من به صمم ، وأنه ادعى القدرة على ذلك وهذا أبلغ من إنكار الفعل .

ب- أنه قد يصحب الأنكار التكذيب للتعريض بأن المخاطب ادعاه وقصد تكذيبه ، كقوله تعالى : أَلَكُم الذكر ولَه الأُنثَى [5].

---

[1] - الأحقاف ،الآية :35
[2] - سبأ ،الآية :17
[3] - الروم ،الآية :29
[4] - الزخرف ، الآية :40
[5] - النجم ، الآية :21

وقسم الإنكار إلى قسمين :

أ- إبطالي .

ب- حقيقي .

فالإبطالي :أن يكون ما بعدها غير واقع ومدعيه كاذب

والحقيقي : يكون ما بعدها واقع وأن فاعله ملوم .

كقوله تعالى : قَالَ أَتَعبدون ما تَنْحِتُون [1].وقوله : أَغَير اللهِ تَدعون [2] ، أَتَـأْتُون الذكْران [3]، أَتَأْخُذُونَه بهتَانًا [4].

وكل ماذكر سلفا يدخل تحت الاستفهام الخبري ،وهو استفهام الإنكار .

أما الضرب الثاني فهو استفهام التقرير:

وعرفه بقوله : "والتقرير حملك المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنـده ،واستفهام التقرير لايكون ب "هل " إنما تستعمل فيه الهمزة والكلام مع التقرير موجب ، ولذلك يعطف عليه صريح الموجب ، ويعطف على صريح الموجب " [5]

كقوله تعالى : أَلَم يجِدك يتيما فَآوى ووجدك ضالا فَهدى [6].

وقوله تعالى : أَلَم يجعلْ كيدهم فِي تَضلِيلٍ [7].

---

[1] - الصافات ، الآية 95
[2] - الأنعام ،الآية :40
[3] - الشعراء ،الآية : 165
[4] - النساء ،الآية 20
[5] -البرهان ، ج2 ، ص 207
6- الضحى ،الآيتان :6،7
7- الفيل ،الآية :02

ويري الزركشي أن استفهام التقرير استفهام إنكار ، والإنكار نفي ،وقد دخل على المنفى ونفى النفي إثبات ،وبين في هذا ما قال به ابن السراج : من أنه إذا دخلت على "ليس " ألف الاستفهام كانت تقريرا ودخلها معنى الإيجاب .

ولذلك لا تحسن معها أحد ؛ لأن أحدا إنما يجوز مع حقيقة النفي [1] ومثاله قوله تعالى : ﴿أليس الله بكافٍ عبده﴾ [2].

وهو يرى في هذا القول إشكالا بدليل قوله تعالى : ﴿ألستُ بربكُم﴾ [3].

فلو أجيب "بنعم " كفروا . ولهذا يرى أنه ليس بسؤال ،وبين أن الاستفهام إذا أدخل على النفي يدخل بوجهين:

1- إما أن يكون الاستفهام عن النفي : هل وجد أم لا ؟ فيبقى النفي على ما كان عليه ،ولا يجوز دخول "نعم " في جوابه ،بل تدخل عليه بلى.

2- أو يكون الاستفهام للتقرير :فالكلام حينئذ لفظ ومعنى ،فلفظه نفي داخل عليه الاستفهام ، ومعناه الإثبات ،فبالنظر إلى لفظه تجيبه ببلى ،وبالنظر إلى معناه ، وهو كونه إثباتا تجيبه بنعم [4]ومثاله قوله تعالى : ﴿ألم نَشْرح لَك صدرك﴾ [5].

ويبين الزركشي أن استفهام التقرير يأتي على وجوه : مجرد الإثبات ،الإثبات مع الافتخار ، كما قال عن فرعون : ﴿قالَ يا قَومِ أليس لي ملْك مِصر﴾ [6].

الإثبات مع التوبيخ كقوله تعالى : ﴿ألم تَكُن أرض اللهِ واسِعةً﴾ [7].

الإثبات مع العتاب كقوله تعالى : ﴿ألم يأْن للذِين آمنُوا أن تَخْشَع قُلُوبهم لِذِكْر اللهِ﴾ [8].

---

[1] - البرهان ،ج2 ،ص 207
[2] - الزمر ،الآية :36
[3] - الأعراف ، الآية :172
[4] - البرهان ،ج2 ،ص 208
[5] - الشرح ،الآية :01
[6] - الزخرف ،الآية :51
[7] - النساء ،الآية 97
[8] - الحديد ،الآية :16

ومنها التبكيت ،كقوله تعالى : ءأنتَ قُلْتَ لِلناسِ اتخِذُوني وأُمِّي إلَهَين [1]. وهو تبكيت للنصارى فيما ادعوه.

ومنها التسوية :

وهي الداخلة على جملة يصح حلول المصدر محلها ،كقوله تعالى : وسواء عليهم ءأنذَرتَهم أم لَم تُنذِرهم لا يؤْمِنُون [2]،أي سواء عليهم الإنذار وعدمه ،مجردة للتسوية مضمحلا عنها معنى الاستفهام .

ومنه قوله تعالى : قَالُوا لَو هدانَا الله لَهديناكُم سواء علَينَا أجزعنَا أم صبرنَا ما لَنَا مِن محِيصٍ [3].

ومنها : التعظيم ،كقوله تعالى : من ذَا الَذِي يشْفَع عِنْده إلاَ بِإذْنِهِ [4].

ومنها : التهويل نحو قوله تعالى : الْحاقةُ ما الْحاقةُ [5].

ومنها التسهيل والتخفيف ،كقوله تعالى : وماذَا علَيهم لَو آمنُوا بِاللهِ [6].

ومنها التفجع نحو : يا ويلَتَنَا مال هذَا الْكِتَابِ لا يغَادِر صغِيرةً ولا كَبِيرةً إلا أحصاها [7].

ومنها التكثير ، نحو : وكَم مِن قَريةٍ أهلَكْنَاها [8].

ومنها الاسترشاد ،نحو : أتَجعلُ فِيها من يفْسِد فِيها [9] ،والظاهر أنهم استفهموا مسترشدين ،وإنما فرق بين العبارتين أدبا ، وقيل هنا للتعجب [10].

<u>أما القسم الثاني من الاستفهام ،فهو الاستفهام الإنشائي :</u>

وقد جاء في القرآن الكريم على ضروب كثيرة تعد آية في البلاغة .

ومن هذه الضروب :

---

[1] - المائدة ،الآية :117
[2] - يس ،الآية :10
[3] - إبراهيم ،الآية :21
[4] - البقرة ،الآية 255
[5] - الحاقة ،الآيتان :1،2
[6] - النساء ،الآية :39
[7] - الكهف ،الآية :49
[8] - الأعراف ،الآية :04
[9] - البقرة ، الآية : 30
[10] - البرهان ،ج2 ، ص 210

1- **مجرد الطلب** ،وهو الأمر ، كقوله تعالى : أَفَلا تَذَكَّرون [1]؛أي اذكروا وقوله تعالى : أَلا تُحِبون أَن يغْفِر الله لَكُم والله غَفُور رحِيم [2]،أي أحبوا .

وقوله تعالى : وما لَكُم لا تُقَاتِلُون فِي سبِيل اللهِ [3] ،أي قاتلوا .

2- **النهي** ، كقوله تعالى : ما غَرك بِربك الْكَرِيم [4] ،أي لايغرك.

وقوله تعالى : أَتَخْشَونَهم فَالله أَحق أَن تَخْشَوه [5] بدليل قوله : فَلا تَخْشَوا الناس [6]

3- **التحذير**،كقوله تعالى: أَلَم نُهلِكِ الأَولِين [7] أي قدرنا عليهم فنقدر عليكم .

4- **التذكير** ،كقوله تعالى : قَالَ هلْ علِمتُم ما فَعلْتُم بِيوسفَ وأَخِيهِ [8].

5- **التنبيه** ، كقوله تعالى : أَلَم تَر إِلَى الَّذِي حاج إِبراهِيم فِي ربهِ [9].

وكقوله تعالى : أَلَم تَر إِلَى ربك كَيفَ مد الظل [10]

وكقوله تعالى: أَلَم تَر كَيفَ فَعلَ ربـك بِأَصـحابِ الْفِيـل [11] ، وعقـب الزركشي بقوله :" والمعنى في كل ذلك انظر بفكرك في هذه الأمور وتنبه" [12]

6- **الترغيب** ،كقوله تعالى : من ذَا الَّذِي يقْرِض الله قَرضا حسنًا [13]

وقوله : هلْ أَدلكُم علَى تِجارةٍ تُنجِيكُم مِن عذَابٍ أَلِيمٍ [14] .

7- **التمنى** ، كقوله : فَهلْ لَنَا مِن شُفَعاء [15].

---

[1] - يونس ،الآية :03
[2] - النور ، الآية :22
[3] - النساء ، الآية :75
[4] - الإنفطار ،الآية :06
[5] - التوبة ،الآية :13
[6] - المائدة ،الآية :44
[7] - المرسلات ،الآية :16
[8] - يوسف ،الآية :89
[9] - البقرة ،الآية :258
[10] - الفرقان ،الآية :45
11- الفيل ، الآية: 01
12- البرهان ، ج2 ، ص ،211
13- الحديد ، الآية :11
14- الصف ، الآية : 10
15- الأعراف ، الآية : 53

وقوله : قَالَ أَنى يحيي هٰذِهِ الله بعد موتها [1]، قال العزيزي في تفسيره :أي كيف ،وما أعجب معانيه الإحياء!

8- **الدعاء** ، وهو كالنهي ، إلا أنه من الأدني إلى الأعلى ، كقوله تعالى أَتُهلِكُنَا بِما فَعلَ السفَهاء [2].

وقوله تعالى : أَتَجعلُ فِيها من يفْسِد فِيها [3]، وهم لم يستفهموا ،لأن الله قال : إِني جاعِلٌ فِي الْأَرضِ خَلِيفَةً [4]، وقيل : المعنى أنك ستجعل ،وشبهه أبـو عبيـدة بقـول الرجل لغلامه ، وهو يضربه :ألست الفاعل كذا![5]

9- **العرض والتحضيض** : وأشار إلى الفرق بينهما ،فبين أن الأول طلب برفق ولـين ،والثاني الطلب بشدة وغلظة ، والذي عبر عنه بقوله : والثاني بشق فالأول كقوله تعالى : أَلا تُحِبون أَن يغْفِر الله لَكُم [6]، والثاني كقوله : أَلا تُقَـاتِلُون قَومـا نَكَثُوا أَيمانَهم [7].

10- **الاستبطاء**:كقوله تعالى : متَى هذَا الْوعد إِن كُنتُم صادِقِين [8].

بدليل قوله تعالى : ويستَعجِلُونَك بِالْعذَابِ [9]

11- **الإياس** ، نحو قوله تعالى : فَأَين تَذْهبون [10].

12- **الإيناس** ، نحو : وما تِلْك بِيمِينِك يا موسى [11].

وقال ابن فارس : المراد به ؛ الإفهام : فإن الله تعالى قد علم أن لها أمرا قد خفي علـى موسي عليه السلام فاعلم من حالها مالم يعلم [1]

---

[1] - البقرة ،الآية :259
[2] - الأعراف ،الآية :155
[3] - البقرة ،الآية :30
[4] - البقرة ، الآية :30
[5] - البرهان ، ج2 ، ص 211
[6] - النور ،الآية :22
[7] - التوبة ،الآية :13
[8] - يس ،الآية :48
[9] - الحج ، الآية : 47
[10] - التكوير ،الآية : 26
[11] - طه :،الآية : 17

13- **التهكم والاستهزاء**، نحو : يا شُعيب أَصلاتُك تأْمرك [2]
وقوله : أَلا تأْكُلُون ما لَكُم لا تَنطِقُون [3].

14- **التحقير**، كقوله تعالى : وإِذَا رأَوك إِن يتخِذُونَك إِلا هزوا أَهذَا الَّذِي بعثَ الله رسولاً [4].

15- **التعجب**، نحو: ما لِي لا أَرى الْهدهد [5].

16- **الاستبعاد**، نحو : أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسولٌ مبين [6].

17- **التوبيخ**، كقوله تعالى : أَفَغَير دِين اللهِ يبغُون [7].

وقوله تعالى : أَفَتَتخِذُونَه وذُريتَه أَولِياء [8]؛ ولا تدخل همزة التوبيخ إلا على فعل قبـيح ، أو ما يترتب عليه فعل قبيح [9].

بين الزركشي أن الحروف الموضوعة للاستفهام ثلاثة :

- الهمزة
- هل
- أم

ونبه على أن غيرها مما يستفهم به نحو:

- من
- ما
- متى
- أين
- أنى

[1] - البرهان ،ج2 ،ص 212
[2] - هود ،الآية : 87
[3] - الصافات ،الآيتان :91،92
[4] - الفرقان ،الآية : 41
[5] - النمل ،الآية :20
[6] - الدخان ،الآية :13
[7] - آل عمران ،الاية :83
[8] - الكهف ،الآية :80
[9] - البرهان ، ج2 ، ص 213

- كم
- أيان

وأشار إلى أنها أسماء استفهم بها نيابة عن الهمزة ، وتلك الأدوات تنقسم من حيث ما يطلب بها إلى ثلاثة أقسام :

1- مايطلب به التصور أو التصديق هو " الهمزة " خاصة .

2- ما يطلب به التصديق هو "هل " خاصة.

3- ما يطلب به التصور وهو باقي الأدوات .

ووضح أن الهمزة تمثل أم الباب ، ولذلك اختصت بأحكام لفظية ومعنوية منها:

1- أن الهمزة لا يستفهم بها حتى يهجس في النفس إثبات ما يستفهم عنه .

2- اختصاص الهمزة باستفهام التقرير.

3- تأتي للاستنكار ، نحو قوله تعالى : ﴿أَتَقُولُون علَى اللهِ ما لا تَعلَمون﴾[1].

4- اختصاص الهمزة بأم دون أدوات الاستفهام .

5- اختصاص دخولها على الشرط.

الأمر :

من الأساليب الإنشائية الطلبية؛ وهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام .

وله صيغ أربع وهي :

- فعل الأمر الأصلي :(قم ، اعمل ، كل ...)
- المضارع المقترن بلام الأمر (لينفق الكريم على أهله).
- اسم فعل الأمر : (صه يا هذا)
- المصدر النائب عن فعل الأمر : (صبرا في مجال المجد) .

ويكون الأمر حقيقيا إذا كان فيه طلب القيام بالفعل على وجه الاستعلاء والإلزام. ويخرج إلى أغراض مجازية تفهم من سياق الكلام منها :{ الدعاء ، النصح والإرشاد ،الالتماس ،

[1] - الأعراف ،الآية : 28

التعجيز ، التمني ، التخيير،التهديد ، التحقير،الإباحة ،التسوية ...}إلخ.

والمتأمل في مبحث أسلوب الأمر عند الزركشي يجده اكتفى بالإشارة إلى الأمر بـصيغته الأصلية ، واصطلح عليه بقوله: " الأمر حيث وقع في القرآن كان بغير الحرف "نحو قوله تعالى : وَأَقِيموا الصلاةَ وآتُوا الزكاةَ [1]

وقوله تعالى : كُلُوا مِن ثَمرِهِ [2].

وأشار إلى صيغة المضارع المقترن بلام الأمر، وقال عنه : " وجاء بالحرف في مواضع يسيرةعلى قراءة بعضهم "[3]نحو قوله تعالى: فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرحوا [4]؛ووجهه حمل المخاطب على الغائب إلى الخطاب ، فكأنه لاغائب ولا حاضر ؛ وذلك لأن قولـه تعـالى : قُـلْ بِفَضل اللهِ وبِرحمتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرحوا [5].

ولم يذكر الزركشي صيغ الأمر الأخرى ، كماأنه لم يتعرض إلى أغراضه البلاغية .

---

[1] - البقرة ، الآية :43
[2] - الأنعام : الآية :141
[3] - البرهان ،ج2 ، ص 231
[4] - يونس ،الآية :58
[5] - يونس ،الآية :58

التقديم والتأخير :

التقديم والتأخير من الأساليب البلاغية الكثيرة الدوران في كلام البشر عامة والمبدعين خاصة. وعلماء البلاغة يدخلون هذا الأسلوب تحت ما اصطلحوا عليه " بشجاعة العربية ".

ولقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى أهميته ، وفوائده الجمة ، ومحاسنه التي لا تنتهي ، حيث يقول : "هو باب كثير الفوائد ، جم المحاسن ، واسع التصرف بعيد الغاية ، لا يزال يفتر لك عن بديعة ، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه ، ويلطف عندك أن قدم فيه شيئ وحول اللفظ عن مكان إلى مكانه"[1].

وغير خاف ما لموضوع التقديم من قيمة جمالية فنية في البلاغة العربية عموما والأساليب القرآنية خصوصا .

والتقديم و التأخير يتخذ صورا كثيرة ومختلفة ، وهي : (تقديم المفعول / تقديم خبر المبتدأ عليه / تقديم الحال والاستثناء / تقديم الجار والمجرور/التقديم والتأخير في النفي/ التقديم والتأخير في الاستفهام / التقديم والتأخير بحسب الاستقراء).

والزركشي تحدث عن مكانة التقديم والتأخير عند العرب ،لأنه مكمن الفصاحة والتمكن في إدارة الكلام ، وتقليبه على وجوهه ، كما أن له في القلوب تأثيرا طيبا وعلى النفوس وقعا حسنا .

[1] - الجرجاني ،دلائل الإعجاز ، ص76،77

وعرفه الزركشي بقوله :" هو أحد أساليب البلاغة ؛ فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة ،وملكتهم في الكلام وانقياده لهم ، وله في القلـوب أحـسن موقـع ،وأعذب مذاق "[1].

ونبه الزركشي إلى الخلاف الذي وقع بين العلماء في اعتبار أسلوب التقديم والتأخير مـن باب المجاز أو الحقيقة .

فمنهم من قال : إنه من باب المجاز؛ لأن تقديم ما رتبته التأخير كالمفعول ، وتأخير مـا رتبته التقديم كالفاعل، نقل كل واحد منهما عن رتبته وحقه.

لكن الزركشي يرى ، وجمهرة من العلماء غير ذلك ؛ يقول الزركشي :" والصحيح أنـه ليس منه (المجاز) ؛ فإن المجاز نقل ما وضع له إلى مالم يوضع "[2].

أسباب التقديم والتأخير :

ذكر الزركشي جملة من الأسباب تدعو إلى التقديم نوجزها في النقاط الآتية :

1- أن يكون الأصل في اللفظ التقديم ، ولا يوجد سبب يقتضي العدول عـن ذلـك ، كتقديم المبتدأ عن الخبر ، والفاعل على المفعول ، وصاحب الحال عليها ؛ نحو : جاء زيد راكبا [3].

2- أن يكون في التأخير إفساد للمعنى المراد ، نحو قوله تعالى : وَقَالَ رجلٌ مؤْمِن مِن آل فِرعون يكْتُم إيمانَه [4].

فإن قوله : (من آل فرعون) لو أخر عن قوله " يكتم إيمانه" لتوهم أن الرجل ليس من آل فرعون .[5]

---

[1] - البرهان ،ج3 ، ص 149
[2] - المصدر نفسه ، ص ن
[3] - ينظر ، المصدر نفسه ، ص ن
[4] - غافر ، الآية :28
[5] - البرهان ، ج3 ، ص 149

3- أن يكون في التأخير إخلال بالتناسب ، فيقدم لرعاية الفواصل ، ولمشاكلة الكـلام نحو قوله تعالى : فَأَوجس فِي نَفْسِهِ خِيفَةً موسى [1] فإن قوله : (في نفسه) لو أخر عن (موسى) لما حدث تناسب في الفواصل ، لأن قبله : يخَيلُ إِلَيهِ مِـن سِحرِهِم أَنها تَسعى [2]وبعده : إِنك أَنْتَ الأَعلَى [3].

ونحو قوله تعالى : وتَغْشَى وجوههم النار [4] فقد أخر الفاعل عن المفعول لمناسبته لما بعده.

4- لعظمة المقدم والاهتمام به :نحو قوله تعالى : وأَقِيموا الصلاةَ وآتُـوا الزكـاةَ واركَعوا مع الراكِعِين [5] بدأ بالصلاة ، لأنها أهم .

وقوله تعالى : إِياك نَعبد وإِياك نَستَعِين [6] فقدم العبادة للاهتمام بها .

وقوله تعالى : وأَطِيعوا الله وأَطِيعوا الرسولَ [7].

قال الزركشي : (وذلك أن من عادة العرب الفصحاء إذا أخبرت عن مخبر ما وأناطـت به حكما وقد يشركه غيره في ذلك الحكم ، أو فيما أخبر عنه، وقد عطفت أحدهما علـى الآخر بالواو المقتضية عدم الترتيب ، فإنهم مع ذلك إنما يبدؤون بالأهم والأولى)[8]

[1] - طه ،الآية : 67
[2] - طه ، الآية 66
[3] - طه ، الآية : 68
[4] - ابراهيم ،الآية :50
[5] - البقرة ،الآية :43
[6] - الفاتحة ،الآية : 05
[7] - التغابن ،الآية :12
[8] - البرهان ،ج3 ،ص 150

5- أن يكون الخاطر ملتفتا إليه والهمة معقودة به ؛ نحو قوله تعالى : وجعلُوا لِلـهِ شُركَاء الْجِن [1] بتقديم الجار والمجرور (لله) على المفعول به الأول (الجن)،لأن الإنكار متوجه إلى الجعل لله، لا إلى مطلق الجعل"[2]

6- أن يكون التقديم لإرادة التبكيت و التعجيب : من خلال المذكور ، كتقديم المفعول الثاني على الأول كقوله تعالى : وجعلُوا لِلهِ شُركَاء الْجِن [3] والأصـل الجـن شركاء وقدم لأن المقصود التوبيخ ، وتقديم شركاء أبلغ في حصوله.

7- الاختصاص : وذلك بتقديم المفعول والخبر والظرف ،والجار والمجـرور علـى الفعل كقوله تعالى : إياك نَعبد [4] ، أي نخصك بالعبادة.

والخبر ، كقوله تعالى : قَالَ أَراغِب أَنْتَ عن آلِهتِي [5] والجـر والمجـرور كقولـه تعالى: إِن إِلَينَا إِيابهم ثُم إِن علَينَا حِسابهم [6]

أنواعه :

بين الزركشي أن أنواع التقديم والتأخير ثلاثة :

أ- أن يقدم والمعنى عليه.

ب- أن يقدم وهو في المعنى مؤخر.

ت- أو بالعكس .(ما قدم في موضع وأخر في موضع آخر)

ولذلك رأينا الزركشي يضيف قسما ثالثا على ما ذكره الجرجاني في دلائل الإعجاز.

[1] - الأنعام ،الآية :100
[2] - البرهان ، ج3 ،ص 151
[3] - الأنعام ،الآية :100
[4] - الفاتحة ، الآية 05
[5] - مريم ، الآية :46
[6] - الغاشية ،الآيتان 25،26

أولا : ما قدم والمعنى عليه :

وهو عند الزركشي ينقسم إلى خمسة وعشرين قسما

1- السبق وهو على أقسام :

أ- السبق بالزمان والإيجاد ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ﴾[1] .

قال ابن عطية : " المراد بالذين اتبعوه في زمن الفترة "[2]

ومنه قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3] ؛فإن الأزواج أسبق بالزمان ؛ لأن البنات أفضل منهن ، لكونهن بضعة منه صلى الله عليه وسلم.

ومن التقديم بالإيجاد تقديم السنة على النوم في قوله : ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[4] لأن العادة في البشر أن تأخذ العبد السنة قبل النوم ، فجاءت العبارة على حسب هذه العادة.

ويتطرق الزركشي إلى مسالة في قوله تعالى : ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[5] .

وفحوى المسألة : ما وجه تقديم الموت على الحياة في هذه الآية ؟

---

[1] - آل عمران ،الآية 68
[2] - البرهان ،ج3 ،ص 153
[3] - الأحزاب ،الآية :59
[4] - البقرة ،الآية :255
[5] - المؤمنون ،الآية : 37

فأجاب الزركشي بقوله :" لأجل مناسبة رؤوس الآي "[1]

ثم مسألة أخرى في قوله تعالى : إني متوفيك ورافِعك إلي [2] .

ما وجه تقدم التوفي على الرفع ؟

1- المراد بالتوفي النوم ، كقوله تعالى : يتوفاكم بالليل [3].

2- أن التاء في متوفيك " زائدة ،أي : موفيك عملك[4] .

2-<u>بالذات</u> : كقوله تعالى : مثنى وثُلاثَ ورباع [5].

وقوله تعالى : ما يكون مِن نَجوى ثَلاثةٍ إلا هو رابِعهم ولا خَمسةٍ إلا هو سادِسـهم ولا أدنَى مِن ذَلِك ولا أكْثَر إلا هو معهم [6] .

وقوله تعالى : سيقُولُون ثَلاثَةٌ رابِعهم كَلْبهم ويقُولُون خَمسةٌ سادِسهم كَلْبهم [7].

وكذلك جميع الأعداد مرتبة هي متقدمة على ما فوقها بالذات .

أما قوله تعالى : قُلْ إنما أعِظُكُم بِواحِدةٍ أن تَقُوموا لِلهِ مثْنَى وفُرادى ثُم تَتَفَكروا ما بِصاحِبِكُم مِن جِنةٍ [8] .

فوجه تقديم المثنى أن المعنى حثهم على القيام بالنصيحة لله ، وترك الهوى ، مجتمعين متساويين ،أو منفردين متفكرين .

ولا شك أن الأهم حالة الاجتماع ، فبدأ بها [9]

---

1 - البرهان ، ج3 ،ص 156
2 - آل عمران ،الآية :55
3 - الأنعام ، الآية : 60
4 - البرهان ، ج3 ، ص 156
5 - النساء ،الآية :03
6 - المجادلة ،الآية : 07
7 - الكهف ،الآية : 22
8 - سبأ ،الآية : 46
9 - البرهان ،ج3 ،ص 158

3- بالعلة والسببية :كتقديم " العزيز" على "الحكيم " ؛ لأنه عز فحكم .

ومنه قوله تعالى : ﴿إِياكَ نَعبد وإِياكَ نَستَعِين﴾[1] ، قدمت العبادة ، لأنها سـبب حـصول الإعانة.

وقوله تعالى : ﴿إِن اللَّه يحِب التوابِين ويحِب الْمتَطَهرِين﴾[2] ؛ فإن التوبة سبب الطهارة .

4- بالمرتبة : كتقديم "سميع " على " عليم " ،بدأ بالسميع لتعلقه بالأصوات .

وكقوله: ﴿غَفُور رحِيم﴾[3] ؛فإن المغفرة سلامة والرحمة غنيمة ، والسلامة مطلوبـة قبـل الغنيمة ؛ وإنما تأخرت في آية سبأ في قوله : ﴿الرحِيم الْغَفُور﴾[4] ؛لأنها منتظمة في سلك تعداد أصناف الخلق من المكلفين وغيرهم .

5- بالداعية : كتقديم الأمر بغض الأبصار على حفظ الفروج في قوله تعالى : ﴿قُلْ لِلْمؤْمِنِين يغُضوا مِن أَبصارِهِم ويحفَظُوا فُروجهم﴾[5] .

لأن البصر داعية إلى الفرج . لقوله صلى الله عليه وسلم : " العينيان تزنيـان والفـرج يصدق ذلك أو يكذبه "[6]

6- التعظيم : كقوله تعالى : ﴿شَهِد اللَّه أَنَّه لا إِلَه إِلا هو والْملائِكَةُ وأُولُوا الْعِلْمِ﴾[7].

[1] - الفاتحة ،الآية :05
[2] - البقرة ،الآية :222
[3] - البقرة ،الآية : 173
[4] - سبأ ،الآية :02
[5] - النور ، الآية :30
[6] - ينظر ،أحمد ابن حنبل ، المسند ، ج2 ، ص 372،411،528،5354
[7] - آل عمران ،الآية :18

7- الشرف وهو أنواع :

- **شرف الرسالة** : كقوله تعالى: وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ ولا نبي [1] فـإن الرسول أفضل من النبي .

وقوله تعالى: وكان رسولا نبيا [2]

- **شرف الذكورة** : كقوله تعالى : إن المسلمين والمسلماتِ [3].
- **شرف الحرية** : كقوله تعالى : الحر بالحر والعبد بالعبدِ [4]
- **شرف العقل** : كقوله تعالى: يسبح له من في السماواتِ والأرض والطير صافاتٍ [5].
- **شرف الإيمان** : كقوله تعالى: وإن كان طائفةٌ منكم ءامنوا بالـذي أرسـلت بـه وطائفةٌ لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين [6].
- **شرف العلم** : كقوله تعالى : قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألبابِ [7].
- **شرف الحياة** : كقوله تعالى : يخرج الحي من الميتِ ويخرج الميتَ من الحـي ويحي الأرض بعد موتها وكذلك تُخرجون [8].
- **شرف المعلوم** : نحو قوله تعالى : عالِم الغيبِ والشهادةِ فتعالى عما يشركون [9] ؛فإن علم الغيبيات أشرف من المشاهدات . ومنه : يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون [10].

---

[1] - الحج ،الآية :52
[2] - مريم ،الآية : 54
[3] - الأحزاب ، الآية :35
[4] - البقرة ،الآية : 178
[5] - النور ،الآية : 41
[6] - الأعراف ،الآية : 87
[7] - الزمر ،الآية :09
[8] - الروم ،الآية :19
[9] - المؤمنون ،الآية :92
[10] - الأنعام ،الآية : 03

- **شرف الإدراك** : كتقديم السمع على البصر ،والسميع على البصير ؛ لأن السمع أشرف على أرجح القولين عند جماعة ، وقدم القلب عليها في قوله تعالى : ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم [1] ؛ لأن الحواس خدمة للقلب ، وموصلة اليه .
- **شرف المجازاة** : كقوله تعالى: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون [2].
- **شرف العموم** : فإن العام أشرف من الخاص ؛ كتقديم العفو على الغفور ، لأن العفو أعم ولذلك قدم ، والمغفرة أخص ولذلك أخرت [3].
- **شرف الإباحة للإذن بها** : كقوله تعالى: ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون [4].
- **شرف الفضيلة** : كقوله تعالى: ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً [5]. وقوله : وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا [6].

وقوله: محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم [7]

---

[1] - البقرة ،الآية : 07
[2] - الأنعام ،الآية :160
[3] - ينظر ،البرهان ،ج3 ،ص 163
[4] - النحل ،الآية :116
[5] - النساء ،الآية :69
[6] - الأحزاب ،الآية :07
[7] - سورة الفتح ،الآية :29

8- الغلبة والكثرة :

كقوله تعالى: فَمِنْهم ظَالِم لِنَفْسِهِ ومِنْهم مقْتَصِد ومِنْهم سابِقٌ بِالْخَيراتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِك هو الْفَضلُ الْكَبِير [1]، قدم الظالم لكثرته .

وقوله: فَمِنْهم شَقِي وسعِيد [2].

ومنه قوله تعالى: قُلْ لِلْمؤْمِنِين يغُضوا مِن أَبصارِهِم ويحفَظُوا فُروجهم ذَلِك أَزكَى لَهم إِن الله خَبِير بِما يصنَعون [3]

قال الزمخشري :" قدم غض البصر ؛ لأن النظر بريد الزنى ،ورائد الفجور ، والبلوى به أشد وأكثر ، ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه "[4].

9- سبق ما يقتضي تقديمه :

وهو دلالة السياق ، كقوله تعالى: ولَكُم فِيها جمالٌ حِين تُرِيحون وحِين تَسرحون [5].؛ لما كان إسراحها وهي خماص ،وإراحتها وهي بطان ، قدم الإراحة لأن الجمال بها حينئذ أفخر.

10- مراعاة اشتقاق اللفظ :

كقوله تعالى: لِمن شَاء مِنْكُم أَن يتَقَدم أَو يتَأَخر [6] .

وقوله تعالى : ثُلَّةٌ مِن الأَولِين وثُلَّةٌ مِن الآخِرِين [7].

---

[1] - فاطرة ،الآية :32
[2] - هود ،الآية : 105
[3] - النور ،الآية :30
[4] - البرهان ،ج3 ، ص 167
[5] - النحل ،الآية :06
[6] - المدثر ،الآية :37
[7] - الواقعة ،الآيتان :39،40

11- للحث عليه خيفة التهاون :

كتقديم تنفيذ الوصية على وفاء الدين في قوله تعالى : ﴿مِن بعدِ وصِيةٍ يوصِي بِها أو دينٍ﴾ [1] ؛ فإن وفاء الدين سابق على الوصية ،لكن قدم الوصية ،لأنهم كانوا يتساهلون بتأخيرها، بخلاف الدين [2]

12- لتحقيق ما بعده واستغنائه هو عنه في تصوره :

كقوله تعالى : ﴿إن الذِين آمنُوا وعمِلُوا الصالِحاتِ سيجعلُ لَهم الرحمان ودا﴾ [3].

13- الاهتمام عند المخاطب :

كقوله تعالى : ﴿وإذَا حييتُم بِتَحِيةٍ فَحيوا بِأَحسن مِنْها أَو ردوها﴾ [4].

14- للتنبيه على أنه مطلق لا مقيد :

كقوله تعالى : ﴿وجعلُوا لِلهِ شُركَاء الْجِن وخَلَقَهم وخَرقُوا لَه بنِين وبنَاتٍ بِغَيرِ عِلْمٍ سبحانَه وتَعالَى عما يصِفُون﴾ [5] ، على القول بأن الله في موضوع المفعول الثاني لـ " جعل" و "شركاء" مفعول أول ، ويكون "الجن " في كلام ثان مقدر كأنه قال : (فمن جعلوا شركاء قيل الجن ، وهذا يقتضي وقوع الإنكار على جعلهم " لله شركاء" على الإطلاق)[6] .

[1] - النساء ،الآية : 11
[2] - البرهان ، ج3 ، ص 169
[3] - مريم ،الآية : 96
[4] - النساء ،الآية :86
[5] - الأنعام ،الآية:100
[6] - البرهان ،ج3 ،ص 171

15- للتنبيه على أن السبب مرتب :

كقوله تعالى: يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون [1].

قدم الجباه ، ثم الجنوب ؛لأن مانع الصدقة في الدنيا كان يصرف وجهه أولا عن السائل ،ثم ينوء بجانبه ،ثم يتولى بظهره.

16- التنقل :

وقد يكون من أقرب إلى الأبعد ، كقوله تعالى : يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون [2].

أو بالعكس ،وإما من الأعلى ،وإما من الأدنى .

العكس كقوله تعالى : إن في السماوات والأرض لآيات للمؤمنين وفي خلقكم وما يبث من دابة ءايات لقوم يوقنون [3].

من الأعلى : كقوله تعالى: شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم [4] .

من الأدنى : كقوله تعالى : ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون [5]

[1] - التوبة ،الآية :35
[2] - البقرة ،الآية : 21،22
[3] - الجاثية ، الآيتان :3،4
[4] - آل عمران ، الآية :18
[5] - التوبة ،الآية : 121

17- الترقي :

كقوله تعالى : ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ﴾[1].

18- مراعاة الإفراد :

كقوله تعالى : ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[2].

19- التحذير منه والتنفير منه :

كقوله تعالى : ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[3] ؛ قرن الزنى بالشرك وقدمه.

وقوله: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[4] ؛قدمهن في الذكر ؛ لأن المحنة بهن أعظم من المحنة بالأولاد.

وأشار الزركشي إلى حكمة عظيمة حين بدأ السياق القرآني - ها هنا - بذكر النساء في الدنيا ، وختم بـ" الحرث" وهما طرفان متشابهان ، وفيهما الشهوة والمعاش الدنيوي ،ولما ذكر بعد ذلك ما أعده للمتقين آخر ذكر الأزواج كما يجب في الترتيب الأخروي وختم بالرضوان .

[1] - الأعراف ،الآية : 195
[2] - الكهف ،الآية :46
[3] - النور ،الآية : 03
[4] - آل عمران ،الآية :14

ثم يعقب الزركشي قائلا : " وكم في القرآن من مثل هذا العجب إذا حضر لـه الـذهن ، وفرغ له الفهم "[1]

20- التخويف منه :

كقوله تعالى : يوم يأْتِ لا تَكلم نَفْس إلا بِإذْنِه فَمِنْهم شَقِي وسعِيد [2].

21- التعجيب من شأنه:

كقوله تعالى: فَفَهمنَاها سليمان وكُلا آتَينَا حكْما وعِلْما وسخرنَا مع داوود الْجِبالَ يـسبحن والطير وكُنا فَاعِلِين [3].

22- كونه أدل على القدرة:

كقوله تعالى : والله خَلَقَ كُل دابةٍ مِن ماءٍ فَمِنْهم من يمشِي علَى بطْنِهِ ومِنْهم من يمـشِي علَى رِجلَين ومِنْهم من يمشِي علَى أَربعٍ يخْلُقُ الله ما يشَاء إِن اللـه علَـى كُـل شَـيءٍ قَدِير [4].

23- قصد الترتيب :

كمافي آية الوضوء دليل على ذلك .

---

1 - البرهان ،ج3 ،ص 173
2 - هود ،الآية : 105
3 - الأنبياء ،الآية :79
4 - النور ، الآية :45

24- خفة اللفظ :

كما في قولهم : ربيعه ومضر مع أن مضر أشرف لكون النبي صلى الله عليه وسلم منها.

25 – رعاية الفواصل :

كقوله تعالى : خُذُوه فَغُلوه ثُم الْجحِيم صلوه [1] .

ولو قال :صلوه الجحيم لأفاد المعنى ؛ولكن يفوت الجمع أي : الجمع بـين الفاصـلة وأثرها الموسيقى ، والمعنى المراد .

ثانيا : ماقدم والنية به التأخير:

وقسمه الزركشي إلى قسمين :

1- **مايدل عليه الإعراب** : كتقديم المفعول على الفاعل كقوله تعالى: ﴿ إِنمـا يخْـشَى الله مِن عِبادِهِ الْعلَماء إِن الله عزِيز غَفُور [2] .

2- **مايدل على المعنى** : كقوله تعالى: ﴿وإِذْ قَتَلْتُم نَفْسا فَادارأْتُم فِيها والله مخْرِج مـا كُنتُم تَكْتُمون [3] على جهة التوكيد ،لأنه عرفهم الاختلاف في القاتل بعد أن دلهـم على ذبح البقرة [4].

ثالثا ماقدم في آية وأخر في أخرى :

عد منه الزركشي قوله تعالى في سورة الفاتحة " الحمد لله " وفي خاتمـة الجاثيـة "فللـه الحمد " .

ونبه أن تقديم الحمد في الأولى جاء على الأصل ، والثاني على تقدير الجواب [5]

---

[1] - الحاقة ،الآيتان :30،31
[2] - فاطر ،الآية :28
[3] - البقرة ،الآية :72
[4] - البرهان ،ج. ،ص 176
[5] - المصدر نفسه ،ص 176

وعد من أنواعه : أن يقوم اللفظ في الآية ويتأخر فيها لقصد أن يقع البداءة والخـتم بـه للإغناء بشأنه وذلك كقوله تعالى: يوم تَبيض وجوه وتَسود وجوه فَأما الـذِين اسـودتْ وجوههم أَكفَرتُم بعد إِيمانِكُم فَذُوقُوا الْعذَاب بِما كُنْتُم تَكْفُرون [1] .

ومنها أن يقع التقديم في موضع والتأخير في آخر ،واللفظ واحد ، والقضية واحدة للتفـنن في الفصاحة ،وإخراج الكلام على عدة أساليب ،كما في قوله تعالى: وادخُلُوا الْباب سجدا وقُولُوا حِطةٌ نَغْفِر لَكُم خَطَاياكُم وسنَزِيد الْمحسِنِين [2]

وقوله : وقُولُوا حِطةٌ وادخُلُوا الْباب سجدا نَغْفِر لَكُم خَطِيئَاتِكُم سنَزِيد الْمحسِنِين [3]

ما نختتم به مبحث التقديم والتأخير عند الزركشي ،يتمثل في الإشارة إلى ما تفردبه فـي هذا الباب ، ونحوصله فيما يلي :

1- التقديم لتحقق ما بعده.

2- التقديم للتحذير منه ، والتنفير عنه.

3- التقديم للتعجيب من شأنه.

4- التقديم للتنبيه على أن السبب مرتب.

ودلت هذه الفروع الأربعة على تميز الزركشي في باب التقديم والتـأخير ،وأن الرجـل عالجه معالجة شاملة وعميقة ،أسفرت مع الفروع الأخرى عن مناحي الجمال والإعجـاز في الأساليب القرآنية .

ودل على عبقرية الزركشي في مدى تذوقه للأساليب القرآنيـة ،وتعمقـه فـي فهمهـا ، واستنباط وجوه الجمال فيها.

[1] - آل عمران ،الآية :106

[2] - البقرة ،الآية :58

[3] - الأعراف ،الآية :161

أسلوب الحذف :

الحذف من الأساليب البلاغية التي اشتهرت بها اللغة العربية ، وسماه ابن جني : " شجاعة العربية " ؛لأنه تكمن فيه أسرار ومزايا وفوائد لايدركها إلا الخبير بأساليب الكلام ، الحاذق بأسرار اللغة ، البصير بطرائق القول ، فالمتكلم يطوي جزء من أجزاء الكلام ، ولايختل المعنى بهذا الطي ،بل يزداد به حسنا وبهاء ورونقا ، وتكثر فوائده ومزاياه.

والبصير بأفانين القول وأفنانها هو الوحيد الذي يستطيع ممارسة هذا اللون من ألوان الكلام ويفقه مواطنه ، ويعرف متى يستجاد ، ويدرك أسباب الإجادة.

ولذا قال عنه الإمام عبد القاهر الجرجاني : " هو باب دقيق المسلك ،لطيف المأخذ ، عجيب الأمر شبيه بالسحر ، فإنك ترى به ترك الذكر ،وأفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة ، أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ؛ وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن ".[1]

وقد كثر الحذف في اللغة وتنوع ، فنرى حذف الكلمة حرفا وفعلا واسما ، مضافا ومضافا إليه ، فاعلا ومفعولا ، صفة وموصوفا ،خبرا ومبتدأ ، نرى حذف الجملة ، وحذف الجمل وحذف الأجوبة ، جواب الشرط ،جواب القسم وجواب الاستفهام كما نرى حذف جزء من الكلمة وبقاء جزء ، ولابد في كل حذف من دليل يدل على المحذوف ، ومن سر بلاغي يستدعي الحذف .

والحذف في أساليب القرآن العظيم يتطلب عقلا حاضرا ،وذهنا متوقدا ، ونظرا ثاقبا ، وقبل هذه الأمور أذنا واعية ،حتى يستطيع متلقى تلك الحواس المهيأة للإدراك ،أن يدرك من أسرار الحذف في القرآن مايشاء الله له أن يدرك ، وأن يمتع بجمالها ، ويسبح في فضاءاتها ، ويغنم من دررها وبدائعها غنائم وفرائد ما بعدها من فرائد.

[1] - الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 100

الحذف عند الزركشي :

ماهية الحذف :

يستهل الإمام الزركشي الحديث عن باب الحذف بالإشارة إلى ماهيته حيث عرفه من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية .

فالحذف عنده لغة هو : الإسقاط .

أما اصطلاحا : هو إسقاط جزء الكلام أو كله لدليل [1].

ثم عرج على قضية الخلط بين الحذف والإضمار ، والحذف والإيجـاز ، التي وقع فيها بعض من النحويين واللغويين ، حيث حاول أن يجلـي الفـرق فـي هـذه المسائل .

فأبان عن الفرق بين الحذف والإيجاز بقوله : " والفـرق بينهمـا أن شـرط الحذف والإيجاز أن يكون في الحذف ثم مقدر ، نحو : واسأل الْقَريةَ [2] بخلاف الإيجاز ؛ فإنه عبارة عن اللفظ القليل الجامع للمعاني الجمة بنفسه"[3] .

أما الفرق بينه وبين الإضمار ؛ أن شرط المضمر بقاء أثر المقدرفي اللفظ نحو:

يدخِلُ من يشَاء فِي رحمتِهِ والظالِمِين أعد لَهم عذَابا أَلِيما [4].

واعتبر الزركشي الحذف من باب المجاز إذا كان يرادبه إسناد الفعل إلى غيره ، وهو ما يعرف بالمجاز العقلي ، وإلا فهو حقيقة .

---

[1] - البرهان ،ج3 ، ص 67
[2] - يوسف ، الآية :82
[3] - البرهان ،ج3 ،ص 67
[4] - الإنسان ،الآية :31

يقول : " والتحقيق أنه إن أريد بالمجاز استعمال اللفظ في غير موضعه فالمحذوف ليس كذلك ؛ لعدم استعماله ، وإن أريد بالمجاز إسناد الفعل إلى غيره ـ وهو المجاز العقلي ـ فالحذف كذلك "[1].

كما بين أن الذكر هو الأصل في الكلام ، والحذف فرع ، قد تقتضيه الضرورة، ولـ ذلك يقول الزركشي : " والحذف خلاف الأصل ؛ وعليه ينبني فرعان :

أ- إذا دار الأمر بين الحذف وعدمه ، كان الحمل على عدمه أولى ، لأن الأصل عدم التغيير.

ب- إذا دار الأمر بين قلة المحذوف وكثرته ؛ كان الحمل على قلته أولى "[2]

وبعدها عالج أسلوب الحذف من وجوه خمسة وهي :

- فوائده .
- أسبابه .
- أدلته .
- شروطه.
- أقسامه.

[1] - البرهان ، ج3 ، ص 68
[2] - البرهان ،ج3 ،ص 68

أولا : فوائده : عد من فوائده :

- التفخيم والإعظام لما فيه من الإبهام .
- زيادة لذة بسبب استنباط الذهن للمحذوف ، وكلما كان الـشعوربالمحذوف أعـسر كان الالتذاذ به أشد وأحسن .
- طلب الإيجاز والاختصار ، وتحصيل المعنى الكثير في اللفظ القليل .
- التشجيع على الكلام ، ومن ثم سماه ابن جني : (شجاعة العربية).
- موقعه في النفس من موقعه على الذكر.

ثانيا ثم بين الأسباب الداعية للحذف وهي :

- مجرد الاختصار والاحتراز عن العبث بناء على الظاهر ،نحو الهـلال والله ، أي هذا ، فحذف المبتدأ استغناء عنه بقرينة شهادة الحال.
- التنبيه على أن الزمان يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف ، وأن الاشـتغال بـذكره يفضي إلى تفويت المهم ، وهذه من فوائد باب التحذير والإغراء ، وجمعا في قوله تعالى ﴿ فَقَالَ لَهم رسولُ اللهِ نَاقَةَ اللهِ وسقْياها ﴾[1] ، على التحذير ؛ أي احذروا ناقة الله فلا تقربوها و " سقياها" إغراء بتقدير الزموا ناقة الله.
- التفخيم والإعظام على ما قال به حازم من أنه يحسن الحذف مالم يشكل به المعنى لقوة الدلالة عليه ،أو يقصد به تعديد أشياء فيكون فـي تعـدادها طـول و سـآمة ،فيحذف ، ويكتفى بدلالة الحال عليه.
- ومنه قوله تعالى : ﴿ فَأَتْبعهم فِرعون بِجنُودِهِ فَغَشِيهم مِن الْيم ما غَشِيهم ﴾[2]؛ مـالا يعلم كنهه إلا الله .
- التحقيق ؛لكثرة دورانه في كلامهم ، كما حذف حرف النداء ،في نحو:

---

[1] - الشمس ، الآية :13
[2] - طه ،الآية :78

يوسفُ أَعرض عن هذَا واستَغْفِري لِذَنْبِك إِنكِ كُنتِ مِن الْخَاطِئِين [1] ، والتقـدير : "يا يوسف ".

- حذف نون التثنية والجمع ،وأثرها باق ، نحو قوله تعالى : والْمقِيمِـي الـصلاةِ ومِما رزقْنَاهم ينْفِقُون [2] ، كأن النون ثابتة ،فعلوا ذلك لاسـتطالة الموصـول فـي الصلة نحو : والليل إِذَا يسر [3] حذفت الياء للتخفيف.
- رعاية الفاصلة ، نحو : ما ودعك ربك وما قلَى [4]. ، واستند إلى ما قاله الرماني :" إنما حذفت الياء في الفواصل ،لأنها على نية الوقف ، وهي في ذلك كـالقوافي التي لايوقف عليها بغير ياء"[5].
- أن يحذف صيانة له : كقوله تعالى: قَالَ فِرعون وما رب الْعالَمِين [6] إلى قوله : إن كنتم تعقلون [7] ؛ حذف المبتدأ في ثلاثة مواضع قيل ذكر الرب أي : هـو رب السموات . والله ربكم . والله رب المشرق ؛ لأن موسى عليه السلام استعظم حال فرعون وإقدامه على السؤال تهيبا وتفخيما ، فاقتصر على ما يستدل به مـن أفعاله الخاصة به ليعرفه أنه ليس كمثله شيئ وهوالسميع البصير "[8].
- صيانة اللسان عنه ، كقوله : صم بكْم عمي فَهم لا يرجِعون [9] ،أي هم .
- كونه لايصلح إلا له :كقوله تعـالى : عـالِمِ الْغَيـبِ والـشهادةِ فَتَعـالَى عمـا يشْرِكُون [10].

[1] - يوسف ،الآية :29
[2] - الحج ،الآية :35
[3] - الفجر ،الآية : 04
[4] - الضحى ،الآية :03
[5] - البرهان ، ج3 ، ص 70
[6] - الشعراء ،الآية : 23
[7] - البرهان ،ج3 ،ص 70
[8] - البرهان ، ج3 ، ص 70
[9] - البقرة ،الآية : 18
[10] - المؤمنون ، الآية :92

- شهرته حتى يكون ذكره وعدمه سواء.

ثالثا في أدلته :

1- أن يدل عليه العقل حيث تستحيل صحة الكلام عقلا إلا بتقدير محـذوف ، كقوله تعالى: واسأل الْقَريةَ [1]،فإنه يستحيل عقلا تكلم الأمكنة إلا معجزة.

2- أن يدل العقل عليهما ،أي على الحذف والتعيين ، كقوله تعالى : وجـآء ربك والْملَك صفا صفا [2] أي أمره ،أو عذابه أو ملائكته ؛لأن العقـل دل على ذلك.

3- أن يدل العقل على أصل الحذف والشروع في الفعل على تعيين المحذوف ، كقوله تعالى: قَالَتْ فَذَلِكُن الذِي لُمتُنِني فِيهِ ولَقَد راودتـه عـن نَفْـسِهِ فَاستَعصم ولَئِن لَم يفْعلْ ما آمره لَيسجنَن ولَيكُوناً مِن الصاغِرِين [3].

4- أن تدل العادة على تعيين المحذوف ، كقوله تعالى: قَالُوا لَو نَعلَم قِتَـالاً لاتبعنَاكُم هم لِلْكُفْرِ يومئِذٍ أَقْرب مِنْهم لِلإيمان يقُولُون بِأَفْواهِهِم ما لَيس فِـي قُلُوبِهِم والله أَعلَم بِما يكْتُمون [4]،أي مكان القتال .

5- أن يدل اللفظ على الحذف والشروع في الفعل على تعيين المحذوف ،كقوله تعالى : بســـــمِ اللهِ [5]فإن اللفظ يدل على أن فيه حذفا ، لأن حـرف الجر لا بد له من متعلق ، ودل الشروع على تعيينه.

---
[1] - يوسف ،الآية :82
[2] - الفجر ،الآية :22
[3] - يوسف ،الآية :32
[4] - آل عمران ،الآية : 167
[5] - الفاتحة ،الآية :01

6- أن تدل عليه العادة الشرعية ؛ كقوله تعالى: ﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم﴾[1] ؛ فإن الذات لا تتصف بالحل والحرمة شرعا ، إنما هما من صفات الأفعال الواقعة على الذوات.

رابعا : شروطه :

1- أن تكون في المذكورة دلالة على المحذوف وهذا الشرط إنما يحتاج إليه إذا كان المحذوف الجملة بأسرها كقوله تعالى : ﴿قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ﴾[2]،أي سلمنا سلاما ، وكقوله تعالى ﴿الحمد لله رب العالمين﴾[3]أي احمدوا الحمد.

وأما إذا كان المحذوف فضله فلا يشترط لحذفه دليل ، ولكن يشترط ألا يكون في حذفه إخلال بالمعنى أو باللفظ كمافي حذف العائد المنصوب[4] .

خامسا :أقسامه:

1- الاقتطاع: ومعناه ذكر حرف من الكلمة وإسقاط باقي الكلمة ومثل له بقوله تعالى : ﴿يأيها الذين ءامنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين﴾[5]أن الباء هنا أول كلمة "بعض "

[1] - النحل ،الآية :115
[2] - هود ، الآية :69
[3] - الفاتحة ،الآية :02
[4] - البرهان ،ج3 ،ص 74
[5] - المائدة ،الآية :06

2- الاكتفاء : وهو أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط فيكتفى بأحدهما عن الآخر ويختص بالارتباط غالبا،فإن الارتباط خمسة أنواع:

وجودي ،ولزومي ،وخبري ،وجوابي ،وعطفي ،ومثل له بقوله تعالى: الذين يؤمنون بالغيب [1]،أي الشهادة.

3- الضمير والتمثيل :

وهو يعني بالضمير أن يضمر من القول المجاور لبيان أحد جزئيه ، ومثاله قوله تعالى: ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون [2].

4- أن يستدل بالفعل لشيئين:وهو في الحقيقة لأحدهما فيضمر؛ للآخر فعل يناسبه ؛ كقوله تعالى : والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجةً مما أُوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصةٌ ومن يوقَ شُح نفسه فأولئك هم المفلحون [3] ، أي واعتقدوا الإيمان .

5- أن يقتضي الكلام شيئين فيقتصر على أحدهما ؛ لأنه المقصود كقوله تعالى حكاية عن فرعون : قال فمن ربكما يا موسى [4]، ولم يقل "وهرون "؛لأن موسى المقصود المتحمل أعباء الرسالة.

6- أن يذكر شيئان ،ثم يعود الضمير إلى أحدهما دون الآخر، كقوله تعالى : وإذا رأوا تجارةً أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً قل ما عند

---

[1] - البقرة ،الآية :03
[2] - الأنفال،الآية :23
[3] - الحشر ،الآية ،الآية :09
[4] - طه ،الآية : 49

الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين [1]؛ فحذف أحدهما لدلالـة المذكور عليه.

7- الحذف المقابلي :

وهو أن يجتمع في الكلام متقابلان فيحذف من واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه ،كقوله تعالى: أم يقُولُون افْتَراه قُـلْ إِن افْتَريتُه فَعلَي إِجرامِي وأَنَا برِيء مِما تُجرِمـون [2] ؛ فتقـديره إن افتريته فعلى إجرامي وأنتم براء منه ، وعليكم إجرامكم وأنا بـرئ منه ، ودلالة السياق قاطعة بهذه المحذوفات .

8- الاختزال :

وهو الافتعال ، من خزله ، قطع وسطه ، ثم نقل في الاصطلاح إلى حذف كلمة أو أكثر وهي إما اسم ، أو فعل ، أو حرف [3]

مواضع الحذف :

أولا –الاسم :

1- المبتدأ :

ومثاله قوله تعالى : سيقُولُون ثَلاثَةٌ رابِعهم كَلْبهم ويقُولُون خَمـسةٌ سادِسـهم كَلْبهم رجما بِالْغَيبِ ويقُولُون سبعةٌ وثَامِنُهم كَلْبهم قُلْ ربي أَعلَم بِعِدتِهم ما يعلَمهـم إِلا قَلِيلٌ فَلا تُمارِ فِيهِم إِلا مِراء ظَاهِرا ولا تَستَفْتِ فِيهِم مِنْهم أَحدا [4] أي هم ثلاثة ،وهـم خمسة ، وهم سبعة .

---

[1] - الجمعة ،الآية :11
[2] - هود ،الآية :35
[3] - البرهان ،ج3 ،ص 88
[4] - الكهف ،الآية : 22

وقوله تعالى : وقالوا اتخذ الرحمان ولدا سبحانه بل عباد مكرمون [1]،أي هم عباد

ثانيا :الخبر :

ومثاله قول تعالى: ﴿ أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ﴾ [2] أي دائم .

وقوله تعالى : ﴿ لولا أنتم لكنا مؤمنين ﴾ فأنتم مبتدأ ،والخبر محذوف أي حاضرون، وهو لازم الحذف هنا ، وبين ما يحتمل الأمرين حذف المبتدأ أو الخبر ، ومثاله قوله تعالى : ﴿ فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ﴾ [3] ؛ فإنه يحتمل حذف الخبر، أي أجمل ، أو حذف المبتدأ ، أي فأمري صبر جميل . وهذا أولى لوجود قرينة حالية –هي قيام الصبر- دالة على المحذوف ، وعدم قرينة حالية ، أو مقالية تدل على خصوص الخبر.

ثالثا : حذف الفاعل :

بين الزركشي أن المشهور امتناعه إلا في ثلاثة مواضع :

أ- إذا بنى الفعل للمفعول .

ب- في المصدر إذا لم يذكر معه الفاعل نحوه : ﴿ أو إطعام في يوم ذي مسغبة ﴾ [4].

ت- إذا لاقى الفاعل ساكنا من كلمة أخرى ،كقوله تعالى : ﴿ فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ﴾ [5]أي الشمس .

وبين أنه قد يحذف الفاعل ويقام المفعول مقامه مع بناء الفعل للمفعول وعد لذلك أسبابا منها :

---

[1] - الأنبياء ،الآية :26
[2] - الرعد ، الآية : 35
[3] - يوسف ،الآية : 18
[4] - البلد ،الآية :14
[5] - ص ،الآية :32

- العلم به كقوله تعالى : خُلِقَ الإنسان مِن عجلٍ سأُريكُم ءاياتِي فَلا تَستَعجِلُون [1].

- تعظيمه ومناسبة الفواصل نحو قوله تعالى : وما لأحدٍ عِنْده مِن نِعمةٍ تُجـزى [2] ولم يقل يجزيها.

وقوله تعالى : قُضِي الأمر الذِي فِيهِ تَستَفْتِيان [3] إذا كان الذي قضاه عظيم القدر .

رابعا : حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه :

مثل له بقول الله تعالى : حتى إِذَا فُتِحتْ يأجوج ومأجوج وهم مِـن كُـل حدبٍ ينسِلُون [4] أي سد يأجوج ومأجوج ،ونبه أن المضاف إذا علم جاز حذفـه مـع الالتفات إليه فيعامل الملفوظ به من عود الضمير عليه ومع إطراحه يصيرالحكم فـي عود الضمير القائم مقامه [5].

خامسا :حذف المضاف اليه :

نبه الزركشي إلى أنه أقل استعمالا كقوله تعالى : تِلْك الرسلُ فَضلْنَا بعـضهم علَـى بعضٍ [6]. أي على بعضهم ؛ وكل ما قطع عن الإضافة مما وجبت إضـافته معنـى لالفظا كقوله تعالى: لِلهِ الأمر مِن قَبلُ ومِن بعد ويومئِذٍ يفْرح الْمؤْمِنُون [7] أي مـن قبل ذلك ومن بعده.

سادسا :حذف المضاف والمضاف اليه :

بين الزركشي أنه قد يضاف إلى مضاف ، فيحذف الأول والثاني ، ويبقى الثالث كقوله تعالى: تَدور أَعينُهم كَالَذِي يغْشَى علَيهِ مِن الْموتِ [8] ،أي كدوران عين الذي يغشى عليه من الموت .

---

[1] - الأنبياء ،الآية :37
[2] - الليل ،الآية :19
[3] - يوسف ،الآية :41
[4] - الأنبياء ، الآية : 96
[5] - البرهان،ج3 ،ص 98
[6] - البقرة ،الآية :253
[7] - الروم ،الآية :04
[8] - الأحزاب ،الآية :19

وقوله تعالى: فَقَبضتُ قَبضةً مِن أَثرِ الرسول [1] أي :من أثر حافر فرس الرسول.
وقوله تعالى : فَإنها مِن تَقْوى القُلُوبِ [2] ،أي :من أفعال ذوي تقوى القلوب .

سابعا : حذف الجار والمجرور:

مثل له الزركشي بقوله تعالى : وءاخَرون اعتَرفُوا بِذُنُوبِهم خَلَطُوا عمـلاً صـالِحا وءاخَر سيئًا عسى اللهُ أَن يتُوب علَيهم إِن اللهَ غَفُور رحِيم [3] أي بسيئ وآخر سـيئا ،أي بصالح وكذا يحذف الجار والمجرور بعد أفعل التفضيل كقوله تعـالى : وإِن تَجهر بِالْقَول فَإِنه يعلَم السر وأَخْفَى [4] ،أي من السر.

ثامنا : حذف الموصوف :

كقوله تعالى : ذَلِك الْكِتَاب لا ريب فِيهِ هدى لِلْمتقِين [5] ،أي القوم المتقين.
وقوله تعالى : وعِنْدهم قَاصِراتُ الطرفِ عِين [6] ،أي حور قاصرات.
وقوله تعالى : ودانِيةً علَيهم ظِلالُها وذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيلاً [7] أي : وجنة دانية.

[1] - طه ،الآية :96
[2] - الحج ،الآية :32
[3] - التوبة ،الآية :102
[4] - طه ، الآية :07
[5] - البقرة ،الآية :02
[6] - الصافات ،الآية :48
[7] - الإنسان ،الآية :14

تاسعا : حذف الصفة :

ونبه الزركشي إلى أن حذف الصفة أكثر ما يكون للتفخيم والتعظيم في النكرات وكأن التنكير حينئذ علم عليه ، كقوله تعالى : فَلا نُقِيم لَهم يوم الْقِيامةِ وزنًـا [1]،أي وزنا نافعا.

وكقوله تعالى: الَذِي أَطْعمهم مِن جوعٍ وآمنَهم مِن خَوفٍ [2] ،أي :من جـوع شـديد وخوف عظيم .

وقوله تعالى : وكَان وراءهم ملِك يأْخُذُ كُل سفِينَةٍ غَصبا [3] ،أي صالحة.

عاشرا : حذف المعطوف :

كقوله تعالى : وإِذَا أَردنَا أَن نُهلِك قَريةً أَمرنَا مترفِيها فَفَسقُوا فِيها فَحق علَيها الْقَـولُ فَدمرنَاها تَدمِيرا [4] ،أي أمرنا مترفيها ،فخالفوا الأمر، ففسقوا.

الحادي عشر :حذف المعطوف عليه :

كقوله تعالى : فَأَوحينَا إِلَى موسى أَن اضرِب بِعصاك الْبحر فَانفَلَقَ فَكَان كُل فِـرقٍ كَالطَودِ الْعظِيمِ[5] ، التقدير :فضرب فحذف المعطوف عليه ،وهـو ضـرب وحـرف العطف وهو الفاء المتصلة ب "انفلق " فصار "فانفلق" فالفاء الداخلة على انفلـق هـي الفاء التي كانت متصلة ب "ضرب " ،وأما المتصلة ب " انفلق " محذوفة .

[1] - الكهف ،الآية :105
[2] - قريش ،الآية :04
[3] - الكهف ،الآية :79
[4] - الإسراء ،الآية :16
[5] - الشعراء ،الآية :63

الثاني عشر : حذف المبدل منه :

وأشار الزركشي إلى أنهم اختلفوا فيه ،وخرج عليه قوله تعالى: ولا تَقُولُوا لِما تَصِفُ أَلْسِنَتُكُم الْكَذِب هذَا حلالٌ وهذَا حرام لِتَفْتَروا علَى اللهِ الْكَذِب إِن الَّذِين يفْتَرون علَى اللهِ الْكَذِب لا يفْلِحون [1]. أي هو بدل من الكذب.

الثالث عشر :حذف الموصول :

كقوله تعالى: آمنا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَينَا وأُنْزِلَ إِلَيكُم وإِلَهنَا وإِلَهكُم واحِد ونَحن لَه مسلِمون [2] أي : والذي أنزل إليكم ؛ لأن الذي أنزل إلينا ليس هو الذي أنزل إلى من قبلنا ؛ولذلك أعيدت "ما" بعد "ما" في قوله: قُولُوا آمنا بِاللهِ وما أُنزِلَ إِلَينَا وما أُنزِلَ إِلَى إِبراهِيم وإِسماعِيلَ وإِسحاقَ ويعقُوب والأَسباطِ وما أُوتِي موسى وعِيسى وما أُوتِي النَّبِيون مِن ربهِم لا نُفَرقُ بين أَحدٍ مِنْهم ونَحن لَه مسلِمون [3] .

الرابع عشر : حذف المخصوص في باب "نعم" إذا علم من سياق الكلام :

كقوله تعالى: ووهبنَا لِداوود سلَيمان نِعم الْعبد إِنه أَواب [4] ،والتقدير : نعم العبد أيوب ،أو نعم العبد هو ؛ لأن القصة في ذكر أيوب ،فإن قدرت نعم العبد هو ، لم يكن "هو" عائدا على العبد ، بل على أيوب.

وقوله تعالى: سلام علَيكُم بِما صبرتُم فَنِعم عقْبى الدار [5] أي :عقباهم .

---

[1] - النحل ،الآية :116
[2] - العنكبوت ،الآية :46
[3] - البقرة،الآية :136
[4] - ص ،الآية :30
[5] - الرعد ،الآية :24

وقوله تعالى : ﴿ونعم أجر العاملين﴾ [1] أي أجرهم.

الخامس عشر :حذف الضمير المنصوب المتصل وهو في أربعة أبواب هي :

1- الصلة ،كقوله تعالى : ﴿أهذا الذي بعث الله رسولا﴾ [2].أي بعثه.

2- الصفة ،كقوله تعالى: ﴿واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون﴾ [3] أي فيه .

3- الخبر ،كقوله تعالى : ﴿وكلاً وعد الله الحسنى﴾ [4] في قراءة ابن عامر.

4- الحال.

وأشارإلى أن الحذف في "الصلة" يتأكد أكثر منه في الصفة والخبردون ذلك ،حيث يقول : (فكان الحذف آكد في الصلة من الصفة ،لأن هنا شيئيين يدلان على الحذف ؛ الصفة يستدعي موصوفا ، والعامل يستدعيه أيضا)[5].

السادس عشر : حذف المفعول وهو نوعان :

أ- أن يكون مقصودا مع الحذف فينوى لدليل ويقدر في كل موضع ما يليق به ،كقوله تعالى: ﴿فعال لما يريد﴾ [6] أي يريده ،فحذف ضمير المفعول تخفيفا وغرضه الحذف في هذا المقام : إما قصد الاختصار عند قيام القرائن ،أو قصد الاحتقار ،أو قصد التعميم،أو رعاية الفاصلة ،نحو قوله تعالى : ﴿والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى﴾ [7] ،أي ما قلاك ،فحذف المفعول ؛ لأن فواصل الآي على الألف ،والبيان بعد الإلهام كمافي مفعول المشيئة والإرادة .

---

[1] - آل عمران ،الآية :136
[2] - الفرقان ،الآية :41
[3] - البقرة ،الآية :48
[4] - النساء ،الآية :95
[5] - البرهان ،ج3 ، ص 106
[6] - البروج ،الآية :16
[7] - الضحى ،الآية 1،2،3

ت- ألا يكون المفعول مقصودا أصلا : ينزل الفعل المتعدي منزله القاصـر وذلـك عند إرادة وقوع نفس الفعل فقط وجعل المحذوف نسيا منسيا كما نسي الفاعل عند بناء الفعل فلا يذكر المفعول ولا يقدر غير أنه لازم الثبوت عقلا لموضـوع كـل فعل متعد ،لأن الفعل لايدري تعيينه.

وغرض الحذف هنا :البيان بعد الإلهام ،والمبالغة ،ومثاله قوله تعالى: ولَمـا ورد مـآء مدين وجد علَيهِ أُمةً مِن الناسِ يسقُون ووجد مِن دونِهِم امرأتَين تَذُودان قَالَ ما خَطْبكُمـا قَالَتَا لا نَسقِي حتى يصدِر الرعاء وأَبونَا شَيخٌ كَبِير [1] حذف منها المفعول خمس مـرات ،لأنه غير مراد وهو قوله :"يسقون" وقوله :"تذودان" ،وقوله : " لا نَسقِي حتـى يـصدِر الرعاء" "مواشيهم " فسقى لهم " غنهما .

وكقوله تعالى : أَمرنَا مترِفِيها فَفَسقُوا فِيها [2]،أي :أمرناهم بالفسق ؛ وهو مجـاز عـن تمكينهم وإقدارهم .

ونبه العلماء على أن حذف المفعول به من أكثر المحذوفات عناية لكثرة وروده في القرآن الكريم ، ودلالاته الجمالية ، يقول الزجاج : " إنه لو حاول إنسان أن يأتي بجميع مـافي التنزيل من حذف المفعول به لتوالت عليه الفتوق ولم يستطع القيام به لكثرتـه ويقـرن ذلك بمن يستقي من بئر زمزم فيغلبه)[3].

وأشار ابن جني إلى كثرة حذفه ووعورة مركبه قائلا: " أن حذفه كثير ، ولا يركبـه إلا من قوي طبعه ، وأن حذفه أقوى دليل على قوة عربية الناطق "[4]

---

[1] - القصص ، الآية :23

[2] - الإسراء ،الآية :16

[3] الزجاج ، إعراب القرآن ،تح إبراهيم الأنباري ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ،(د ط) ،1964، ج2 ،ص 405

[4] - ابن جني ، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ،تح ، محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية بيروت ،ط1 ،1998م ،ج2 ،ص335

السابع عشر:حذف الحال :

كقوله تعالى : والْملائِكَةُ يدخُلُون علَيهِم مِن كُلِّ بابٍ سلام علَيكُم بِما صبرتُم فَنِعم عقْبى الدار [1]،أي قائلين سلام عليكم ، والعرب قد تحذف الحال إذا كانت بالفعل لدلالة مصدر الفعل عليه كقوله تعالى : قَالَ تَزرعون سبع سِنِين دأَبا فَما حصدتُم فَذَروه فِي سنْبلِهِ إِلا قَلِيلاً مِما تَأْكُلُون [2]فدأبا يقدر بالفعل تقديره "تأدبون " دأبا في موضع الحال.

الثامن عشر :حذف المنادى :

كقوله تعالى : أَلا يسجدوا لِلهِ [3] على قراءة الكسائي بتخفيف ألا على أنها تنبيه و "يا" للنداء ،والتقدير ،إلا يا هؤلاء اسجدو لله.

ونبه أنه كثير في القرآن حذف "ياء" المنادى المضاف إلى ياء المتكلم نحو : "يارب" ،ياقوم ؛ وعلل ذلك بأن النداء باب حذف [4]..

التاسع عشر : حذف الشرط :

كقوله تعالى : قُلْ لِعِبادِي الَّذِين آمنُوا يقِيموا الصلاةَ وينفِقُوا مِما رزقْنَاهم سِرا وعلانِيةً مِن قَبلِ أَن يأْتِي يوم لا بيع فِيهِ ولا خِلالٌ [5] أي إن قلت لهم : أقيموا يقيموا.

وقوله تعالى : فَالله هو الْولِي وهو يحيِ الموتَى وهو علَى كُلِّ شَيءٍ قَدِير [6]؛ تقديره : إن أرادوا أولياء فالله هو الولي بالحق ،لاولي سواه.

---

[1] - الرعد ،الآية :23،24
[2] - يوسف ،الآية :47
[3] - النمل ،الآية :25
[4] - البرهان ،ج3 ، ص 117
[5] - إبراهيم ،الآية :31
[6] - الشورى ، الآية :09

عشرون : حذف جواب الشرط :

كقوله : وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم [1]،أي أفلستم ظـالمين

،بدليل قوله تعالى: إن اللهَ لا يهدي القوم الظالمين [2]

واحد وعشرون : حذف الأجوبة :

حددها الزركشي أنها تكثر في جواب لو، و، لولا

كقوله تعالى: ولَو تَرى إِذْ وقِفُواعلَى النار فَقَالُوا يا لَيتَنَا نُرد ولا نُكَذب بِآيات ربنَا ونَكُون مِن الْمؤْمِنِين [3] ،وحذف للتخفيف وكذا في مواقع التفخيم والتعظيم ،ويقصد المبالغة.

اثنان وعشرون : حذف جواب القسم :

وضح الزركشي أن جواب القسم يحذف لعلم السامع المراد منه ، كقوله تعالى :

والنازعاتِ غَرقًا والناشِطَاتِ نَشْطًا والسابِحاتِ سبحا فَالسابِقَاتِ سبقًا فَالْمـدبراتِ أَمـرا يوم تَرجفُ الراجِفَةُ [4] ،وتقديره لتبعثن ولتحاسبن بدليل إنكارهم البعث في قـولهم : يقُولُون أَإِنا لَمردودون فِي الْحافِرةِ [5].

ثلاثة وعشرون : حذف الجملة :

وأوضح الزركشي أن حذف الجملة على ثلاثة أقسام وهي :

1- قسم مسببة عن المذكور

2- قسم هي السبب له

3- قسم خارج عنهما

ثم مثل لكل منهما :

[1] ـ الأحقاف ،الآية 10
[2] ـ الأحقاف ،الآية :10
[3] ـ الأنعام ،الآية :27
[4] النازعات ، الآيات : 2، 1، 3، 4، 5، 6
[5] النازعات ، الآية : 10

أما الأول : كقوله تعالى : ﴿لِيحِق الْحق ويبطِلَ الْباطِلَ ولَو كَرِه الْمجرِمون﴾[1] فـإن اللام الداخلة على الفعل لا بد لها من متعلق يكون سببا عن مدخول اللام ، فلمـا لـم يوجد لها متعلق في الظاهر، وجب تقديره بقدر :فعل ما فعل ليحق الحق .

والثاني : كقوله تعالى : ﴿فَانفَجرتْ مِنْه اثْنَتَا عشْرةَ عينًا قَد علِم كُلُّ أُنَاسٍ مشْربهم كُلُـوا واشْربوا مِن رِزقِ اللهِ ولا تَعثَوا فِي الأَرضِ مفْسِدِين﴾[2] فإن الفاء ، إنما تـدخل علـى شيئ مسبب عن شيء ، ولا مسبب إلا له سبب فإذا وجـد المـسبب - ولا سـبب لـه ظاهرا- أوجب أن يقدر ضرورة ، فيقدر : فضربه فانفجر.

والثالث : كقوله تعالى : ﴿والأَرض فَرشْنَاها فَنِعم الْماهِدون﴾[3] أي : نحن هم ، أوهـم ، نحن .

وأشار الزركشي إلى أنه كثير في القرآن حتى أنه في الإضمار بمنزلة الإظهار .

كقوله تعالى : ﴿والَذِين اتخَذُوا مِن دونِهِ أَولِياء ما نَعبدهم إِلا لِيقَربونَا إِلَى اللهِ زلْفَـى إِن الله يحكُم بينَهم فِي ما هم فِيهِ يخْتَلِفُون إِن الله لا يهدِي من هـو كَـاذِب كَفـار﴾[4] ، أي يقولون : ما نعبدهم إلا للقربة .

---

[1] الأنفال ، الآية :08
[2] البقرة ، الآية 60
[3] الذاريات ، الآية :48
[4] الزمر ، الآية : 03

وكقوله تعالى : قَد عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِزْقِ اللهِ وَلا تَعْثَوا فِـي الأَرضِ مُفْسِدِينَ [1] ، أي : قلنا. وقوله تعالى : مَاذَا قَالَ رَبُّكُم قَالُوا الْحَقَ وَهُوَ الْعَلِيُ الْكَبِيرُ [2]، أي : قالوا : قال الحق .

حذف الفعل:

وقسمه الزركشي إلى عام وخاص :

أ- **الخاص :** قدره بأعنى مضمرا وينتصب المفعول به في المدح كقوله تعالى : وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُولَئِـكَ سَـنُؤْتِيهِمْ أَجْرا عَظِيما [3]،

أي أمدح

وقوله تعالى : وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِـكَ الـذِينَ صَـدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَقُونَ [4]، أي أمدح .

ب- **العام** : حدده الزركشي بأنه كل منصوب دل عليه الفعل لفظـا ، أو معنـى ،أو تقديرا ، ويحذف لأسباب :

1- أن يكون مفسرا كقوله تعالى : إِذَا السَّمَاءُ انشَقَتْ [5]

وقوله تعالى : وَإِيَايَ فَارْهَبُونِ [6]

---

[1] البقرة الآية : 60
[2] سبأ، الآية: 23
[3] النساء ، الآية : 162
[4] البقرة ، الآية: 177
[5] الانشقاق ، الآية : 01
[6] البقرة ، الآية : 40

2- أن يكون هناك حرف جر نحو : بِسمِ اللهِ الرحمن الرحِيمِ [1] ، فإنه يفيد أن المراد بسم الله أقرأ ، أو أقوم ، أو اقعد عند القراءة ، وعند الشروع في القيام ، أو القعود ، أي فعل كان .

3- أن يكون جوابا لسؤال واقع ، كقوله تعالى : ولِئن سأَلْتَهم من خَلَـقَ الـسماواتِ والْأرض لَيقُولُن الله [2]

4- أن يدل عليه العقل ، كقوله تعالى : َقُلْنَا اضرِب بعصاك الْحجر فَانفَجرتْ [3] ، أي فضرب فانفجرت .

5- أن يدل عليه ذكره في موضع آخر : كقوله تعالى : ولِـسلَيمان الـريح [4] ، أي وسخرنا .

6- المشاكلة لحذف الفاعل في بسم الله ، لأنه موطن لا ينبغي أن يتقدم فيه سـوى ذكر الله ، فلو ذكر الفعل ، وهو لا يستغني عن فاعله كان ذلك مناقضا للمقصود ، وكان في حذفه مشاكلة اللفظ للمعنى ليكون المبدوء به اسم الله .

7- أن يكون بدلا من مصدره ، كقوله تعالى َضرب الرقَابِ [5] وقوله : فَإِما منّـاً بعد وإِما فِداء [6] ، أي فإما أن يمنوا ، وإما أن تفادوا .

8- أن يدل عليه معنى الفعل الظاهر:كقوله تعالى: انتَهواْ خَيراً لَّكُم [7] أي فالانتهاء.

3-حذف الحرف :

بين الزركشي أن منه " الواو" تحذف لقصد البلاغة ؛ فإن في إثباتها ما يقتـضي تغـاير المتعاطفين ، فإذا حذفت أشعر بأن الكل كالواحد؛كقوله تعالى: يا َأيها الَّـذِين آمنُـواْ لاَ تَتخِذُواْ بِطَـانَةً من دونِكُم لاَ يأْلُونَكُم خَبالاً ودواْ ما عنِتم قَد بدتِ الْبغْضاء مِن َأفْواهِهِم

[1]- الفاتحة ، الآية : 01
[2]- لقمان ، الآية : 25
[3]- البقرة ، الآية :60
[4]- الأنبياء ، الآية : 81
[5]- محمد ، الآية : 04
[6]- محمد ، الآية : 04
[7]- النساء ، الآية : 171

وما تُخْفِي صدورهم أكْبر [1] ،تقديره ولا يألونكم خبالا وقوله تعالى : وجـوه يومئـذٍ ناعِمةٌ [2] ، أي و وجوه .

ومنه " الفاء" في جواب الشرط ، ومثاله : إن ترك خَيراً الْوصِيةُ [3] ، أي فالوصية .

و"فاء" العطف كقوله تعالى : وإلى عادٍ أخَاهم هودا قَالَ يا قَومِ اعبدوا الله ما لَكُم مِـن إلَهٍ غَيره أفَلا تَتقُون [4] حذف حرف العطف من قوله :"قال" ولم يقل "فقال" كما في قـصة نوح ؛ لأنه على تقدير سؤال سائل : قال لهم هود ؟ فقيل :قال يا قوم اعبدوا الله واتقوه.

ومنه حذف همزة الاستفهام ،كقوله تعالى : فلَما جن علَيهِ الليلُ رأى كَوكبا قَـالَ هـذَا ربي فلَما أفَلَ قَالَ لا أُحِب الآفِلِين [5] أي ، أهذا ربي ؟.

وقوله تعالى : وتِلْك نِعمةٌ تَمنها علَي أن عبدتَ بنِي إسرائِيل [6] ،أي أو تلك نعمة ؟

ومنه حذف ألف "ما" الاستفهامية مع حرف الجر للفرق بين الاستفهامية والخبرية ، كقوله تعالى: قُلْ فَلِم تَقْتُلُون أنْبِياء اللهِ مِن قَبلُ إن كُنتُم مؤْمِنِين [7].

وقوله تعالى : فَلْينظُرِ الإنسان مِم خُلِق [8].

ومنه حذف "الياء" في قوله تعالى : والليل إذَا يسرِ [9] .للتخفيف ورعاية الفاصلة.

---

[1]- آل عمران ، الآية : 118
[2]- الغاشية ، الآية : 08
[3]- البقرة ، الآية : 180
[4] - الأعراف ،الآية :65
[5] - الأنعام ، الآية :76
[6] - الشعراء ،الآية :22
[7] - البقرة ،الآية :91
[8] - الطارق ،الآية :05
[9] - الفجر ،الآية : 04

ومنه حذف حرف النداء ،كقوله تعالى: هاأَنْتُم هؤُلاءِ حاججتُم [1] ،أي ياهؤلاء .
وقوله تعالى: يوسفُ [2] ،أي يا يوسف
وقوله : رب إني وهن الْعظْم مِني واشْتَعلَ الرأْس شَيبا ولَم أَكُن بِدعائِك رب شَقِيا [3]
أي يا رب .
وأشار إلى أن حذف "ياء" النداء يكثر في نداء "الرب" سبحانه ؛ وحكمة ذلك دلالته على التعظيم والتنزيه ؛ لأن النداء يشرب معنى الأمر ؛ لأنك إذا قلت يازيد ، فمعناه أدعوك يا زيد ، فحذفت "ياء" من نداء الرب ؛ ليزول معنى الأمر ، ويتمحض التعظيم والإجلال.[4]
ومنه حذف "لو" كقوله تعالى: ما اتخَذَ الله مِن ولَدٍ وما كان معه مِن إِلَهٍ إِذًا لَذَهب كُل إِلَهٍ بِما خَلَقَ ولَعلا بعضهم علَى بعضٍ سبحان اللهِ عما يصِفُون [5]
تقدير :لو كان معه إله لذهب كل إله بما خلق.
ومنه حذف "قد" في قوله تعالى : قَالُوا أَنُؤْمِن لَك واتبعك الأَرذَلُون [6]،أي وقد اتبعك ؛ لأن الماضي لايقع موقع الحال ،إلا و"قد" معه ظاهرة أو مقدرة ومنه حذف "أن" في قوله تعالى : ومِن ءاياتِهِ يرِيكُم الْبرقَ خَوفًا وطَمعا وينَزِلُ مِن السماءِ ماء فَيحيِي بِهِ الأَرض بعد موتِها إِن فِي ذَلِك لآياتٍ لِقَومٍ يعقِلُون [7]،المعنى أن يريكم.
ومنه حذف "لا" في قوله: قَالُوا تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُر يوسفَ حتى تَكُون حرضا أَو تَكُون مِن الْهالِكِين [8] أي لاتفتأ ،لأنها ملازمة للنفي ،ومعناها لاتبرح.

[1] - آل عمران ،الآية:66
[2] - يوسف ،الآية :29
[3] - مريم ،الآية :04
[4] - البرهان ، ج3 ، ص 137
[5] - المؤمنين ،الآية :91
[6] - الشعراء ،الآية :111
[7] - الروم ،الآية :24
[8] - يوسف ،الآية :85

وقوله تعالى : وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رواسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهارا وسبلا لعلكُم تَهتَدون [1]،أي لا تميد.

وأشار ـ أيضا ـ إلى كثرة حذف الجار في القرآن العظيم ،ثم إيصال الفعل إلى المجرور به ، كقوله تعالى : قَالَ خُذْها ولا تَخَفْ سنُعِيدها سِيرتَها الأُولَى [2]. أي على سيرتها.

من خلال ماسبق يتبين أن الزركشي تناول أسلوب الحذف من جوانب ثلاثة حذف الاسم حذف الفعل ، وحذف الحرف ، وقد أوفى القول في كل جانب من تلك الجوانب ،وتبين أيضا ـ أن الزركشي كان أكثر إلماما بموضوع الحذف وأوفر من تناول الشيخ الإمام عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز ،حيث إن الجرجاني لم يعالج الحذف كله ،ولكن اختار حذفا واحدا من التركيب.

أما الزركشي فقد حدد أقسام الحذف مفسرا لكل قسم من أقسامه ،إلا أنه غلب عليه الطابع النحوي ، وذلك لأن من عادة البلاغيين إدراج الحذف في علم المعاني تحت باب الإيجاز والإطناب والمساواة ،أما بهذه التسمية فيرد النحاة ومادام صنيع الزركشي قد جمع فيه بين صنيع النحاة وأهل البلاغة فكان أولى به أن يتم تقسيماته .

حيث بين أهل النحو أن الحذف ينقسم باعتبارات أخرى إلى ثلاثة أقسام وهي

1- الصوت : حذف الحركة ، حذف التنوين ،حذف حرف التعريف .
2- بنية الكلمة : حذف حرف العلة ،حذف النون ، حذف التاء ، وما يحذف لأسباب .
3- تركيب الجملة : حذف الأداة ،حذف أحد الركنين ،حذف المكمل حذف الجملة .

[1] ـ النحل ، الآية :15
[2] ـ طه ،الآية :21

وهنا نقول:

تمكن الزركشي أن يضيف لمسات قيمة إلى "باب الحذف" حيث أضاف إليه ما يـسمى بالحذف المقابلي ، والذي قال عنه الإمام السيوطي : وهو من ألطف الأنواع وأبـدعها ، وقل من تنبه له - أو نبه عليه من أهل فن البلاغة فالزركشي يعـد مبـدعا فـي هـذا المصطلح.

إضافة إلى ذلك ،قررالزركشي قاعدة هامة في الحذف تتأسس على ثلاثة أسس وهي :

أ- الحذف خلاف الأصل ؛والأصل في الكلام الذكر ، وإنما الحذف فرع قد تـستلزمه ضرورة ما.

ب- إذا دار الأمر بين الحذف وعدمه ،كان الحمل على عدمه أولـى ؛ لأن الأصـل عدم التغيير.

ت- إذا دار الأمر بين قلة المحذوف وكثرته ، كان الحمل على قلته أولى .

طريقة الزركشي في تناول الحذف تجنح إلى الجانب النحوي أكثر منهـا إلـى الجانـب البلاغي ؛ لأن أغلب التعليلات ،والتسويغات ،والأدلة التي جاء بها في هذا الباب كانـت نحوية.

الفصل الثالث

مباحث علم البيان عند الزركشي

المبحث الأول :

التشبيه

المبحث الثاني :

المجاز في القرآن

المبحث الثالث :

الاستعارة

المبحث الرابع :

الكناية والتعريض في القرآن

مباحث علم البيان عند الزركشي

توطئة:

لم يأت التصوير البياني في الأساليب القرآنية من قبيل الترف اللغوي ، ولـم يكـن مقصود الذاته ، وإنما جاء لتوضيح الأفكار، وتأدية الأغراض الدينية المتوخاة من خـلال السياقات العامة للآيات ، كما أن هذا التصوير البياني لم يكن بمنأى عن المناحي الجمالية الفنية الإبداعية التي فاقت كلّ إبداع ، أو جمال ناشده البشر . ومن ثم كانت فوق أقـدار البشر كافة.

وتأكيدا لما سبق نلحظ ذلك جليا في مظاهر الإعجاز القرآني.حيـث يبـرز مـن خـلال التصوير الفائق المتفنن ، والإثارة العميقة للأحاسيس المتنوعة ، والمشاعر ، والعواطـف المختلفة ، مما يجعل للصورة رسوخا في المدارك والوجدانات .وهذا يخلص بنا إلى أن الصورة في الأسلوب القرآني لها بالغ الأثر والتأثير في النفوس ، يتكئ على ما لـسمات التصوير من إيحاءات ، وبعث لصور المعاني في الخيال .

وما من شك في أن مظاهر التصوير في الأسلوب القرآني لا تقتصر على المعاني ، بـل تتجاوز ذلك إلى الحروف والكلمات ، كما أن قمة الجمال الإنساني تبرز في أجمل حلاـه ووشيه ، وأسمى مظاهره ، فينفذ إلى النفوس نفاذا آسرا يأخذ بمجامع القلوب ، ويخلـب الألباب.

وبناء على ما سبق سنفرد حديثا عن التـشبيه ، والمجـاز ، والاسـتعارة ، والكنايـة ، والتعريض عند الإمام الزركشي من خلال آي الذكر الحكيم ، ومحاولة الوقـوف علـى جماليات التصوير البياني فيها.

التشبيه :

التشبيه من الألوان التعبيرية التي عرفتها الشعوب قاطبة منذ زمن بعيد ، وبرز في البيان العربي على أنه من الألوان البلاغية التي حاز قصب السبق ظهورا واستخداما والفكر البلاغي العربي يشهد بأن التشبيه يعد بدايات الألوان البلاغية ، ذات الصيغة الجمالية الفنية . يقول محمد بركات حمدي :" والتشبيه لون من ألوان التعبير الإنساني الذي عرفته الأمم جميعا ، وأمتاز البيان العربي بأنه بداية الألوان البلاغية ،ذات الصيغة الفنية ، في بداية التأليف الفكري البلاغي "[1].

ومن ثم أجمع علماء البلاغة على أن التشبيه من أكثر الصورالبيانية جريانا وتداولا ؛ لأنه قريب إلى أخيلة الناس ، وأدنى إلى إدراكهم وتصوراتهم ، ولذلك كان التشبيه في كلام العرب يضرب بحصة الأسد ، بل قل هو عمدة الباب في التصوير البياني . كما يتربع التشبيه على مكانة أدبية بارزة بين الأساليب المتنوعة ، وذلك لما يتركه من عميق أثر في النفس البشرية ، وعلة ذلك أنه تصوير دقيق ومحكم لكل ما يدركه الوجدان ويتأثر به الحس ، ولذا جعل النقاد الدارسون الإصابة في التشبيه من السمات التي ترفع من شأن الشعر وتسموبمنزلته ومكانته، وفي هذا يقول ابن قتيبة :"وليس كل شعر يختار ويحفظ على صورة اللفظ والمعنى ،ولكنه قد يختار على جهات وأسباب منها الإصابة في التشبيه"[2].

[1] - د/محمد بركات حمدي أبو علي ، البلاغة العربية في ضوء الأسلوبية ونظرية السياق ، داروائل للنشر ، الأردن ، ط1 ،2003 ،ص 95
[2] - ابن قتية ، الشعر والشعراء، ص 20

ويشير رابح بوحوش إلى قيمة التشبيه وروعته وعميق أثره في النفوس مما بوأه منزلـة رفيعة عند المتلقين ، إذ يقول :"وتبدو شعرية التشبيه في أنه ينتقل المتلقي من شـئ إلـى شئ بطريق يشبهه ، وكلما كان هذا الانتقال بعيدا عن البال ، قليل الخطـورة بالخيـال ، كان التشبيه أروع للنفس ، وأدعى إلى إعجابها ، واهتزازها "[1].

وعن شيوع التشبيه في كلام العرب وذيوعه ، وكثرة تداوله ، يقول المبرد :"والتشبيه جار كثيرا في كلام العرب ، حتى لوقال قائل هو أكثر كلامهم لم يبعد "[2].

ماهية التشبيه :

وللتشبيه تعريفات كثيرة ومتنوعة ، ولكنها تصب من حيث المضمون في معنى واحد ، وإن اختلفت في الصياغة ، يعرفه العلوي بقوله :" هو الدلالة على مشاركة أمـر لأمر في معنى بالكاف ونحوه ، أو هو الجمع بين الشيئين ، أو الأشياء بمعنى ما بواسطة الكاف ونحوها "[3].

والتشبيه يعمل على تقريب المعاني البعيدة ، وإيضاح الأفكار الغريبـة ، لتحقيـق الفهـم والإفهام .

والتشبيه ما وجد إلا لتحقيق هذه الغاية .:"وحسبنا دليلا على كونه أول وأقـرب وسـيلة للإفهام أن أولى مراحل الكتابة كانت تشبيها "[4].

---

[1] - د. رابح بوحوش ، اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري ، دار العلوم للنشر ،عناية ،(ب ط) ، (د ت) ، ص 153
[2] - المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ، ج2 ، ص69
[3] - العلوي ، الطراز ، ج4 ، ص263
[4] - د.واجدة مجيد الأطراقجي ، التشبيهات القرآنية والبيئة العربية ، وزارة الثقافة الجمهورية العراقية ،(د ط) ، 1978 ، ص 33

وللتشبيه فوائد جمة ، وغايات كثيرة تحصل من التعابير البيانية ، ولعل أهمها:

1- تقريب المعاني البعيدة.

2- الفهم والإفهام .

3- الإثارة والتشويق ، وإحداث اللذة في النفس البشرية .

وتكاد كتب البلاغة تتفق على أن أول إشارة إلى مصطلح التشبيه ظهرت في قـول أبـي عبيدة عند تعقيبه على قول الله عز وجل : "نِسآؤُكُم حرثٌ لكُم [1].

فقال :" كناية وتشبيه "[2].

ونبه الزركشي عند حديثه عن التشبيه ومباحثه بالإشارة إلى شرف التشبيه وسمو مكانته ، وعلو منزلته بين صنوف علوم البلاغة وأنواعها،وأوضح أن التشبيه إذا ورد في أعقـاب المعاني ألبسها حلة وجمالا ،وأفادها كمالا وزانها بهاءا ورونقا: يقول :"اتفق الأدباء على شرفه في أنواع البلاغة وأنه إذا جاء في اعقاب المعاني أفادهـا كمـالا وكـساها حلـة وجمالا"[3].

وللتدليل على شرف التشبيه عند البلاغيين ، وافتتان الأدباء به وبجمالـه وسـحره،وتفنن العرب في توظيف التشبيهات حتى استغرقت أغلب كلامهم ، وغدت سمة بارزة ، وسـنة دالة على الإبداع والقدرة على التمكن .

يقول المبرد صاحب الكامل عن شيوع التشبيه في كلام العرب وكثرة جريانه :"وهو جار في كلام العرب حتى لو قال قائل : "هو أكثر كلامهم لم يبعد"[4].

---

[1] - البقرة ، الآية :223

[2] - أبو عبيدة ، معمر بن المثنى ، مجاز القرآن ،تح ، أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2006م ، ص40

[3] - البرهان في علوم القرآن ، ج3 ، ص 254

[4] - المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ،تح ، عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1، 1999م ،مج 2، ص996

تعريف التشبيه :

عرف الزركشي التشبيه بقوله :

هو :" إلحاق شيئ بذي وصف في وصفه"[1]

لاشك وأن نظرة فاحصة إلى هذا التعريف يدرك من خلالها المتلقي أنـه غيـر جـامع وشامل لأركان التشبيه الأربعة التي أشارإليها علماء البلاغة ، وهي : (المشبه ، المشبه به ، وأداة التشبيه ووجه الشبه) ، حيث اكتفى الزركشي بذكر ثلاثة منها :

أ- إلحاق شيئ والمقصود به المشبه.

ب- بذي وصف ؛ والمقصود به المشبه به.

ت- في وصفه ؛ والمقصود به وجه الشبه.

فتراه يسقط الركن الرابع وهو أداة التشبيه ، فلم يشر إليه لا من قريب ولا من بعيد.
ولعل من أجمع التعاريف التي ذكرها العلماء للتشبيه تعريف العلوي حيث يقول التـشبيه وهو:" الجمع بين الشيئين أو الأشياء بمعنى ما بواسطة الكاف ونحوها "[2].

وأشار إلى التشبيه حكم إضافي لا يرد إلا بين الشيئين بخلاف الاستعارة . ولـم يتطـرق إلى هذا المفهوم بالشرح والتوضيح ، وتمكن أن نستشف من خلال هذه العبارة أن التشبيه لا يمكنه الاستغناء عن طرفيه وركنيه وهما: المشبه والمشبه به ولذلك ،فإن الفرق بـين التشبيه والاستعارة يمكن في أنهافي التشبيه لايمكن الإستغناء عن المشبه والمـشبه بـه ، ويمكن أن تحذف الأداة ووجه الشبه، وهذا ما اصطلح عليه علماء البلاغة بالتشبيه البليغ، أما الاستعارة فهي تشبيه حذف أحد طرفيه ؛ المشبه والمشبه به.

---

[1] - البرهان في علوم القرآن ، ج3 ، ص 255
[2] - العلوي ، الطراز، تح ، عبد الحميد هنداوي ،المكتبة العصرية ، صيد ، بيروت ،ط1، 2002، ج1، ص136

وقد تعرض ابن القيم إلى إيضاح دلالة هذه العبارة فـي بـاب التفريـق بـين التـشبيه والاستعارة حيث يقول :"إن التشبيه حكم اضافي لابد فيه من ذكر مشبه ومشبه به فإنك إذا قلت ـ رأيت أسدا ـ فهو استعارة لم تذكر شيئا حتى تشبه بالأسد ولوكان تشبيها لتعيـين أنه نقول : زيد أسدا وزيد كالأسد ولم يكن غرضه من قولك زيد أسد إلا المبالغة في مدح زيد بالشجاعة "[1] .

الغرض من التشبيه :

لم يذكر الزركشي إلا غرضين للتشبيه وهما:

أ- تأنيس النفس بإخراجها من خفي إلى جلي بادنائة البعيد من القريب ليفيد بيانا .

ب- الكشف عن المعنى المقصود مع الاختصار.

خلاف العلماء في التشبيه :

هل التشبيه حقيقة أو مجاز؟

اختلفت آراء العلماء في تحديد موقع التشبيه أ هو من الحقيقة أو المجاز ؟ فمن العلماء من يذهب إلى أن التشبيه من واد الحقيقة ، وهذا الذي قال به الزركشي أيـضا ـ حتي يقول :" فالمحققون على انه حقيقة "[2] ويستدل على ذلك في المعيار:"التشبيه ليس من المجاز . لأنه معنى من المعاني وله ألفاظ تدل عليه وضعا .

فليس فيه نقل اللفظ عن موضوعه ، وإنما هو توطئة لمن سلك سبيل الاسـتعارة والتمثيل لأنه كالأصل لهما وهما كالفرع له والذي يقع منه في حيز المجاز عند البيـانيين هو الذي يجئ على حد الاستعارة "[3].

---

[1] - ابن القيم ، المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، (د ط) (د ت) ،ص 65،66

[2] - البرهان في علوم القرآن ، ج3 ، ص 255

[3] - ن – المصدر ، ص ،255

أدواته:

قسم الإمام الزركشي أدوات التشبيه إلى ثلاثة أقسام وهي :

1- الأسماء.

2- الأفعال .

3- الحروف .

1- أما الأسماء فهي : مثل ، ونحوها . واستدل عليهما بآيات من الذكر الحكيم ، نحـو قوله تعالى : مثَلُ ما ينفِقُون فِي هـذِهِ الْحياةِ الدنْيا كَمثَل رِيحٍ فِيها صِر [1].

فالزركشي ـ ها هنا ـ قد أخطأ في تحديد الأداة ، إذ اعتبرهـا لفظـة " مثـل " ولكـن الصحيح في العبارة القرآنية ؛ أن الأداة هي " الكاف " ؛لأن هناك فرقا بين "مثل " كـأداة تشبيه ، وبين "مثل " ليست من أدوات التشبيه ها هنا " الكاف " أيضا وليس لفظة "مثل ". وفي قوله تعالى : إِن البقَر تَشَابه علَينَا [2] جعل الزركشي الأداة في هذه العبارة القرآنية "تشابه " ، وهي فعل وليس اسما ، والزركشي عدها من الأسماء ، وهذا غير صـحيح . وكذلك الفعل في هذه الآية الكريمة ليس اداة تشبيه ؛ لأنه فعل لازم ، والبلاغيون وضعوا شرطا في الأفعال الدالة على التشبيه ، وهو أن تكون متعدية .

2- أما الأفعال ؛ فذكر منها : يحسب ، يخيل . واستدل عليها بآيات من الذكر العزيز ، نحو قوله تعالى : يحسبه الظمآن ماء [3].

وقوله تعالى : يخَيلُ إِلَيهِ مِن سِحرِهِم أَنها تَسعى [4].

---

[1] - آل عمران ،الآية :117

[2] - البقرة ، الآية :70

[3] - النور ، الآية :39

[4] - طه ، الآية :66

4- وأما الحروف فهي :

إما بسيطة كالكاف ؛ نحو قوله تعالى : كَرمادٍ اشْتَدتْ بِهِ الريح [1]

وقوله تعالى : كَدَأْبِ آل فِرعون [2].

وأما مركبة ، كقوله تعالى : طَلْعها كأنه رؤُوس الشياطِين [3].

أقسام التشبيه :

قسم الزركشي التشبيه إلى أقسام بأعتبارات منها:

أولا : التشبيه بالحرف وهو على ضربين:

أ- دخول حرف التشبيه فقط ، نحو قوله تعالى : مثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ [4].

وقوله تعالى : ولَه الْجوارِ الْمنشَآتُ فِي الْبحرِ كَالْأَعلَامِ [5].

وقوله تعالى : وحور عِين كَأَمثَال اللؤْلُؤِ الْمكْنُون [6].

وقوله تعالى: وجنةٍ عرضها كعرضِ السماء والْأرضِ [7].

ب- أن يضاف إلى حرف التشبيه حرف مؤكد ليكون ذلك علما على قـوة التـشبيه وتأكيده .نحو قوله تعالى : كَأَنهن الْياقُوتُ والْمرجان [8].

وقوله تعالى : كَأَنهن بيض مكْنُون [9].

---

[1] - إبراهيم ، الآية :18

[2] - آل عمران ، الآية :11

[3] - الصافات ، الآية :65

[4] - النور ، الآية :35

[5] - الرحمن ، الآية :24

[6] - الواقعة ، الآيتان 22،23

[7] - الحديد ،الآية :21

[8] - الرحمن ،الآية :58

[9] - الصافات ، الآية :49

لطيفة :

يقول الزركشي : فإن قيل :كيف استرسل أهل الجنة وقوله : كُلما رزِقُواْ مِنْها مِن ثَمرةٍ رزقاً قَالُواْ هـذَا الذِي رزِقْنَا مِن قَبلُ [1] ، ولاشك أنه ليس به ، واحترزت بلقيس فقالت : كأنه هو [2] ولم تقل : هوهو ؟.

يجيب الزركشي :بأن أهل الجنة وثقوا بأن الغرض مفهوم ؛ وأن أحدا لايعتقد في الحاضر أنه عين المستهلك الماضي ؛ وأما بلقيس فالتبس عليها الأمر، وظنت أنه يشبهه لأنها بنت على العادة ، وهو أن السرير لاينتقل من إقليم إلى آخر في طرفة عين [3] .
وانظر إلى بديع أسلوب القرآن ، وروعته ، وجماله ، ومواطن إعجازه.

ثانيا :

وأما **التشبيه بغير حرف** ، فيقصد به المبالغة تنزيلا للثاني منزلة الأول تجوزا[4] وهذا ما يعرف عند علماء البلاغة ؛بالتشبيه البليغ ، تحذف فيه الأداة ووجه الشبه.
ومثل له بقوله تعالى : وأَزواجه ُأمهاتُهم [5].
وقوله تعالى : وسِراجاً منِيراً " [6].
وقوله تعالى : تَمر مر السحابِ [7].
وأشار الزركشي إلى تنبيهين هامين ، وهما :

---
[1] - البقرة ، الآية :25
[2] - النمل ، الاية :42
[3] - البرهان ،ج3 ، ص 257/256
[4] - المصدر نفسه ،ص 257
[5] - الأحزاب ، الآية :06
[6] - الأحزاب ، الآية :46
[7] - النمل ، الآية :88

الأول :

نبه الزركشي إلى أن هذا القسم يشبه الاستعارة في بعض المواضع ،والفرق بينهما - كما قال حازم وغيره - أن الاستعارة ، وإن كان فيها معنى التـشبيه ، فتقـدير حـرف التشبيه لايجوز فيها ، والتشبيه بغير حرف على خلاف ذلك ؛ لأن تقدير حرف التـشبيه واجب فيه[1].

وأشار إلى قول الرماني في قوله تعالى : وآتَينَا ثَمود الناقَةَ مبـصِرةً [2]: أي تبـصر، لأنه لايجوز تقدير حرف التشبيه فيها .

وأشار إلى الخلاف الذي وقع بين البلاغيين في تحديد نوع الصورة في قولـه تعـالى : صم بكم عمي [3] هل هي من باب التشبيه البليغ أو الاستعارة ؟ وذكر رأي المحققين - كما قال الزمخشري على الأول ؛ أي تشبيه بليغ ، لماذا ؟ قال الزمخشري : لأن المستعار له (المشبه) مذكور - وهم المنافقون - أي مذكور في تقدير الآية ، والاستعارة لايـذكر فيها المستعار له ، ويجعل الكلام خلوا عنه ، بحيث يصلح لأن يراد بـه المنقـول عنـه والمنقول إليه ، لولا القرينة .

وعزز رأيه بقول السكاكي :"لأن من شرط الاستعارة إمكان حمل الكلام على الحقيقة في الظاهر ، وتناسي التشبيه ، وزيد أسد لايمكن كونه حقيقة ، فلا يجوز أن يكون استعارة"[4].

[1] - البرهان ، ج3 ، ص 257
[2] - الإسراء ، الآية :59
[3] - البقرة ، الآية :18
[4] - البرهان ، ج3 ، ص 258

الثاني :

وأحيانا قد يترك التشبيه لفظا ويراد معنى ، إذا لم يرد معنى ولم يكن منويا ، كـان استعارة [1] نحو قوله تعالى : حتى يتَبين لَكُم الْخَيطُ الأبيض مِن الْخَـيطِ الأسـودِ مِـن الْفَجرِ [2].

فهذا تشبيه لا استعارة ، لذكر الطرفين : الخيط الأسود ، وهو ما يمتد معه من غسق الليل شبيها بخيط أسود وأبيض ، مبينا بقوله تعالى (من الفجر) ، ولما كـان احـدهما بيانـا للآخر لدلالته عليه اكتفى به عنه ، ولولا البيان كان من باب الاستعارة[3].

التشبيه باعتبار طرفيه :

قسم الزركشي التشبيه باعتبار طرفيه إلى أربعة أقسام :

1- **إما حسيان** : كقوله تعالى : ... حتى عاد كالعرجون الْقَدِيمِ [4].

وقوله تعالى : كأنهم أعجاز نَخْلٍ منقَعِرٍ [5]

2- **وإما عقليان** : كقوله تعالى: ثُم قَستْ قُلُوبكُم من بعدِ ذَلِك فَهي كالْحِجـارةِ أَو أَشَد قَسوةً [6].

3- **وإما تشبيه المعقول بالمحسوس** : كقولـه تعـالى : كمثَـل الْحِمـار يحمِـلُ أَسفَاراً [7].

---

[1] - ينظر ، البرهان ، ج3 ، ص 258
[2] - البقرة ، الآية : 187
[3] - البرهان ، ج3 ، ص 258
[4] - يس ،الآية :39
[5] - القمر ، الآية :20
[6] - البقرة ، الآية :74
[7] - الجمعة ، الآية :05

4- **وإما تشبيه المحسوس بالمعقول** : بين الزركشي أن هذا التشبيه لم يقع في القرآن ومنعه الإمام البلقين ، لأن العقل مستفاد من الحس ، فالمحسوس أصل للمعقـول فتشبيه به يستلزم جعل الأصل فرعا ، والفرع أصلا، وهو غير جائز في القرآن .

ولهذا نرى الزركشي لم يقر بوقوع تشبيه المحـسوس بـالمعقول فـي القـرآن والعلماء على خلاف في هذا الأمر ، منهم من أنكر وقوعه محتجا بأن القـرآن الكـريم جرى على الأصل الأبلغ في أن الحسي أصل للعقلي ، ومنهم العسكري حيث يقول "وليس هذا التشبيه بالمختار ، ولو أن بعض الناس يستحيله ، لأنه أخرج ما يرى بالعيان إلى ما يعرف بالفكر "[1].

وهو رأي جمهرة المتأخرين كالسكاكي ، والخطيب ، والرازي وغيرهم وقـد منعه اليقين كما نوه الزركشي بذلك .

وقد جوزه البعض منهم : الرماني ، وابن رشيق ، وابن الأثير وغيرهم .

يقول العلوي :"وهذا من لطيف التشبيهات وأرقها وأدخلها في البلاغة وأدقها ووجـه البلاغة فيه هة إلحاق المعاني بالأمور المحسوسة المدركة في الظهـور والجـلاء ، فيصير الحقيقة كأنه تشبيه محسوس بمحسوس، وفي هذا نهاية المبالغة ومثل له يقول أحد الشعراء :

ولقد ذكرتك والظلام كأنه * يوم النوى ، وفؤاد من لم يعشق"[2]

---

[1] - العسكري ، ديوان المعاني ، دار الفكر العربي القاهرة ،(د ط) ، (د ت) ج1 ، ص 31
[2] - العلوي ، الطراز ، ج1 ، ص 157

وذكر الزركشي أن تشبيه المعقول بالمعقول موجود في القرآن الكريم مثل له بقولـه تعالى : ثُم قَستْ قُلُوبكُم من بعدِ ذَلِك فَهي كَالْحِجارةِ أَو أَشَد قَسوةً "[1] .

وهذا من تشبيه المعقول بالمحسوس ،وعلى ذلك فتشبيه المعقول بالمعقول غير موجود في القرآن أصلا.

وقسمه باعتبار آخر إلى خمسة أقسام :

1- قد يشبه ما تقع عليه الحاسة بما لاتقع ، اعتمادا على معرفة النقيض والضد ، فإن إدراكهما أبلغ من إدراك الحاسة ، كقوله تعالى : كَأَنه رؤُوس الشياطِين[2].

فشبه بما لا تشك أنه منكر قبيح ، لما حصل في نفوس الناس مـن بـشاعة صـور الشياطين ، وإن لم نرها عيانا .

2- قد يشبه مالا تقع عليه الحاسة بما تقع ، كقوله تعالى : والَذِين كَفَـروا أَعمـالُهم كَسرابٍ[3] أخرج مالا يحس - وهو الأعمال - إلى ما يحس وهو السراب ، والمعنى الجامع بطلان التوهم بين شدة الحاجة وعظم الفاقة.

3- إخراج مالم تجر العادة به إلى ما جرت به ،نحو قوله تعالى : وإِذ نَتَقْنَا الْجبـلَ فَوقَهم كَأَنه ظُلَّةٌ[4] والجامع بينهما الانتفاع بالصورة.

---

[1] - البقرة ، الآية : 74
[2] - الصافات ، الآية :65
[3] - النور ، الآية :39
[4] - الأعراف ، الآية :17

4- إخراج مالا يعرف بالبديهة إلى ما يعرف بها . كقوله تعالى : ...وجنة عرضها السموات والأرض [1]، الجامع العظيم ، وفائدته التشويق إلى الجنة بحسب الصفة.

5- إخراج مالا قوة له في الصفة إلى ماله قوة ، كقوله تعالى : ولَه الْجوارِ الْمنشآتُ فِي الْبحرِ كَالْأَعلَامِ [2].

والجامع فيها العظم ، والفائدة البيان عن القدرة على تسخير الأجسام العظام في أعظم ما يكون من الماء ، وعلى هذه الأوجه تجري تشبيهات القرآن.

تقسيمه إلى مفرد ومركب :

1- **المركب** : أن ينزع من أمور مجموع بعضها إلى بعض ،وهذا ما اصطلح عليه علماء البلاغة بالتشبيه التمثيلي الذي يكون فيه وجه الشبه منتزع من صور متعددة.

ومثل له بقوله تعالى : كَمثَلِ الْحِمارِ يحمِلُ أَسفَاراً [3]، فالتشبيه مركب من أحوال الحمار ، وذلك هو حمل الأسفار التي هي أوعية العلم ، وخزائن ثمرة العقول ، ثم لا يحسن فيها ، ولا يفرق بينها وبين سائر الأحمال التي ليست من العلم في شيء ، فليس له مما لا يحمل حظا سوى أنه يثقل عليه ويتبعه.

2- تشبيه المفرد بالمركب ، كقوله تعالى : " مثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ [4] ، وعقب الزركشي على هذا التشبيه بقوله :" وهذا مثل ضربه الله للمؤمن "[5].

---

[1] - آل عمران ، الآية : 133
[2] - الرحمن ، الآية :24
[3] - الجمعة ، الآية :05
[4] - النور ، الآية :35
[5] - ينظر ، البرهان ، ج3 ، ص 260

وهو تشبيه تمثيلي ، حيث شبه نور الله الذي وضعه في قلب عبده المؤمن بالمصباح الوهاج الموضوع في كوة داخل زجاجة يشبه الكوكب الدري في الصفاء والحسن . فهي صورة منتزعة من متعدد ، وهو من روائع التشبيهات .

ثم نبه الزركشي إلى أن الله عز وجل ضرب مثلين للكافر ، وهما :

1- قوله تعالى : كَسرابٍ بِقِيعةٍ [1]

2- قوله تعالى : كَظُلُماتٍ فِي بحرٍ لجي [2].

أشار الزركشي إلى أن الله شبه في الأول ما يعلمه من لا يقدر الإيمان المعتبر بالأعمال التي يحسبها " بقيعة" ثم يخيب أمله ، بسراب يراه الكافر بالساهر وقد غلبه عطش يوم القيامة ، فيجيئه فلا يجده ماءا ، ويجد زبانية الله عنده ، فيأخذونه فيلقونه إلى جهنم [3].

وهذا - أيضا - من روائع التشبيه التمثيلي.

ويوضح الرماني هذا التشبيه الوارد في قوله تعالى : ...كَسرابٍ بِقِيعةٍ... [4].

فيقول :" وقد اجتمعا - أي المشبه والمشبه به - في بطلان المتوهم مع شدة الحاجة وعظم الفاقة، ولو قيل :يحسبه الرائي ماء ثم يظهر أنه على خلاف ما قدر... لكان بليغا ، وأبلغ منه لفظ القرآن ،لأن الضمآن أشد حرصا عليه وتعلق قلب به ...ثم بعد هذه الخيبة حصل على الحساب الذي يصيره إلى عذاب الأبد في النار"[5].

ثم يعقب الرماني مضيفا :"وتشبيه أعمال الكفار بالسراب من حسن التشبيه ، فكيف إذا تضمن مع ذلك حسن النظم وعذوبة اللفظ ، وكثرة الفائدة ، وصحة الدلالة "[6] .

ومن خلال تأملنا إلى هذه الآية نستشف أن الله شبه أعمال الكفرة التي لا نفع فيها ولا غنى ، ولا فائدة ، بسراب يثير في نفس الظمآن معاني الري، وزوال العطش ، والأمل ،

[1] - النور ، الآية :39
[2] - النور ، الآية :40
[3] - ينظر ، البرهان ، ج3 ، ص 260
[4] - النور ، الآية :39
[5] - الرماني ، النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل) ، ص75
6 - المصدر نفسه ، ص ن

والنجاة ، ثم يجيئه ، فلا يجد عنده إلا الظمأ والعذاب .فهذه الصورة البديعـة مـن أروع صور التشبيه جمالا وحسنا ، وتأثيرا في النفوس ، وهي من التشبيه التمثيلي.

والتشبيه الذي بين أيدينا بلغ من التصوير مبلغ الإعجاز الذي تنفعل له الأحاسيس ،و تهتز له النفوس ، وتتحرك به الوجدانات ، و تحيا به فيوضات القلوب.

قواعد متعلقة بالتشبيه :

1- قد تشبه أشياء بأشياء ، ثم تارة يصرح بذكر المتشبهات [1]، كقوله تعالى : ومـا يستَوِي الْبحران هذَا عذْب فُراتٌ سائِغٌ شَرابه وهذَا مِلْح أُجاج [2].

2- أعلى مراتب التشبيه في الأبلغية ترك وجه الشبه وأدواته :نحو زيد أسـد وهـذا تشبيه بليغ حذفت فيه الأداة ووجه الشبه ، ولذا يرى الزركشي أن التشبيه البليـغ يأتي في أعلى المراتب.

3- قد تدخل الأداة على شيء وليس هو عين المشبه ولكنه ملتبس به واعتمد على فهم المخاطب . نحو قوله تعالى : وإِذ نَتَقْنَا الْجبلَ فَوقَهم كَأَنه ظُلَّةٌ [3] وفيه زيـادة ، وهو تشبيه الخارق بالمعتاد.

4- إذا كانت فائدته إنما هي تقريب الشبه في فهم السامع وإيضاحه له محقة أن يكون وجه الشبه به أتم ، والقصد التنبيه بالأدنى على الأعلى .

واستدل عليه بقول أبي العلاء المعري:

ظلمناك في تشبيه صدغيك بالمسك * وقاعدة التشبيه نقصان ما يحكى[4]

وأشار إلى قوله تعالى : مثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ [5] قال :" فيمكن أن يكون المـشبه بـه أقوى لكونه في الذهن أوضح ؛ إذ الإحاطة به أتم "[6].

---

[1] - البرهان ، ج3 ، ص 260
[2] - فاطر ، الآية :12
[3] - الأعراف ، الآية :171
[4] - البرهان ، ج3 ، ص 262
[5] - النور ، الآية :35
[6] - البرهان ، ج3 ، ص 262

أما قوله تعالى : ﴿إن مثَلَ عِيسى عِند اللّهِ كمثَل آدم﴾[1]؛ فهـو مـن تـشبيه القريـب بالأغرب ؛ لأن خلق آدم من خلق عيسى ليكون أقطع للخصم ،وأوقع في النفس . وفيـه دليل على جواز القياس.

5- الأصل دخول أداة التشبيه على المشبه به وهو الكامل . كقولك : لـيس الفـضة كالذهب .

وقد تدخل على المشبه لأسباب (الأغراض) منها :

1- وضوح الحال : كقوله تعالى : ﴿وليس الذكر كالأُنثى﴾[2].

قال الزركشي :" فإن الأصل وليس الأنثى كالذكر ، وإنما عدل عن الأصـل لأن معنى " وليس الذكر"الذي طلبت "كالأنثى " التي وهبت لها ، لأن الأنثى أفضل منه : وقيل : لمراعاة الفواصل ، لأن قبله : ﴿إني وضعتُها أُنثى﴾[3] .

ووجه الزركشي نقدا إلى ما ذهب إليه ابن الزملكاني في توضيح نوع التشبيه فـي قوله تعالى :"وليس الذكر كالأنثى "وقال إنه تشبيه مقلوب ، فقال الزركشي :"ووهم ابـن الزملكاني في " البرهان حيث زعم أن هذا من التشبيه المقلوب ، وليس كذلك لما ذكرنـا من المعنى"[4] .

ثم أوضح الزركشي المسألة ، وبين أن السبب في جعل الفرع أصلا ، والأصـل فرعا في التشبيه جاء لنفي المبالغة في المشابهة لا نفي المشابهة .

[1] - آل عمران ، الآية :59
[2] - آل عمران ،الآية :36
[3] - آل عمران ، الآية :36
[4] - البرهان ، ج3 ، ص 262

يقول الزركشي :"لما كان جعل الفرع أصلا ، والأصل فرعا في التشبه في حالة الاثبات يقتضي المبالغة في التشبيه ، كقولهم : القمر كوجه زيد ، والبحر ككفيه ، كان الأصل فرعا ، والفرع أصلا في كماله الذي يقتضي نفي المبالغة في المشابهة لانفي المشابهة ، وذلك هو المقصود هنا ، لأن المشابهة واقعة بين الذكر والأنثى في أعم الأوصاف وأغلبها ، ولهذا يقاد أحدهما بالآخر "[1].

2- قصد المبالغة : فيقلب التشبيه ، ويجعل المشبه هو الأصل ويسمى تشبيه العكس ؛ لاشتماله على جعل المشبه مشبها به ، والمشبه به مشبها ، نحو قوله تعالى : قَالُواْ إِنما الْبيع مِثْلُ الربا [2].

وكقوله تعالى : أَفَنَجعلُ الْمسلِمِين كَالْمجرِمِين [3].

وقال بعضهم : أن أصل التشبيه أن يشبه الأدنى بالأعلى ، فتقول :"أ فنجعل المجرمين كالمسلمين ، والفجار كالمتقين " لم خولفت القاعدة ؟

ويجيب الزركشي عن المسألة : ويقول : فيها وجهان:

1- أن الكفار كانوا يقولون : نحن نسود في الآخرة ، كما نسود في الدنيا ويكونون أتباعا لنا. فكما أعزنا الله في هذه الدار يعزنا في الآخرة ، فجاء الجواب على معتقدهم أنهم أعلى ، وغيرهم أدنى[4].

2- لما قيل قبل الآية :" وما خَلَقْنَا السماء والْأَرض وما بينَهما باطِلاً ذَلِك ظَن الَّذِين كَفَروا [5] أي يظنون أنا نجعل المؤمنين كالمجرمين ، والمتقين كالفجار[6].

3- أن التشبيه في الذم يشبه الأعلى بالأدنى ؛ لأن الذم مقام الأدنى والأعلى ظاهرة عليه ، فيشبه به في السلب : نحو قوله تعالى :" يا نِساء النبِي لَستُن كَأَحدٍ من النساء [7] أي في النزول لا في العلو .

---

1 - البرهان ، ج3 ، 262،263
2 - البقرة ، الآية :275
3 - القلم ، الآية : 35
4 - البرهان ، ج3 ، ص 263،264
5 - ص ، الآية : 27
6 - البرهان ، ج3 ، ص 264
7 - الأحزاب ، الآية :32

4-قد يدخل التشبيه على لفظ محذوف لامتناع ذلك ، لأنه بسبب المحذوف ، كقوله تعالى : ومَثَلُ الذِين كَفَرواْ كَمثَل الذِي ينْعِقُ ِبما لاَ يسمع [1] .
والتقدير : كمثل واعظ
الذين كفروا ، فالمشبه الواعظ ، والمقصود تشبيه حال الواعظ[2].
إذن؛ التشبيه عروس البياني العربي ، وأس البلاغة العربية ، وهو بكل ضروبه - الوسيلة الأولى للكشف عن خفايا المعاني ، وتصورات الخيال ، وإبراز ما يجول في المشاعر والأحاسيس .
وهو روضة فيما يمتع العواطف ويثيرها ، و نقيع العقول ، ويبعث النشوة في القلوب يريك الغائب حاضرا ،والحاضر غائبا ، البعيد قريبا ،والقريب بعيدا ، والمستحيل واقعا والمتنافر متآلفا . لهذه السمات احتل موقع الصدارة في البيان السامي ،والأدب الرفيع ، وهو أداة فطرية مركوزة في الطباع يجري على ألسنة كل المتكلمين، ويعمل على صقل المعاني وتجليتها .والتشبيه القرآني تفرد عن التشبيه البشري ، ذلك أن التشبيه في القرآن يركز على مظاهر الطبيعة ، وأسرار البيئة ، بما فيها من حيوان ، ونبات ، وجماد ، وكائنات ، وما إلى ذلك ، وعلة هذا اللجوء تعميق الصورة في الأذهان ،حتى يزداد تأثيرها في النفوس ، ومن ثم استعمل التشبيه القرآني من الكلمات (سراب ، مشكاة ، بحر ، الحمار ...) .
والتشبيه القرآني يمثل في الأذهان حيا شاخصا في الوجدان ، محققا الغرض الأسنى ، وهو : إيضاح الأغمض ، وتقريبه إلى الأفهام ، ولذلك قال صاحب الصناعتين :" والتشبيه يزيد المعنى وضوحا ، ويكسبه تأكيدا ، لهذا ما أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه ،ولم يشغل أحد منهم عنه "[3].

[1] - البقرة ، الآية : 171
[2] - البرهان ، ج3 ، ص 264
[3] - العسكري ، الصناعتين ، ص 216

المجاز في القرآن

ماهية المجاز:

الكلام في اللغة العربية على قسمين : حقيقة ومجاز.

فماالمقصود بالحقيقة ؟

ومالمقصود بالمجاز؟

الحقيقة هي كل لفظ استعمل في معناه الأصلي ،ولعل هذا المفهوم تكاد تجمع عليه تعاريف العلماء ، وإن كان هناك اختلاف فمرده إلى الكيفيات والصياغات ، ومن أبرز هذه المفاهيم ماذهب إليه ابن جني حيث عرفها بقوله "الحقيقة ما أقرفي الاستعمال على أصل وضعه في اللغة "[1]

وعرفها أحمد مطلوب بقوله :"الحقيقة هي دلالة اللفظ على المعنى الموضوع له في أصل اللغة"[2] .

والمجاز من المباحث البلاغية التي حظيت باهتمام كبير من قبل علماء اللغة والبلاغة ، وحرصوا على تحديد مفهومه ، ووضع تعريفات متعددة ومتلونة ومختلفة في ألفاظها وصياغاتها ولكن تتشابهت في مضامينها ومن ابرز هذه المفاهيم ما ذهب إليه القاضي عبد الجبار حيث يقول :"والتجوز هو أن يستعمل اللفظ في غير ما وضع له في الأصل "[3] .

وعرفه أحمد مطلوب بقوله:"المجاز هو تعدي المعنى الأصلي اللغوي إلي معني غير مصطلح عليه في الوضع الذي وقع فيه التخاطب لعلاقة بين الأول والثاني "[4]

---

[1] - ابن جني ،الخصائص ،تح ،محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ،(د ط) 1955م ،ج2،ص442

[2] - ينظر ،د.أحمد مطلوب ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ط1403/3ه،ج1 ،ص453

[3] - القاضي عبد الجبار ،المعني في أبواب التوحيد والعدل ، تح محمود الخضري ، وزارة الثقافة والارشاد القومي (د ط) 1958م ،ج5/ص145

[4] - أحمد مطلوب ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ،ج1 ،ص435

ومن هنا يتضح جليا أن كل مجاز له حقيقة ؛لأن المجاز قسيم الحقيقة ولولا الحقيقة لما كان هناك مجاز ،يقول ابن الأثير :"لأنه لم يصح أن يطلق عليه اسم المجاز إلا لنقله عن حقيقة موضوعة ، وإذا كان كل مجاز له حقيقة ،فليس معنى ذلك أن كل حقيقة يجب أن يكون لها مجاز"[1] .

ويكون المجاز قسيم الحقيقة إذا كانت هناك علاقة بين المعنى الحقيقي ،والمعنى المجازي ؛لأن العملية المجازية قائمة على تحول دلالة الألفاظ من دلالتها الأولى إلى دلالات أخرى جديدة .وهذا ما رمى إليه عبد القاهر الجرجاني وسماه بالمعنى ومعنى المعنى.

فالمعنى هو الدلالة الأولى الحقيقية ، معنى المعنى هو الدلالة الجديدة المجازية ، ولعل أجمع تعريف للمجاز عند البلاغيين ، ما ذهب إليه العلوي حيث عرفه بقوله المجاز هو "ما أفاد معنى غير مصطلح عليه في الوضع الذي وقع فيه التخاطب لعلاقة بين الأول والثاني "[2]

ومن كل التعريفات السابقة يتضح لنا أن المجاز هو استعمال الكلمة في معنى آخر غير المعني الذي وضعت له في أصل اللغة لعلاقة بين المعنيين مع وجود قرينة تمنع من إرادة المعنى الحقيقي.

أقسام المجاز :

قسم علماء البلاغة المجاز إلى قسمين :

1- المجاز العقلي :

ويسمى أيضا "المجاز الحكمي " والإسناد المجاري" ويكون في الإسناد ، ونسبة الشيء إلى غير ما هو له ، كقولك : بنى الأمير المدينة.

[1] - ابن الأثير ،المثل السائر ،ج1،ص25،26
[2] - العلوي ، الطراز ،ج1،ص 28، 36

المجاز اللغوي :

ويكون في نقل الألفاظ عن حقائقها اللغوية إلى معان أخرى بينهـا صـلة ، ومناسـبة ، ويكون في الإفراد والتركيب.

والمجاز اللغوي على قسمين :

1-مجاز لا تكون فيه العلاقة المشابهة ، وهو المجاز المرسل ولـه علاقـة كثيرة لا تكاد تحصر ، منها: (السببية ،المسببية ، الكلية ، الجزئية اعتبار ما كان ، اعتبار ما سيكون ...) وغيرها .

2-مجاز تكون العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي المشابهة وهي الاستعارة.

والمجاز من الأساليب البلاغية القديمة في لغة العرب ، واللغة فـي بـدايات نشأتها ـ بإجماع أغلب الباحثين ـ كانت مجازا كلها .

وقد اعتبر الدارسون المجاز محكا و مقياسا ومعيارا في تقـويم وتقيـيم العملية الإبداعية الأدبية ، فتمكّن الشاعر من استخدام المجاز والسيطرة عليه ، دلالة على النبوغ الشعري ، والتفوق فيه ، يقول هربرت ريد "read herbert " :" يجب علينا دائما أن نتهيأ للحكم على الشاعر لقوة المجـاز فـي شـعره وأصالتها"[1]

[1] أحمد مطلوب ، الصورة في شعر الأخطل الصغير ، دار الفكر للنشر والتوزيع عمان الأردن،(ب ط) 1985م ،ص 42

ويقول كولردج "coleridge"

" الشعر من غير المجاز يصبح كتلة جامدة ،ذلك لأن الصور المجازيـة هـي جزء ضروري من الطاقة التي تمد الشعر بالحياة"[1].

ويستشف من مقالة كولردج أن الشعر الحقيقي هو الذي يحمل بين جنبيه طاقة مشعة من المجاز ، وبدونها يصير الشعر إلى الموت والفناء ، وهذا ما عبـر عنه كولردج " يصبح كتلة جامدة".

إذا ، المجاز قوة خارقة تمد الشعر بألوان الحياة ، وتغذي الفن والإبداع ، ليكون مؤثرا فعالا ، ناهضا برسالته الفنية الجميلة .

مما سبق ذكره ، فما هو المجاز ؟.

تكاد كتب البلاغة العربية تتفق على أن المجاز :" هو نقل اللفظ عن معناه الموضوع له في اللغة إلى معنى جديد "[2].

ومن خلال هذا التعريف يتضح بجلاء أن المجاز باختصار هو النقـل ، وهو خلاف الحقيقة .

وأشار ابن قيم الجوزية - رحمه الله - في معرض حديثه عن ولـوع العرب بالمجاز، وغلبته على تعابيرهم ، وتآليفهم ، فقال :"فإن المعنـى الـذي استعملت العرب المجاز من أجله ميلهم إلى الاتساع في الكلام ، وكثرة معاني الألفاظ ، ليكثر الالتذاذ بها "[3].

ولم يقف ابن قيم الجوزية عند تبيان الغاية حيث استعمل العرب المجاز فحسب ، وإنما راح يجلي مواطن الإبداع التي وصلت إليها العرب في لغتهـا المجازية حتى قال :"أتوا فيه (المجاز) بكل معنى رائق ، ولفظ فائق ، واشتد

---

[1] - م ،السابق ، ص42
[2] - م ،السابق ، ص 42
[3] - ابن القيم الجوزي ، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،لبنان ،(ب ط) ، (د ت) ،ص 10

باعهم في إصابة أغراضه ، فأتوا فيه بالخوارق ، وزينوا به خطبهم وأشعارهم ."[1]

مما سبق ذكره يتضح أن العرب أولت المجاز عنايـة خاصـة ، وكاد يطبع كل أعمالهم الإبداعية ،فأتوا فيه بالأعاجيب ، مما زان تعـابيرهم ، وطرائف الكتابة عندهم ،فغدا المجاز ركنا ركينا في العملية الإبداعية والجمالية ، ومقياسا تقاس به التجربة الشعرية ، ومدى عمقها ، وسبر الجمال فيها .

والمجاز سمة من سمات الإبداع ، وعلامة مـن علامـات التفـوق الـشعري والأدبي .

وقوع المجاز في القرآن :

المجاز باب من أبواب البلاغة العربية كثر حوله جدل ونقـاش مريـر بـين العلماء والباحثين - قديما وحديثا- وتبعا لذلك فقد تباينت الأقوال فيه ، وتـشعبت الآراء وارتفعت الأصوات ، وانقسم العلماء في هذا الباب طرائق قددا .

فمنهم من عد المجاز من مفاخر العربية ، وشطر الحسن فـي القـرآن ، ودليـل الفصاحة ،ورأس البلاغة . ومن أكبر الوسائل إلى الافتنان في التعبير وإيـراد المعنـى الواحد بالصور المختلفة ، وأنه يكسب اللغة مرونة وتجددا واتساعا . وهؤلاء هم المثبتون للمجاز في اللغة والقرآن.

ولفيف آخر يطعن في المجاز ، ويحاول هدمه من أصوله ، وأنه حادث في هذه الأمة ، وجاء من المعتزلة والجهمية ، و أضرابهم من المتكلمين .

وجمهور العلماء يثبتون المجاز في اللغة والقرآن الكريم ، ولذلك يقول العلوي "أجمع أهل التحقيق من علماء الدين والنظام من الأصوليين وعلماء البيان .أجمعوا على جواز دخول

---

[1] - م ،السابق ، ص 10،11

المجاز في كلام الله تعالى ، وكلام رسوله - صلى الله عليه وسلم - في كلا نوعيه ، المفرد والمركب" [1] .

وفي مقابل هؤلاء نجد لفيفا من العلماء يجنحون إلى إنكار المجاز ، وهم وإن كانوا قلة ، إلا أن فيهم أئمة لهم قدم راسخة في العلم ، ولهم مقاصد حسنة حيثما أنكروا المجاز ؛ وذلك لنصرة دين الله - عز وجل - والوقوف بالمرصاد في وجه المبتدعة الذين حاولوا تعطيل نصوص الشريعة .ومن هؤلاء المنكرين :(ابن خويز منداد ، ابن تيمية ، و الشنقيطي ...) وغيرهم .

ومن أشدهم إنكارا ورفضا لوقوع المجاز في لغة العرب والقرآن ، الإسفراييني حيث يقول :"لا مجاز في لغة العرب "[2] .

وتعرض هؤلاء المنكرون لوقوع المجاز في لغة العرب والقرآن إلى نقود كثيرة ومتعددة منها :

1- نقد الجاحظ :

الجاحظ إمام من أئمة البلاغة العربية ،وله صولات وجولات في هذا الميدان ، وهو من القائلين بوقوع المجاز في القرآن العظيم ، فاستدل على ذلك بقوله تعالى :"" يخْرج مِن بطُونِها شَراب [3].فيقول : فالعسل ليس بشراب ، وإنما هو شيئ يحول بالماء شرابا ، أو بالماء نبيذا فسماه - كما ترى - شرابا إذا كان يجئ منه الشراب " ، واستدل على صحة المجاز في الآية الكريمة بموافقته لكلام العرب :"وقد جاء في كلام العرب أن يقولوا :"جاءت السماء اليوم بأمر عظيم"

وقد قال الشاعر :

إذا سقط السماء بأرض قوم * رعيناه ، وإن كانوا غضابا4"

[1] - العلوي ، الطراز ، ج1 ، ص 46
[2] - ابن تيمية ، كتاب الإيمان ضمن مجموع الفتاوي ، جمع عبد الرحمن الحنبلي ، دار التقوى ، (د ط) _د ت) ،ص 89،90
[3] - النحل ،الآية :69
4- أسامة بن منقذ ، البديع في البديع في نقد الشعر، ص127

ويرى الجاحظ أن الرافضين لوجود المجاز في القرآن الكريم يرجع إلى جهلهم باللغـة العربية .وقولهم بعدم وقوع المجاز في القرآن ؛قول فاسد . يقول ومن " حمل اللغة علـى هذا المركب ، لم يفهم عن العرب قليلا ولا كثيرا ، وهذا الباب هو مفخرة العـرب فـي لغتهم ، وبه وبأشباهه اتسعت ، وقد خاطب بهذا الكلام أهل تهامة ، وهذيلا ، وضـواحي كنانة ، وهؤلاء أصحاب العمل ، والأعراب أعرف بكل صمغة سائلة ، وعسلة ساقطة ، فهل سمعتم بأحد أنكر هذا الباب ، أو طعن عليه من هذه الحجة "[1].

2- نقد ابن قتيبة :

يقول ابن قتيبة في رده على الرافضين للمجاز في القرآن :"وأما الطاعنون على القرآن (بالمجاز) ، فإنهم زعموا أنه كذب . لأن الجدار لا يريد ، والقرية لا تسأل وهذا من أشنع جهالاتهم ، وأدلها على سوء نظرهم ، وقلة أفهامهم .
لو كان المجاز كذبا ، وكل فعل نسب إلى غير الحيوان باطلا ، كان أكثر كلامنا فاسدا ؛ لأنا نقول : نبت البقل ، وطالت الشجرة ، وأينعت الثمرة ، وأقام الجبل ، ورخص السعر ..."[2]

ثم عقب قائلا :"... ولو قلنا للمنكر قوله (جدار يريد أن ينقض) كيف كنت أنت قائلا في جدار رأيته على شفا انهيار : رأيت جدارا ماذا ؟ لم يجد بدا من أن يقول :جدارا يريد أن ينقض ، أو يكاد ينقض ، أو يقارب أن ينقض وأياما قال فقد جعله فاعلا ، ولا

[1] - الجاحظ ، الحيوان ، تح ، عبد السلام هارون ، القاهرة ، ط1 ،(د ت) ، ج5 ص 424
[2] - ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، ص 85

أحسبه يصل إلى هذا المعنى في شئ من لغات العجم إلا بمثل هذه الألفاظ"[1].

وما أكثر النقود التي وجهت إلى الرافضين لوقوع المجاز سواء في اللغة ،أو القرآن حسبنا منها هذا للتدليل و الإيضاح .

الحقيقة والمجاز عند الزركشي :

في بداية حديثه عن الحقيقة والمجاز نبه الزركشي إلى أن القرآن العظيم يضم بين دفتيه الكثير من الحقائق التي لا يمكن التجوز فيها . وإلى هذا أشار قائلا :"لا خلاف أن كتاب الله يشمل على الحقائق "[2] ثم بين المقصود بالحقائق -ها هنا - حيث يقول :"وهي كل كلام بقي على موضوعه ،كالآيات التي لم يتجوز فيها ، وهي الآيات الناطقة ظواهرها بوجود الله تعالى وتوحيده وتنزيهه والداعية إلى أسمائه وصفاته "[3]، ثم استدل على هذه القضية بجمهرة من الآيات القرآنية منها :

قوله تعالى : هو الله الذِي لَا إِلَه إِلا هو عالِم الْغَيبِ والشهادةِ [4]

قوله تعالى : من يحيِي الْعِظَام وهِي رمِيم [5]

قوله تعالى : أَمن يبدأُ الْخَلْقَ ثُم يعِيده [6]

وأما المجاز فاختلف في وقوعه في القرآن ،والجمهور على الوقوع ، وأنكره جماعة منهم :(ابن القاص من الشافعية ، وابن خويز منداد من المالكية ، و داود بن علي الظاهري وابنه ،...) وغيرهم .

" وشبهتهم أن المتكلم لا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا إذا ضاقت به الحقيقة فيستعير ، وهو مستحيل على الله سبحانه"[7]

---

[1] - المصدر السابق ، ص 86
[2] - البرهان ، ج2 ، ص158
[3] - المصدر نفسه ، ص ن
[4] - الحشر ، الآية :22
[5] - يس ، الآية :78
[6] - النمل " الآية 64
[7] - البرهان ،ج2 ، ص159

ورد الزركشي على هذا الإنكار والشبهة بقوله :"وهذا باطل ، ولو وجب خلو القرآن من المجاز لوجب خلوه من التوكيد والحذف ،وتثنية القصص وغيره ،ولو سقط المجاز من القرآن سقط شطر الحسن "[1].

ويشير الزركشي إلى من اهتم بالمجاز وأفرد له مصنفا كاملا ، فذكر الإمام أبا محمد بن عبد السلام ، فقال :"وقد أفرده بالتصنيف أبو محمد بن عبد السلام ، وجمع فأوعى"[2].

أقسام المجاز عند الزركشي :

قسم الزركشي المجاز إلى قسمين وذكر سببين، فأما الأول:

الشبه ،ويسمى المجاز اللغوي ، وهو الذي يتكلم فيه الأصولي

أما الثاني ،الملابسة [3] وهذا الذي يتكلم فيه أهل اللسان ، ويسمى المجاز العقلي .

ويعرف المجاز العقلي بقوله :"وهو أن تسند الكلمة إلى غير ما هي له أصالة بضرب من التأويل ، كسب زيد أباه ،إذا كان سببا فيه "[4] .

ويستدل على النوع الثاني ؛ وهو المجاز المركب بآيات من القرآن الكريم ومنها قوله تعالى : ﴿وإِذَا تُلِيتْ علَيهم آياتُه زادتْهم إِيمانًا﴾ [5]

ونسبت الزيادة التي هي فعل الله إلى الآيات لكونها سببا فيها .

وكذا قوله تعالى : ﴿وذَلِكُم ظَنكُم الذِي ظَنَنتُم بِربكُم أَرداكُم﴾ [6]

وقسم المجاز العقلي إلى ثلاثة أقسام :

1- ما طرفاه حقيقيان :نحو قوله تعالى : ﴿وأَخْرجتِ الْأَرض أَثْقَالَها﴾ [7]

2- ما طرفاه مجازيان : نحو قوله تعالى : ﴿فَما ربِحت تجارتُهم﴾ [8]

---

[1] - المصدر السابق ،ص ن
[2] - المصدر السابق ، ص ن
[3] - والمقصود بالملابسة :العلاقة التي سوغت إسناد الفعل إلى غير ما هو له وقد تكون هذه العلاقة فاعلية ،او مفعولية ، زمانية أو مكانية ، مصدرية أو سببية.
[4] - المصدر السابق ، ص ن
[5] - الأنفال ، الآية : 02
[6] - فصلت ، الآية :23
[7] - الزلزلة ، الآية :02
[8] - البقرة ، الآية :16

3- ما كان أحد طرفيه مجازا دون الآخر ، كقوله تعـالى حتـى تَـضع الْحـرب أَوزارها :[1]

ثم ذكر الزركشي أنواعا من المجاز المفرد في القرآن مبينا بأنها كثيرة لايمكن عدها أو إحصاؤها ، فسمى منها ستة وعشرين نوعا هي :

1- إيقاع المسبب موقع السبب:

كقوله تعالى : قَد أَنزلْنَا علَيكُم لِباسا [2]، وإنما نزل سببه؛وهو الماء.

2- إيقاع السبب موقع المسبب:

كقوله تعالى : وجزاء سيئَةٍ سيئَةٌ مثْلُها [3]

سمي الجزاء الذي هو السبب سيئة واعتداء فسمي الشيئ باسم سببه

3- إطلاق اسم الكل على الجزء :

قال تعالى : يجعلُون أَصابِعهم فِي آذَانِهم من الصواعِق [4]

أي أناملهم ،وحكمة التعبير عنها بالأصابع الإشارة إلى أنهم يدخلون أنا ملهم في آذانهـم بغير المعتاد ،فرارا من الشدة ، فكأنهم جعلوا الأصابع .

4- اطلاق اسم الجزء على الكل :

ومثل له بقوله تعالى : كُل شَيءٍ هالِك إِلا وجهه [5]

والمراد بوجهه أي ذاته بدليل قوله تعالى : ويبقَى وجه ربك [6]

5- إطلاق اسم الملزوم على اللازم :

كقوله تعالى : صم وبكْم فِي الظُّلُماتِ [7] فإن الأصل "عمي " لقوله في موضع آخـر :"صم بكم عمي"؛ لكن أتى بالظلمات لأنها من لوازم العمى.

---

[1] - محمد ، الآية :04
[2] - الأعراف ، الآية :26
[3] - الشورى ،الآية :40
[4] - البقرة / الآية :19
[5] - القصص ، الآية: 88
[6] - الرحمن ،الآية :27
[7] - الأنعام ، الآية :39

فإن قيل : ما الحكمة في دخول الواو هنا وفي التعبير بالظلمات عن العمى بخلافه في الآية الأخرى ؟

الزركشي طرح هذا الإشكال ، ولم يذكر جواب هذه المسألة .

6- **إطلاق اسم اللازم على الملزوم** :

كقوله تعالى : فلولا أنه كان من المسبحين 1 أي المصلين.

7- **إطلاق اسم المطلق على المقيد** :

كقوله تعالى : فَعقَروا الناقَة 2 والعاقر لها من قوم صالح قدار بن سالف ؛ لكنهم رضوا الفعل فنزلوا منزلة الفاعل .

8- إطلاق اسم المقيد على المطلق :

كقوله تعالى : تَعالَواْ إِلى كَلمةٍ سواء بينَنَا وبينَكُم 3 أن المراد بها كلمة الشهادة وهي من عدة كلمات.

9- إطلاق اسم الخاص وإرادة العام :

كقوله تعالي : إني رسولُ رب الْعالَمِين 4 أي رسله.

وكقوله تعالى : هم الْعدو فَاحذَرهم 5 أي :الأعداء

10- **إطلاق اسم العام وإرادة الخاص** :

1- الصافات، الآية،143

2 – الأعراف ،الآية : 77

3 - آل عمران ،الآية :64

4 - الزخرف ،الآية:46

5 - المنافقون ،الآية :04

كقوله تعالى : ويستَغْفِرون لِمن فِي الأَرضِ [1] ،أي :للمؤمنين،بدليل قوله في موضـع آخر: ويستَغْفِرون لِلذِين آمنُوا [2] ولما خفي هذا على بعضهم زعم أن الأولى منـسوخة بالثانية.

وقوله تعالى : تُدمر كل شيءٍ بأمر ربها [3]ولم تجتح هودا والمسلمين معه.

وقوله تعالى : الْحج أَشْهر معلُومات [4] ،والمراد :شهران وبعض الثالث.

11- **إطلاق الجمع وإرادة المثنى:**

كقوله تعالى : فَقَد صغَتْ قُلُوبكُما [5] ؛أطلق اسم القلوب القلبين

12- **النقصان:**

وبين الزركشي أن من النقصان حذف المضاف ،وإقامة المضاف إلية مقامه[6]

كقوله تعالى : نَحن أَنصار اللهِ [7]،أي أنصار دين الله.

13- **الزيادة :**

كقوله تعالى : لَيس كَمِثْلِهِ شَيء [8] ،وقد فصل القول في الزائد الكاف أم مثل وأنهـى ذلك بقوله :"بل المراد حقيقة المثل ليكون نفيا عن الذات بطريق برهاني كسائر الكتابات ، ثم لايشترط على هذا أن يكون لتلك الذات الممدوحة مثل في الخارج حصل النفي عنـه ، بل هو من باب التخييل في الاستعارة التي يتكلم فيها البياني"[9] .

وأماقوله تعالى : فَإِن آمنُواْ بِمِثْلِ ما آمنتُم بِهِ فَقَدِ اهتَدوا [10].

فقيل :إن "ما" مصدرية .وهذا فيه نظر،لأن "ما" لو كانت مصدرية لم يعد إليه من الـصلة ضمير ، وهوالهاء في (به) ،لأن الضمير لايعود على الحروف ، ولا يعتبـر اسـما إلا بالصلة ، والاسم لايعود عليه ضمير ماهو صفته ؛إذ لايحتاج في ذلك إلى ربط.

---

[1] - الشوري ،الاية :05
[2] - غافر ،الآية :07
[3] - الأحقاف : الاية :23
[4] - البقرة ،الاية :197
[5] - التحريم ،الاية :04
[6] - البرهان ،ج2،ص170
[7] - الصف ، الآية :14
[8] - الشورى ،الآية :11
[9] - البرهان،ج2 ، ص 171
[10] - البقرة ،الآية :137

وجوابه :أن تكون "ما " موصولة ، صلتها "آمنتم به "[1]

وقيل مزيدة ، والتقدير : فإن آمنوا بالذي آمنتم به ،أي : بالله وملائكته وكتبـه ورسـله ، وجميع ماجاء به الأنبياء .

وقيل :إن "مثلا" صفة لمحذوف تقديره : فإن آمنوا بشئ مثل ما آمنتم به . وفيه نظر،لأن ما آمنوا به ليس له مثل حتى يؤمنوا بذلك المثل [2]

14- تسمية الشئ بما يؤول إليه:

كقوله تعالى : ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا [3] ،أي صائر إلى الفجور والكفر.

وقوله تعالى : فبشرناه بغلام حليم [4] و: وبشروه بغلام عليم [5]وصـفه فـي حـال البشارة بما يؤول إليه من العلم والحلم.

ونبه أن ليس هذا من الحال المقدرة كما يتبادر إلى الذهن ،لأن الذي يقتـرن بالفاعـل أو المفعول ،إنما هو تقدير ذلك وإرادته ، فيكون المعنى في قوله : فتبسم ضاحكا [6]مقدرا ضحكه.

15- تسمية الشئ بما كان عليه:

كقوله تعالى : وآتوا اليتامى أموالهم [7] أي :الذين كانوا يتامى إذ لا يتم بعد البلـوغ .

وقيل :بل هم يتامى حقيقة ،وأما حديث :"لايتم بعد احتلام " فهو من تعليم الشرع لا اللغة ، ونبه أنه غريب[8]

---

[1] - البرهان ،ج2 ، ص 172
[2] - المصدر نفسه ، ص ن
[3] - نوح ، الآية :27
[4] - الصافات ،الآية :101
[5] - الذاريات ،الاية :28
[6] - النمل ،الآية :19
[7] - النساء ،الآية :02
[8] - البرهان ،ج2 ،ص 174

وقوله تعالى : ﴿ من يأتِ ربه مجرما ﴾[1] سماه مجرما باعتبار ما كان عليه في الدنيا من الإجرام.

16- إطلاق اسم المحل على الحال:

كقوله تعالى : ﴿ وفُرشٍ مرفُوعةٍ ﴾[2] ،أي نساؤه ، بدليل قوله : ﴿ إنا أنشأْنَاهن إنشَاء ﴾[3] ، وكالتعبير باليد عن القدرة ، كقوله تعالى : ﴿ بيدِهِ الْملْك ﴾[4]

17- إطلاق اسم الحال على المحل :

كقوله تعالى : ﴿ وأَما الذِين ابيضتْ وجوههم فَفِي رحمةِ اللّهِ هم فِيها خَالِدون ﴾[5]
أي :في الجنة لأنها محل الرحمة.

18- إطلاق اسم آلة الشئ عليه :

كقوله تعالى : ﴿ واجعلْ لِي لِسان صِدق فِي الآخِرِين ﴾[6]،بين ذلك بقوله :أي ذاكرا حـسنا وأطلق اللسان وعبرعن الذكر.
وقوله تعالى : ﴿ تَجري بِأَعيننَا ﴾[7] ،أي بمرأى منا ،لما كانت العين آلة الرؤية.

19- إطلاق اسم الضد على آخر :

كقوله تعالى : ﴿ هلْ جزاء الْإِحسان إِلا الْإِحسان ﴾[8] ،بين أن الأول طاعة والثـاني ثـواب ،كأنه قال :هل جزاء الطاعة إلا الثواب.

---

[1] - طه ، الآية :74
[2] - الواقعة ، الاية 34
[3] - الواقعة ،الآية :35
[4] - الملك ،الآية :01
[5] - آل عمران ،الآية :107
[6] - الشعراء ،الآية :84
[7] - القمر ،الآية :14
[8] - الرحمن ،الآية :60

وكقوله تعالى : ومكروا ومكر الله [1] ،حمل اللفظ على اللفظ ،فخرج الانتقام بلفظ الذنب ،لأن الله لايمكر.

20- تسمية الداعي إلى الشيئ باسم الصارف عنه

نبه الزركشي بقوله لما بينهما من التعليق . ولم يمثل له ، وأشار إلى الآية التي خرج عليها السكاكي هذا النوع ، وهي قوله تعالى : ما منعك ألا تسجد [2]، وبدا الزركشي غير مقتنع بما قيل حولها .

21- إقامة الصيغة مقام أخرى:

له صور منها:

- فاعل بمعنى مفعول ، كقوله تعالى : لا عاصم اليوم من أمر الله [3]،أي لا معصوم .
- فعيل بمعنى مفعول ،كقوله تعالى : وكان الكافر على ربه ظهيرا [4]،أي مظهورا.
- مجئ المصدر على " فعول " ، كقوله : لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا [5].
- إقامة الفاعل مقام المصدر ، نحو قوله تعالى : ليس لوقعتها كاذبة [6]،أي تكذيب .
- إقامة المفعول مقام المصدر : نحو قوله تعالى : بأييكم المفتون [7]،أي : الفتنة .

[1] - آل عمران ،الآية :54
[2] - الأعراف ،الآية 12
[3] - هود ،الآية : 43
[4] - الفرقان ،الآية :55
[5] - الفرقان ،الآية 62
[6] - الواقعة ،الآية :02
[7] - القلم ،الآية :06

- وصف الشئ بالمصدر ، نحو قوله تعالى : فَإِنهم عدو لي [1] ، قـالو : إنمـا وحده لأنه في معنى المصدر ، كأنه قال :"فإنهم عداوة "
- مجئ المصدر بمعنى المفعول ، كقوله تعالى : ولاَ يحِيطُون بِشَيءٍ من عِلْمِهِ [2].
- ومنه "فعيل "بمعنى الجمع ؛ كقوله تعالى : والْملَائِكَةُ بعد ذَلِك ظَهِير [3].
- ومنه إطلاق الخبروإرادة النهي ، كقوله تعالى : لاَ تَعبدون إِلا الله [4]، ومعناه : "لاتعبدوا "

22- **إطلاق الأمر وإرادة التهديد والتاوين : ولم يشرحه ، ولم يمثل له**.

23- **إضافة الفعل إلى ماليس بفاعل له في الحقيقة**:

بين الزركشي أن إضافة الفعل إلى ما ليس بفاعل له في الحقيقة :إما على التـشبيه؛كقوله تعالى : جِدارا يرِيد أَن ينقَض [5]، فإنه شبه ميله للوقوع بشبه المريد له.

وإما لأنه وقع فيه ذلك الفعل ، كقوله تعالى : الم غُلِبتِ الروم [6] فالغلبة واقعة بهم من غيرهم ، ثم قال : وهم من بعدِ غَلَبِهِم سيغْلِبون [7] ، فأضاف الغلب إليهم ، وإنما كان كذلك ، لأن الغلب وإن كان لغيرهم ، فهو متصل بهم لوقوعه بهم .

24- **إطلاق الفعل والمراد مقاربته ومشارفته لاحقيقته:** كقولـه تعـالى :

كُتِب علَيكُم إِذَا حضر أَحدكُم الْموت [8]أي : قارب حضور الموت .

---

[1] - الشعراء ، الآية :77
[2] - البقرة ،الاية :255
[3] - التحريم ،الآية : 04
[4] - البقرة ، الآية :83
[5] - الكهف ،الآية :77
[6] - الروم ،الآية :1،2
[7] - الروم ،الآية :03
[8] - البقرة ،الآية :180

وقوله تعالى : كَذَلِكَ سلَكْنَاه فِي قُلُوبِ الْمجرِمِين لَا يؤْمِنُون بِهِ حتى يروا الْعذَاب الْأَلِيم فَيأْتِيهم بغْتَةً [1] أي :حتى يشارفوا الرؤية ويقاربوها.

25- إطلاق الأمر بالشئ للتلبس به والمراددوامه :

كقوله تعالى : يا أَيها الَّذِين آمنُواْ آمِنُواْ [2] هكذا أجاب به الزمخشري وغيره .

وأصل السؤال غير وارد ؛ لأن الأمر لايتعلق بالماضي ولا بالحال ، وإنما يتعلق بالمستقبل المعدوم حالة توجه الخطاب ،فليس ذلك تحصيلا للحاصل ،بل تحصيلا للمعدوم ؛ فلا فرق بين أن يكون المخاطب حالة الخطاب على ذلك الفعل أم لا لأن الذي هو عليه عند الخطاب مثل المأمور به لا نفس المأمور به [3]

25- إطلاق اسم البشرى على المبشر به :

كقوله تعالى : بشْراكُم الْيوم جنات [4].

قال أبو علي الفارسي : التقدير :بشراكم دخول جنات ، أو خلود جنات ؛لأن البشرى مصدر ، والجنات ذات ،فلا يخبر بالذات عن المعنى .

هذه -ولاشك - جملة من أنواع المجاز الإفرادي التي ذكرها "الزركشي " ، وهي بالكثرة بمكان كما أسلفنا من قبل ، وماذكره الزركشي دل على عمق فكره ،وحسن تخريجه للأمور لإظهار دقائق البيان القرآني ،والكشف عن أسرار إعجازه وسحره وجماله.

الخصائص الفنية للمجاز:

من خلال ما سبق الإشارة إليه من ذكر أنواع المجاز عند الزركشي ، وما قدمه من شواهد قرآنية متنوعة ، ومانبه عليه من ملاحظات جمالية فنية ، وأخرى معنوية ، وما قام به من تخريجات لهذه الأنواع من خلال تلك الشواهد والأدلة ، خلصنا إلى جملة من

[1] - الشعراء ،الآية :200،201،202
[2] - النساء /الآية :136
[3] - البرهان ،ج2 ، ص 183،184
[4] - الحديد ،الآية :12

الخصائص الفنية التي يتركها المجاز بنوعيه (المركب والأفرادي) علـى الأسـاليب ، فيزيدها حسنا ، وجمالا، وتوكيدا، وإثارة ومبالغة . نذكر منها :

أولا :الخصائص الفنية المتعلقة بالمجاز العقلي (المركب):

أ- المبالغة .

ب- الإيجاز.

ج -التشخيص .

د -الاتساع اللغوي.

ثانيا : الخصائص الفنية المتعلقة بالمجاز الإفرادي (المجاز المرسـل):

أ- المبالغة.

ب- توكيد المعاني .

ت- الإيجاز.

ث- إثارة الخيال .

التجوز عن المجاز بالمجاز :

تطرق الزركشي إلى قضية هامة من قضايا المجاز ، وهي ما يعرف بالتجوز عن المجاز بالمجاز ، وأورد تطبيقا لذلك ، إذ قال :" وهو أن تجعل المجاز المأخوذ عن الحقيقة بمثابة الحقيقة بالنسبة إلى مجاز آخر ؛ فتجوز بالمجاز الأول عن الثاني لعلاقة بينهما "[1].

مثاله قوله تعالى : ولَكِن لا تُواعِدوهن سِرا [2]، فإنه مجاز عن مجاز ؛فإن الوطء تجوز عنه بالسر ،لأنه لايقع غالبا إلافي السر ، وتجوز بالسر عن العقد؛ لأنه مسبب عنه

[1] - البرهان ، ج2 ،ص 185
[2] - البقرة ،الآية 235

فالصحيح للمجاز الأول الملازمة، والثاني السببية ، والمعنى " لاتواعدهن عقد النكاح "[1]
وأشار إلى أن ابن السيد البطليوسي (ت444ه) يسميه :"مجاز المراتب "، وجعل منه قوله تعالى : يا بني آدم قَدْ أَنزلْنَا عَلَيْكُم لِباسا [2] ،فإن المنزل عليهم ليس هو نفس اللباس ؛بل الماء المنبت للزرع ، المتخذ منه الغزل المنسوج منه اللباس[3].

رأي الزركشي في المجاز القرآني :

قبل الإبانة عن رأي الزركشي في مسألة وقوع المجاز في القرآن العظيم ،أو عدمه.
يجب تحديد كبريات القضايا التي تناولها الزركشي حول قضية المجاز.

لاشك وأن المجاز شغل عند الزركشي حيزا واسعا ، وترامـت فروعـه فـي فضاءات رحبة ، لما له من أهمية في مجالي اللغة والأدب .ولعل هذا ما دفع بالعلماء إلى القول :"أن المجاز أبدا أبلغ من الحقيقة "[4].

و الزركشي في كتابه "البرهان في علوم القرآن" تعرض إلى كبريات القضايا التي تشكل هذه الظاهرة مستدلا عليها بكم هائل من النصوص القرآنية.

وأولى القضايا التي تناولها الزركشي في برهانه تمثلت في أن المجاز واقع فـي القرآن ،وهذا رأي الجمهور ، وأوضح أن هناك من العلماء من أنكر وقوعه كما أشار إلى اشتراك اللفظ بين حقيقتين ،أو حقيقة ومجاز.

---
[1] - البرهان ، ج2 ، ص 185
[2] - الأعراف ،الآية :26
[3] - البرهان ،ج2 ،ص 185
[4] - الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص53

وعدا لحذف نوعا من أنواع المجاز ، يقول ابن عطية :"وحذف المضاف هو عين المجاز أو معظمه ، وهذا مذهب سيبويه وغيره وليس كل حذف مجازا[1] ما السؤال الهـام هنا : هل كل حذف مجاز؟.

ويبدي الزركشي رأيه في هذه المسألة ، فيقول :"إن أريد بالمجاز استعمال اللفـظ في غير موضعه ،فالحذف ليس كذلك ؛لعدم استعماله ،وإن أريد بالمجاز إسناد الفعل إلـى غيره .وهو المجاز العقلي ، فالحذف كذلك "[2].

إذا الزركشي هنا يحصر الحذف في مطابقته المجاز العقلـي ،فـلا يحكـم لـه بالمجازية المطلقة ،بل اشترط أن يكون في الحذف إسناد للفعل إلى غيره .

ومن هنا يتضح أن القاسم المشترك بين المجاز والحذف ،يتمثل فـي مـا ذكـره الزركشي في قوله :" الحذف خلاف الأصل "[3] .

ووجه الاشتراك أن المجاز - أيضا - ما يمكن تسميته " باللذة الذهنيـة" وقـد أشار إليها الزركشي في معرض حديثه عن فوائد الحذف ، حيث يقول : "إن من فوائـده زيادة لذة بسبب استنباط الذهن للمحذوف ، وكلما كان الشعور بالمحذوف أعـسر كـان الالتذاذ به أشد وأحسن "[4].
كذلك التأكيد على أن الاستعارة والكناية من وجوه المجاز .
هذه أهم النقاط التي عالجها الزركشي في مبحث المجاز.

---

[1] - البرهان ،ج2 ،ص 68
[2] - المصدر نفسه ،ص ن
[3] - البرهان ،ج3 ،ص 68
[4] - البرهان ،ج3 ، ص 69

أما عن رأيه في مسألة وقوع المجاز في القرآن العظيم ، وهو على خـلاف مـا ذهب إليه المنكرون ، بل يرى أن المجاز شطر الحسن والجمال في التعبير ولولاه لذهب الحسن والبهاء ، ولذلك يقول في معرض الرد على المنكرين :"وهذا باطل ،ولـو وجـب خلو القرآن من المجاز لوجب خلوه من التوكيد ، والحذف وتثنية القصص وغيره ،ولـو سقط المجاز من القرآن سقط شطر الحسن "[1] .

ومحل الشاهد ـ ها هنا ـ في قوله :"وهذا باطل " أي : من قال بخلو المجاز في القرآن ،أو أنكره ،فقد حاد عن جادة الحق ، وتنكب عن الصراط السوي ، وكذلك في قوله :"ولو سقط المجاز من القرآن سقط شطر الحسن ".

وها هنا يثبت أن المجاز من طرائق التعبير الفني الجمالي ؛لأن به يتحقق الأداء الجميـل ،ويحدث به ثراء الخيال ،ويصقل به الذوق ،ومن ثمة الغوص في أعماق وجوه التعبيـر ،وإحداث التمكين في النفس ،والأثر في السمع .

إن الخلاف الحاصل حول إثبات المجاز ،أو نفيه ،لا يقدم رجلا ولا يؤخر أخـرى فالأمر من الوضوح بمكان في رابعة النهار ؛إن المجاز كغيره من ألوان التعبيـر الفنـي الجمالي ، ومن ثم لا يمكن الاستغناء عنه ، فالقرآن- ولا ريب- جاء بأساليب العـرب و أفانينها.

فالكلمة الفيصل في هذه القضية أن المجاز واقع في القرآن .

والتعبير مهما كان نوعه فهو يجمع بين المجاز والحقيقة ورأينا في المسألة بعدما وضحنا يتجلى في أننا مع الذين أثبتوا المجاز في اللغة والقرآن معا.

---

[1] - البرهان ،ج2 ،ص 159

الاستعارة

أولى الدرس البلاغي ـ قديما وحديثا ـ عناية فائقة بالاستعارة لما لها من أثر في النفوس ،أكثر من الحقائق البارزة الواضحة ،وتمثل الاستعارة عصب الصور البيانية في البيان العربي ؛لأن (الاستعارة تفعل في نفس السامع مالا تفعله الحقيقة)[1].

وتعد الاستعارة مقياسا فعالا تقاس به مدى جودة الإبداع ، ومن ثم تفوق المبدع في عمله الإبداعي.

الاستعارة طريقة من طرائق التعبير البياني ،وفن من أفانين القول وأسلوب غاية في الرقة والجمال والجلال ،لأنه يوصل المتلقي إلى الغرض في تـصوير رائـع بـارع ،وإيجار في اللفظ ،وتأثير في النفوس.

للاستعارة تعاريف كثيرة ومختلفة ،وعد الدارسون والباحثون الجاحظ مـن النقـاد الأوائل الذين تحدثوا عن الاستعارة ، وبحثوها .

فألفيناه يعرفها بقوله : "وهي تسمية الشيئ باسم غيره إذا قام مقامه"[2].

وعرفها ابن المعتز بقوله:"استعارة الكلمة لشيئ لم يعرف بها من شئ عرف بها "[3]
أما الرماني :فالاستعارة عنده :"تعليق العبارة على ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة "[4].

[1] - د/ رفيق خليل عطوي ،صناعة الكتابة علم البيان ،علم المعاني ،دار العلم للملايين ،بيروت ،لبنان ،ط1 ،1989،ص43
[2] - الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج1 ، ص 153
[3] - ابن المعتز، البديع ،ص 17
[4] - الرماني ، النكت في اعجاز القرآني ص 79

ومن خلال هذه التعاريف يتضح أن القاسم المشترك بينها تمثل في النقل ،أي نقل اللفظ من استعمال لغوي إلى استعمال آخر . لكن الجرجاني ركز على فكرة أخـرى ،هي فكرة المشابهة حيث يقول :"فالاستعارة أن تريد تشبيه الشيئ بالشيئ فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره وتجئ إلى اسم المشبه به فتغيره المشبه وتجريه عليه "[1].

وعلى أسس هذا التعريف جنحت الفهوم إلى تعريف الاستعارة على انها تشبيه حذف أحد طرفيه "[2].

يقول الزركشي :"هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به دالا بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به"[3].
وقال الجرجاني في موضع آخر :"أما الاستعارة فهي ضرب من التـشبيه ، ونمـط مـن التمثيل ، والتشبيه قياس ، والقياس يجري فيما تعيه القلوب، وتدركه العقول "[4]
وعلى هذا الأساس - أيضا - قسمت الاستعارة إلى تصريحية ، و مكنيـة بنـاء علـى تصور .
الطرف :الأول ، أو الثاني من التشبيه في التركيب اللغوي ،كما تصوره السكاكي سلفا.
ووضح الجرجاني أن الاستعارة ماهي إلا صورة التشبيه ، حيث يقول :
"الاستعارة صورة من صوره "[5] أي من صور التشبيه .
والاستعارة تعد الوسيلة المثلى لتشكيل الصور وابداعها ، حيث يقول جوزيـف ميـشال شريم :"وهي الوسيلة الفضلى لخاق الصورة "[6].

---
[1] - دلائل الاعجاز ، ص 51،52
[2] - إدريس الناقوري ، المصطلح النقدي في نقد الشعر ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان ، طرابلس ليبيا ط2 ،1984م ص333
[3] - مفتاح العلوم ، ص 477
[4] - أسرار البلاغة ، ص 21
[5] -ا لمصدر نفسه ،ص 28
[6] - جوزيف ميشال شريم ،دليل الدراسات الأسلوبية ، المؤسسة الجامعية ،بيروت ، (د ط) ،1984 ،ص73

كما تمتلك الاستعارة من القوة التعبيرية والتخيلية ، ما يجعلها قادرة على تشكيل علاقات تصورية جديدة ، وخلق معان فريدة ، من خلال الربط بين الوشـائج الجديـدة ، وإلى هذا أشار جاكوب كورك قائلا :"فوصف الاستعارة بأنهاقادرة على إعـادة تجميـع الأجزاء وفق إدراك جديد بحيث تؤدي إلى خلق معان جديد من خلال صلات جديدة"[1].

الاستعارة عند الزركشي :

فماهي حقيقة الاستعارة عند الزركشي

- وما هي أصولها ؟.
- وماهي أنواعها ؟.
- وما جماليتها؟.

قبل أن يبين الزركشي حقيقة الاستعارة ،أشارإلى أنها لون من ألوان البلاغـة ، ونبه على أنها كثيرة في كتاب الله عزوجل .وحدد أن الاسـتعارة مـن المجـاز . قـال الزركشي :"والاستعارة مجاز "[2].

والاستعارة ، وهي "استفعال" من العارية ، ثم نقلت إلى نوع من التخييل لقصد المبالغة في التخييل والتشبيه مع الإيجاز ؛نحو :لقيت أسدا ، وتعني به الشجاع [3].

عرف الاستعارة بقوله :"وحقيقتها أن تستعار الكلمة من شيئ معروف بها إلى شيئ لم يعرف بها .وحكمتها إظهار الخفي وإيضاح الظاهر الذي ليس بجلـي ، أو بحـصول المبالغة ،أو للمجموع "[4].

---

[1] - جاكوب كورك ، اللغة في الأدب الحديث ـالحداثة والتجريب ،ترجمة ليون يوسف ،وعزيز عما نوئيل ،دار المأمون للترجمة والنشر ،بغداد ،(د ط) 1989م ،ص 230
[2] - البرهان ،ج3 ،ص 265
[3] - المصدر نفسه ، ص 266
[4] - المصدر نفسه ، ص 266

فمثال إظهار الخفي :قوله تعالى : وإنه فِي أُم الْكِتَابِ [1] فإنه حقيقته أنه في أصل الكتاب ؛ فاستعار لفظة "الأم " ؛لأن الأولاد تنشأ من الأم ، كما تنشأ الفروع من الأصول.

وعقب الزركشي مبينا عن الحكمة من ذلك يقوله :"وحكمة ذلك تمثيل ماليس بمرئ حتى يصير مرئيا ، فينتقل السامع من حد السماع إلى حد العيان ، وذلك أبلغ في البيان ".[2]

ومثال إيضاح ماليس بجلي ليصير جليا :"قوله تعالى : واخْفِضْ لَهما جنَاح الذل [3] لأن المراد أمر الولد بالذل لوالديه رحمة ؛فاستعير للولد أولا جانب ،ثم للجانب جناح ؛وتقديره الاستعارة القريبة :واخفض لهما جانب الذل ؛أي اخفض جانبك ذلا.

وحكمة الاستعارة في هذا جعل ماليس مرئي مرئيا ؛لأجل حسن البيان .
الاستعارة عنده قسم من أقسام المجاز ؛لاستعمال اللفظ في غير ما وضع له

عناصر الاستعارة :

الاستعارة تتألف من أصول ثلاثة ، وهي :

أ- **المستعار** :وهو اللفظ الذي تمت استعارته من صاحبه لغيره

ب- **المستعار له (المشبه)** الذي يستعار له اللفظ الموضوع لغيره.

ت- **المستعار منه: (المشبه به)** الذي يستعار منه اللفظ الموضوع له ويعطي لغيره.

[1] - الزخرف ، الآية :04
[2] - البرهان ،ج3 ص 266
[3] - الإسراء ،الآية :24

ففي قوله تعالى : واشْتَعلَ الرّأس شَيبا [1]

المستعار له الشيب ، والجامع بين المستعار منه والمستعار له مشابهة ضوء النار لبياض الشيب ، وفائدة ذلك وحكمته ؛وصف ماهو أخفى بالنسبة إلى ما هو أظهر. وأصل الكلام أن يقال :اشتعل شيب الرأس ؛ وإنما قلب للمبالغة ، لأنه يستفاد منه عموم الشيب لجميع الرأس ، ولوجاء الكلام على وجهه لم يفد ذلك العموم[2]

والآية الكريمة تضم استعارة مكنية تبعية ؛حيث شبه انتشار الشيب وكثرة باشتعال النار في الحطب ،واستعير للإنتشار واشتق منه اشتعل بمعنى انتشر ، وهو استعارة محسوس لمحسوس.

وأشار الزركشي إلى وجه البلاغة والاعجاز في لفظة "اشتعل " حيث يقول :"ولا يخفى أنه أبلغ من قولك :كثر الشيب في الرأس ؛ وإن كان ذلك حقيقة المعنى ، والحق أن المعنى يعار ،أولا ثم بواسطته يعار اللفظ ؛ولاتحسن الاستعارة ،إلا حيث كان الشبه مقرر أيهما ظاهرا؛وإلا فلا بد من التصريح بالشبه؛فلو قلت : رأيت نخلة أو خامة ، وأنت تريد مؤمنا إشارة إلى قوله: "مثل المؤمن كمثل النخلة " أو " الخامة " لكنت كالملغز[3].

ومن أحسن الاستعارة قوله تعالى : والصبح إِذَا تَنَفس [4] ؛ وحقيقته "بدأ انتشاره " و"تنفس " أبلغ ؛ فإن ظهور الأنوار في المشرق من أشعة الشمس قليلا قليلا ،بينه وبين إخراج النفس مشاركة شديدة.

يقول محمد على الصابوني :"الاستعارة التصريحية حيث شبه إقبال النهار وسطوع الضياء بنسمات الهواء العليل التي تحي القلب ، واستعار لفظ التنفس لإقبال

---

[1] - مريم ،الآية :04
[2] - البرهان ،ج3 ، ص 267
[3] - المصدر نفسه ، ص 267
[4] - التكوير ، الآية :18

النهار بعد الظلام الدامس ، وهذا من لطيف الاستعارة وأبلغها تصويرا ، حيث عبـر عنه بتنفس الصبح "[1].

ووضح بلاغة الاستعارة في قوله تعالى : اللّيلُ نَسلَخُ مِنْه النّهار [2].

لأن انسلاخ الشيئ ،أن يبرأمنه ، ويزول عنه حالا فحالا ، كذلك انفصال الليـل عـن النهار ؛والانسلاخ أبلغ من الانفصال لمافيه من زيادة البيان ثم اسـتدل بلفيـف مـن الأمثلة على الاستعارة ،دون أن يقدم شرحا أو توضيحا ،

ولعل الزركشي أراد أن يشرك المتلقي في العملية ، ويجعل منه متلقيا ايجابيا يتذوق ، ويتدبر ويتأمل ، ويستمتع .

من ذلك مثلا :

- وقوله تعالى : أحاطَ بِهم سرادِقُها [3].
- وقوله تعالى : والْتَفتِ الساقُ بِالساقِ [4].
- وقوله تعالى : بلْ ران علَى قُلُوبِهم [5].
- وقوله تعالى : خَلَقْنَا الإِنسان فِي كَبد [6].
- وقوله تعالى : وامرأَتُه حمالَةَ الْحطَبِ [7].
- وقوله تعالى : بلْ نَقْذِفُ بِالْحق علَى الْباطِل فَيدمغُه فَإِذَا هو زاهِق [8].

أقسام الاستعارة :

قسم الزركشي الاستعارة إلى ثلاثة أقسام :

[1] - ينظر ، محمد علي الصابوني ،صفوة التفاسير ،شركة الشهاب الجزائر ،قصر الكتاب البليدة ،ط5 1411ه ،1990م ،ج3 ،ص526
[2] - يس ، الآية :37
[3] - الكهف ، الاية :29
[4] - القيامة ، الاية :29
[5] - المطففين ،الاية :14
[6] - البلد ، الاية :04
[7] - المسد الاية :04
[8] - الأنبياء ،الآية :18

أ- الاستعارة الترشيحية (المرشحة)

ب- الاستعارة التجريدية (المجردة).

ت- الاستعارة بالكناية (المكنية)

أ- الاستعارة الترشيحية (المرشحة) :

وهي التي ذكرفيها مايلائم المستعار منه (المشبه به).

ووصفها الزركشي بالحسن ،حيث يقول :"وهي أحسنها ، وهي أن تنظـر إلـى جانـب المستعار وتراعيه "[1].

كقوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾[2].

فإن المستعار منه الذي هو الشراء هو المراعى هنا ، وهو الذي رشـح لفظتـي الـربح والتجارة للاستعارة ؛لما بينهما من الملاءمة[3].

وزيادة التوضيح لهذه الاستعارة نقول :شبه ـ الحق تبارك وتعالى ـ الاستبدال بالـشراء وحذف المشبه وصرح بالمشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية .

ثم اشتق من الشراء الفعل اشتري ، واستعير بمعنى استبدل على سبيل الاستعارة التبعية ، والقرينة المانعة من ارادة المعنى الحقيقي تكمن في استحالة مبادلة الهدى بالضلالة ، وفي قوله سبحانه :"فما ربحت تجارتهم " ما يناسب المستعار وهو الاشـتراء ، وعلـى هـذا الاساس تكون الاستعارة مرشحة .

ب- الاستعارة التجريدية (المجردة) :

وهي التي يذكر فيها ما يلائم المستعار له (المشبه) .

---

[1] - البرهان ، ج3 ، ص 269
[2] - البقرة ،الاية 16
[3] - البرهان ، ج3 ،ص 269

ويقول الزركشي :"وهي أن تنظر إلى جانب المستعار له ،ثم تأتي بما يناسبه ويلائمه"[1].
وكقوله تعالى : فَأَذَاقَهَا اللّه ِلباس الْجوعِ والْخَوفِ [2].

فالمستعار اللباس ،والمستعار له الجوع ،فمجرد الاستعارة ،يـذكر لفـظ الآدلـة المناسبة للمستعار له / وهو الجوع ،لاالمستعار وهو اللباس ،ولو اراد ترشيحها لقـال : وكساها لباس الجوع .
وفي هذه الآية مراعاة المستعار له ؛ الذي هو المعنى ،وهو الجوع والخوف ، لأن ألمهـا يذاق ولا يلبس [3].

ج -الاستعارة بالكناية (المكنية) :

وأما الاستعارة بالكناية (المكنية) ، فهي ألا يصرح بذكر المستعار بـل تـذكر بعـض لوازمه تنبيها عليه كقولك : عالم يغترف منه الناس ؛تنبيها على أن العالم بحر في العلوم .

ومن أقسامها :
أن يسكت عن ذكر المستعار ثم يومئ إليه بذكر شيئ من توابعه وروافده تنبيها عليه ومنه قوله تعالى : ِإنا لَما طَغَى الْماء حملْنَاكُم ِفي الْجارِية [4]،لأن حقيقة "طغى " علا ، والاستعارة أبلغ ،لأن "طغى " علا قاهرا.
والطغيان صفة من صفات الإنسان ،فشبه ارتفاع الماء وعلوه وكثرته بطغيـان الانـسان على اخيه الانسان بطريقة الاستعارة .

---
[1] - المصدر السابق ،ص 269
[2] - النحل ،الاية :112
[3] - البرهان ،ج3 ،ص 269
[4] - الحاقة ،الاية :11

وقوله تعالى : ولاَ تَجعلْ يدك مغْلُولَةً إِلَى عنُقِك [1] ؛ وحقيقته :لاتمنع ما تملك كل المنع وللاستعارة أبلغ ،لأنه جعل منع النائل بمنزلة غل اليدين إلى العنق وحال الغلول أظهر [2].

وأشارفيه الزركشي إلى الإشـكال الواقـع فـي قولـه تعـالى : كَأَنـه رؤُوس الشياطِين [3].

مشير إلى قول الفراء الذي يرى فيه ثلاثة أوجه :

1- أنه جعل طلعها رؤوس الشياطين في القبح .

2- أن العرب تسمى بعض الحيات شيطانا ؛وهو ذوالقرن .

3- أنه شوك قبيح المنظر ،يسمى رؤوس الشياطين .

فعلى الأول يكون تخييلا ، وعلى الثاني يكون تشبيها مختصا [4].

<u>تقسيم الاستعارة باعتبارها فرع من التشبيه ، فأنواعها كأنواعه خمسة هي</u> :

1- <u>استعارة حسي لحسي بوجه حسي</u> ، كقوله تعالى : وتَركْنَا بعضهم يومئِذٍ يموج فِي بعضٍ [5]، أصل الموج حركة المياه ؛فاستعمل فـي حـركتهم علـى سـبيل الاستعارة .

وزيادة في الإيضاح ؛ أن الله عز وجل شبههم لكثرتهم وتداخل بعضهم في بعض يمـوج البحر المتلاطم ، واستعار لفظ يموج لذلك ففيه استعارة تبعية .

2- <u>حسي لحسي بوجه عقلي :</u>

كقوله تعالى : أَرسلْنَا علَيهِم الريح الْعقِيم [6]

[1] - الإسراء ،الآية :29
[2] - البرهان ،ج3 ، ص 270
[3] - الصافات ، الآية :65
[4] - البرهان ، ج3 ، ص 270
[5] - الكهف ،الآية :99
[6] - الذاريات ،الآية :41

فالمستعار له :الريح ، والمستعار منه : المرأة ،وهما حسيان ، والوجه :المنع من ظهور النتيجة ،والأثر وهو عقلي ، وهو أيضا استعارة بالكناية.

والواضح في قوله تعالى :"الريح العقيم " أن الله شبه إهلاكهم وقطع دابرهم بعقم النساء وعدم حملهن ، ثم أطلق المشبه به على المشبه واشتق منه العقم بطريق الاستعارة.

3- معقول لمعقول :

كقوله تعالى : من بعثَنَا مِن مرقَدِنَا [1]

فالرقاد مستعارللموت ؛وهما أمران معقولان ،والوجه عدم ظهور الأفعال ؛وهو عقلي ،والاستعارة تصريحية لكون المشبه به مذكورا.

وقوله تعالى : ولَما سكَتَ عن موسى الْغَضب [2]

المستعار : السكوت ، والمستعار له :الغضب ، والمستعار منه : الساكت ،وهذه ألطف الاستعارات ،لأنها استعارة معقول لمعقول ، لمشاركته في أمر معقول .

4- محسوس لمعقول :

كقوله تعالى : مستْهم الْبأْساء والضراء [3].

أصل التماس في الأجسام ، فاستعير مقاساة الشدة ، وكون المستعار منه حسيا ، والمستعار له عقليا ، وكونها تصريحية ظاهر والوجه اللحوق ، وهو عقلي .

وقوله تعالى : لِتُخْرِج الناس مِن الظلُماتِ إِلَى النور [4]، وفيه لطيفة من اللطائف ، وهي كل مافي القرآن من الظلمات والنور مستعار.

5- استعارة معقول لمحسوس :

---

[1] - يس ، الآية :52
[2] - الأعراف ، الآية :154
[3] - البقرة ،الآية :214
[4] -إبراهيم ،الآية :01

كقوله تعالى : إنا لما طَغَى الْماء [1].

المستعار منه : التكبر ، والمستعار له : الماء ، والجامع الاستعلاء المفرط وقوله تعالى : تَكَاد تَميز مِن الْغَيظِ [2]، فلفظ " الغيظ" مستعار .

والصورة ـ هاهنا ـ في منتهى الجمال والروعة ، حيث شبه جهنم في شدة غليانها ولهيبها بإنسان شديد الغيظ على عدوه يكاد يتقطع من شدة الغيظ ، وحذف المشبه به ، ورمز إليه بشيئ من لوازمه ، وهو الغضب الشديد . وأي جمال وروعة بعد هذا .

جماليات الاستعارة القرآنية :

تبين من خلال دراستنا للاستعارات القرآنية لدى الزركشي ،أن الاستعارة في القرآن العظيم تختلف اختلافا بينا عن الاستعارات الواردة في ابعات البلغاء فهي أكثر بلاغة ، واشد جمالا ، ووقعا في النفوس ، ولذلك يقول الباقلاني :"الاستعارة في القرآن أبلغ منها في كلام العرب وأجمع "[3].

والسر في أن الاستعارة القرآنية أكثر بلاغة وجمالا وروعة يرجع إلى ما تمتاز به **من خصائص تكمن في** :

1- الإيضاح .
2- الإيجاز.
3- انتقاء الألفاظ.
4- حسن التركيب.
5- مراعات حسن التشبيه الذي بنيت عليه الاستعارة .
6- حسن التصوير ، وروعة التشخيص .

[1] - الحاقة ،الآية :11
[2] - الملك ،الآية :08
[3] - الباقلاني ،نكت الانتصار في نظم القرآن منشأة المعارف ،الاسكندرية ،(د ط) (د ت) ،ج1 ص 200

وما أوردنا من نماذج في ثنايا هذا البحث يتوقف على هذه الخصائص جميعها .

والاستعارة في القرآن دلت على قدرة الالفاظ القرآنية على الإيحاء ، والتـصوير ،والتجسيد ، لما هو معنوي بما هو محسوس ملموس ، فتجعل الصورة ماثلـة للعيـون ، والأصوات منقولة للآذان ، وفي هذا السياق يقول أحمد بدوي ـ رحمه الله ـ :"فألفـاظ القرآن موحية صادقة في جعل السامع ، أو القارئ يحس بالمعنى أكمل إحساس وأوفـاه ، كما أنها تصور المنظر للعين ، وتنقل الصوت للأذن ، وتجعل الأمر المعنـوي ملموسـا محسا "[1].

محصلة القول في باب الاستعارة :

أن الزركشي ركز على ثلاثة أنواع منها وهي : الاستعارة المرشحة ، والمجردة والمكنية .

كما أنه اعتمد الشواهد القرآنية في الاستدلال والتمثيل ، وكان يشرح ويوضـح تارة ، ويتركها غفلا تارة أخرى ، لعل علة ذلك ، يريد إشـراك المتلقـي فـي التـذوق والاستمتاع ، ليكون متلقيا إيجابيا .

وقسمها تقسيما ثانيا باعتبارها فرعا من التشبيه ،فقسمها إلى خمسة أقسام كما هـو الحال في التشبيه.

[1] - د.أحمد بدوي طبانة ، من بلاغة القرآن ،القاهرة ، (د ط) 1947 ، ص 218

توطئة :

الكناية من الصور البيانية الرائعة البديعة التي حفل بها كلام العرب ، لأنها تنطوي على الجدة والطرافة ، واللطافة الأدبية .

والكناية من ألوان التعبير الفريدة من نوعها ، ولا يصل إلى سبرأغوارها والغوص إلى أعماقها ، إلا من تملك حسا مرهفا، وطبعا لطيفا، وذهنا متوقدا، وقريحة صافية .

والكناية في التعابير الأدبية برزت معالمها واضحة دقيقة في التصوير السبب الـ ذي منحها قوة التعبير والإقناع ، يرجع إلى أن الكناية تقدم الفكرة مصحوبة بالدليل والبرهان ؛ ومعلوم بالضرورة أن الشئي إذا ذكر مصحوبا بالدليل والحجة كان أوقع في النفـ وس وأوكد.

واستخدمت العرب الكناية توسعا في الألفاظ واستكثار اللمعاني ،لأنها تؤدي إلـ ى التنوع في الأساليب ، وتعمل على تزيين وتحميل صنوف التعبير الضرورية والكناية كما لا يخفى علينا فضلها في تجسيد المعقول بما هو محسوس .

فإذا تأملنا قول المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وقد كنى عن النساء بالقوارير :

" رفقا بالقوارير".فانظر إلى رقة التعبير ودقة التصوير.

وأجمع العلماء على أن المجاز والكناية أبلغ من التصريح والحقيقـ ة ، لأم الانتقـ ال فـ ي المجاز يكون من الملزوم إلى اللازم، فهو كدعوى الشئ ببينة ، وفي الكناية يكـ ون مـ ن اللازم إلى الملزوم .

يقول عبد القاهر الجرجاني :" قد اجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الافـ صاح "[1] إذا ، فما هي الكناية عند الزركشي ؟ وماهي أسبابها ؟ وما الجديد عنده فيها ؟

[1] - الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 50

الكناية والتعريض في القرآن

أولا : الكناية

أوضح الزركشي أن العرب تعد الكناية من البراعة والبلاغة ، وهي عندهم أبلغ من التصريح وإلى هذا أشار الشيخ عبد القاهر الجرجاني حيث يقول : " قد أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الافصاح "[1].

وعرف الزركشي الكناية بقوله :"الكناية عن الشيئ الدلالة عليه من غير تصريح باسمه "[2]في حين عرفها ابن الأثير بقوله :"إن الكناية في أصل الوضع أن يتكلم بشئ وتريد غيره"[3] .

وقد توافق ابن الأثير مع الزمخشري في حد الكناية، حيث يقول الزمخشري :"الكناية أن تذكر الشئ بغير لفظه الموضوع له"[4].

وأبان الزركشي عن دلالة الكناية عند أهل البيان ، فقال :"وهي عند اهل البيان أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني ، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجئ على معنى هو تاليه و رديفة في الوجود فيؤمن به إليه ويجعله دليلا عليه فيدل على المراد من طريق أولى مثال قولهم :"طويل النجاد كثير الرماد "[5].

وعددالزركشي أسباب الكناية ، والمقصود بالأسباب الأغراض البلاغية المستقادة من الكناية ، فذكر عشرة أسباب لها ، تسعة كان للزركشي فيها مبدأ التاسيس والتأصيل ، والعاشر استنبطه الزمخشري .

---

[1] - دلائل الاعجاز ، ص 53
[2] - البرهان ، ج2 ص 186
[3] - ابن الأثير ، المثل السائر ،ص 248
[4] - مصطفى الصاوي الجويني ، منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان اعجازه ،دار المعارف ، مصر (د ط)، 1959، ص 249
[5] - البرهان ، ج2 ، ص 186

كما أشار إلى ذلك الزركشي حيث يقول :"وهذه الكناية استنبطها الزمخشري " وخرج عليها قوله تعالى :" الرحمن على العرش استوى" ؛ فإنه كناية عن الملـك لأن الاسـتواء على السريرلايحصل إلا مع الملك ،فجعلوه كناية عنه"[1].

أسباب الكناية عند الزركشي :

1- التنبيه على عظم القدرة ، كقوله تعالى : ُو الذِي خَلَقَكُم من نفْسٍ واحِدةٍ [2] كناية عن آدم .

2- فطنة المخاطب : كقوله تعالى في قصة داود : َصمان بغَى بعضنَا علَى بعـضٍ [3] فكنى داود بخصم على لسان ملكين تعريضيا.

3- ترك اللفظ إلى ماهو أجمل منه : كقوله تعالى : ِإن هذَا أَخِي لَه تِـسع وتِـسعون نَعجةً ولِي نَعجةٌ واحِدةٌ [4]فكنى بالمرأة عن النعجة كعادة العرب ، أنها تكنى بهـا عن المرأة .

4- أن يفحش ذكره في السمع ، فكنى عنه بما لا ينبو عنه الطبع : كقوله تعالى فـي جواب قوم هود : ِإنا لَنَراك فِي سفَاهةٍ [5]، قَالَ يا قَومِ لَيس بِـي سفَاهةٌ ولَكِنـي رسولٌ من رب الْعالَمِين [6] فكنى عن تكذيبهم بأحسن .

ومنه قوله تعالى : ولَـكِن لا تُواعِدوهن سِراً [7] فكنى عن الجماع بالسر .

ومن عادة القرآن العظيم الكناية عن الجماع باللمس ، والملامسة ،والرفث ، والـدخول ، والنكاح ، ونحو من ذلك ، قال تعالى : فَالآن باشِروهن [8]، فكنى بالمباشرة عن الجماع لما فيه من التقاء البشرين .

[1] - البرهان ، ج2 ، ص 192
[2] - الأعراف ، الآية :189
[3] - ص الآية :22
[4] - ص ، الآية : 23
[5] - الأعراف ، الآية :66
[6] - الأعراف ، الآية :67
[7] - البقرة ، الآية : 235
[8] - البقرة ، الآية : 187

وقوله تعالى : أو لامستم النساء [1] إذ لايخلو الجماع عن الملامسة ...الخ

وأشار إلى قوله تعالى : وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا [2] أي لفروجهم ، فكنى عنها بالجلود ، على ماذكره المفسرون.

فإن قيل : فقد قال الله تعالى : والتي أحصنت فرجها [3] فصرح بالفرج؟

وجه الزركشي نقدا لمن اعتقد أن الله عز وجل في هذه الآية صرح بلفظة الفرج الحقيقي ،ولذلك يقول الزركشي:"أخطأ من توهم هنا الفرج الحقيقي ،وإنما هو من لطيف الكنايات وأحسنها ،وهي كناية عن فرج القميص ، أي لم يعلق ثوبها ريبة ، فهي طاهرة الأثواب ، وفروج القميص أربعة : الكمان والأعلى والأسفل ، وليس المراد غير هذا ..."[4].

5- تحسين اللفظ :

كقوله تعالى : كأنهن بيض مكنون [5] ، فإن العرب كانت عادتهم الكناية عن حرائر النساء بالبيض.

وقوله تعالى : وثيابك فطهر [6]

قال عنترة :

فشككت بالرمح الطويل ثيابه * ليس الكريم على القنا بمحرم[7]

---

1 - النساء ، الآية : 43
2 - فصلت ، الآية :21
3 - الأنبياء ، الآية :91
4 - البرهان ، ج2 ، ص 189
5 - الصافات ، الآية :49
6 - المدثر ، الآية :04
7 - عنترة ، الديوان ، تقديم وشرح وتعليق ، د ، محمد حمود ، دار الفكر اللبناني ، ط1 ، 1996 م ، ص 148

6- قصد البلاغة :

كقوله تعالى :"أو من ينشؤ في الحلية وهو في الخصام غير مبين"[1]، فإنه سبحانه كنى عن النساء بأنهن ينشأن في الترفه والتزين والشاغل عن النظر في الأمور ، ودقيق المعاني ، ولو أتى بلفظ النساء لم يشعر بذلك ؛والمراد نفي ذلك ـ أعنى الأنوثة ـ عن الملائكـة ، وكونهم بنات الله ؛ تعالى الله عن ذلك.

7- قصد المبالغة في التشنيع :

نحو قوله تعالى حكاية عن اليهود لعنهم الله : وقَالَتِ الْيهود يد اللّهِ مغْلُولَةٌ [2]، فإن الغل كناية عن البخل ، كقوله تعالى : ولا تَجعلْ يدك مغْلُولَةً إِلَى عنُقِـك [3]؛ لأن جماعـة كانوا متمولين ، فكذبوا النبي صلى الله عليه وسلم ، فكف الله عنهم ما أعطـاهم ، وهـو بسبب نزولها.

أما قوله تعالى : غُلَّتْ أَيدِيهِم [4]فيحمل على المجاز على وجه للفظ ؛ ولهذا قيل : إنهـم أبخل خلق الله .

وقوله تعالى : بلْ يداه مبسوطَتَان [5] كناية عن كرمه ، وثنى اليد ـ وإن أفـردت فـي أول الآية ـ ليكون أبلغ في السخاء والجود.

8- التنبيه على مصيره : كقوله تعالى : تَبّتْ يدا أَبِي لَهبٍ [6] أي جهنمـي مـصيره إلى اللهب .

وأتبعه بقوله تعالى : حمالَةَ الْحطَب [7]أي نمامة ، ومصيرها إلى أن تكون حطبا لجهنم .

[1] - الزخرف ، الآية :18
[2] - المائدة ، الآية :64
[3] - افسراء ، الآية :29
[4] - المائدة ، الآية :64
[5] - المائدة ، الآية :64
[6] - المسد ، الآية 01
[7] - المسد ، الآية 04

9- قصد الاختصار : كالكناية عن ألفاظ متعددة بلفظ "فعل " كقوله تعالى : لَبِئْسَ ما كَانُواْ يفْعلُون [1]

وقوله تعالى : فَإِن لم تَفْعلُواْ ولَن تَفْعلُواْ [2]أي فإن لم تأتوا بسورة من مثله ولن تأتوا .

10- أن يعمد إلى جملة ورد معناها على خلاف الظاهر ، فيأخذ الخلاصة منها من غير اعتبار مفرداتها بالحقيقة أو المجاز ، فتعبر بها عن مقصودك ، وهذه الكناية استنبطها الزمخشري ،وخرج عليها قوله تعالى : الرحمن علَى الْعرشِ استَوى [3]،فإنه كناية عن الملك ؛ لأن الاستواء على السرير لايحصل إلا مع الملك ، فجعلوه كناية عنه.

وكقوله تعالى : والْأَرض جمِيعا قَبضتُه يوم الْقِيامةِ [4] إنه كناية عن عظمته وجلالته من غير ذهاب بالقبض واليمين إلى جهتين : حقيقة ومجاز.

وأشار الزركشي إلى أن الإمام فخر الدين الرازي اعترض على ذلك ،ورأى بأنها تفتح باب تأويلات الباطنية ، فلهم أن يقولوا :المراد من قوله : فَاخْلَع نَعلَيك [5]الاستغراق في الخدمة من غير الذهاب إلى نعل وخلعه ، وكذا نظائره وهذا مردود ، لأن الكناية إنما يصار إليها عند عدم إجراء اللفظ على ظاهره كما سبق من الأمثلة ، بخلاف خلع النعلين ونحوه[6].

[1] - المائدة ، الآية 79
[2] - البقرة ،الآية : 24
[3] - طه ، الآية :05
[4] - الزمر ،الآية :67
[5] - طه ، الآية :12
[6] - البرهان ، ج2 ، ص 192

التعريض : التعريض لغة : ضد التصريح

وعرفه العلوي بقوله :"التعريض هو المعنى الحاصل عند اللفظ لابه "[1].

والتعريض ، أو التلويح كما أشار الزركشي :" هو الدلالة على المعنى من طريق المفهوم ، وسمي تعريضا لأن المعنى يفهم من عرض اللفظ ،أي من جانبيه . ويسمى التلويح لأن المتكلم يلوح منه للسامع ما يريده"[2].

نحو قوله تعالى : بلْ فَعلَه كَبِيرهم هذَافَاسأَلُوهم إِن كَانُوا ينطِقُون [3] لأن غرضه بقوله : فَاسأَلُوهم ، على سبيل الاستهزاء واقامة الحجة عليهم بما عرض لهم به . من عجز كبير الأصنام عن الفعل ، مستدلا على ذلك بعدم إجابتهم إذا سئلوا ، ولم يرد بقوله : بلْ فَعلَه كَبِيرهم هذَا [4] نسبة الفعل الصادر عنه إلى الصنم ، فدلالة هذا الكلام عجز كبير الأصنام عن الفعل بطريق الحقيقة .

ومن اقسامه أن يخاطب الشخص والمراد غيره ،سواء كان الخطاب مع نفسه أو مع غيره ، نحو قوله تعالى : لَئِن أَشْركْتَ لَيحبطَن عملُك [5].

ونبه الزركشي إلى أن هذه الآية الكريمة تتضمن أمورا ثلاثة وهي :

1- مخاطبة النبي (ص)والمراد غيره .

2- إخراج المحال عليه في صورة المشكوك والمراد غيره .

3- استعمال المستقبل بصيغة الماضي .

وقد يكون هناك أمر رابع ،وهو "أن " الشرطية قد لايراد بها إلا مجرد الملازمة التي هي لازمة الشرط والجزاء ، مع العلم باستحالة الشرط ،أو وجوبه ،أو وقوعه وعلى هذا

---

[1] - العلوي ، الطراز ، ج1 ، ص 194
[2] - البرهان ، ج2 ، ص 193
[3] - الأنبياء ، الآية :63
[4] - الأنبياء ، الآية 63
[5] - الزمر ، الآية 65

يحمل قول من لم ير من المفسرين حمل الخطاب على غيره ؛ إذ لايلزم من فرض أمر ـ لابد منه ـ صحة وقوعه ؛ بل يكون في الممكن والواجب ، والمحال "[1].

ومنه قوله تعالى : ﴿ إن يردن الرّحمن بضرّ لا تغن عنّي شفاعتهم شيئا ولا ينقذون إنّي إذا لفي ضلال مبين ﴾[2]ولذلك قيل : ﴿ آمنت بربّكم فاسمعون ﴾[3] دون "ربي " و "اتبعـه" ، "فاسمعوه".

ويعقب الزركشي بقوله :"ووجه حسنه ظاهر ؛ لأنه يتضمن إعلام السامع علـى صـورة لاتقتضي مواجهته بالخطاب المنكر ، كأنك لم تعنه ، وهو أعلى في محاسـن الأخـلاق وأقرب للقبول ، وأدعى للتواضع ، والكلام ممن هو رب العالمين نزله بلغتهم ، وتعليمـا للذين يعقلون"[4].

ومنه قوله تعالى : ﴿ وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ﴾[5]، والمراد :إنا علـى هدى وأنتم في ضلال ؛ وإنما لم يصرح به لئلا تصير هنا نكتة ، هو أنه خولف في هـذا الخطاب بين "على "و " في " بدخول "على " على الحق ، و "فـي " علـى الباطـل لأن صاحب الحق ، كأنه على فرس جواد يركض به ، حيث أراد ، وصاحب الباطـل كأنـه منغمس في ظلام لايدري أين يتوجه [6].

وقال السكاكي :" ويسمى هذا النوع الخطاب المنصف ؛ أي لأنـه يوجـب أن ينـصف المخاطب إذا رجع إلى نفسه استدراجا لاستدراجه الخصم إلى الإدعان والتـسليم ، وهـو شبيه بالجدل ،لأنه تصرف في المغالطات الخطابية "[7].

---

[1] - البرهان ، ج1 ، ص 194
[2] - يس ، الآية 22
[3] - يس ، الآية 22
[4] - البرهان ، ج2 ، ص 194
[5] - سبأ ،الآية : 24
[6] - البرهان ، ج2 ، ص 195
[7] - المصدر نفسه ، ص ن

وقوله تعالى : ﴿إنما يتذكر أولوا الألباب﴾[1]، القصد التعريض ، وأنهم لغلبة هواهم في حكم من ليس له عقل.

التوجيه:

وعرفه الزركشي بقوله :" وهو ما احتمل معنين ويؤتى به عند فطنة المخاطب "[2]

نحو قوله تعالى حكاية عن أخت موسي عليه السلام : ﴿هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون﴾ [3]

فإن الضمير في "له " يحتمل أن يكون لموسى ،وأن يكون لفرعون - بهذه الصيغة تخلصت أخت موسى من قولهم :"إنك عرفته " ، ولم يكشف أمرها ، وعلى هذا علق ابن جريج قائلا :"وبهذا تخلصت أخت موسى من قولهم :"إنك عرفته " فقالت :أردت "ناصحون للملك "[4]

وجعل السكاكي التوجيه من مشكلات القرآن .

ونظيره جواب ابن الجوزي لمن قال له : من كان أفضل عند النبي (ص) ؟ أبو بكر أم ، علي ؟ فقال : من كانت ابنته تحته .

والتوجيه من الأساليب البليغة التي يتجلى فيها العدول في المعاني الحقيقية إلى المعاني المجازية ، بلمحات ذكية ، وإشارات خفية ، لما فيه من جمال ودهاء.

الفرق بين الكناية والتعريض :

حاول علماء البلاغة التفريق بين الكناية والتعريض ؛ لأنهم رأووا تشابها كبيرا بينهما فمن الفروق ما يلي :

[1] - الرعد ، الآية :19
[2] - البرهان ، ج2 ، ص 195
[3] - القصص ، الآية :12
[4] - البرهان ،ج2 ، ص195

1- الكناية لها علاقة متينة بالمجاز، أما التعريض فلا علاقة له بالمجاز ؛ لأنه لالفظ له مستعمل فيه ، بل يفهم عند ذكر اللفظ المستقبل في غيره ، لاباللفظ نفسه .

2- الكناية يختص بها اللفظ المستعمل فيها ، أما التعريض ، فلأنه لالفظ له ، فيتولـد من كل أسلوب صالح له ، فيكون مع الحقيقة ، ومع المجاز ، ومع الكناية نفسها .

3- الكناية تكون باللفظ المفرد ، وتكون بالتراكيب ، أما التعريض فلايكون إلا مـن التراكيب اللغوية التامة.

4- الكناية تستعمل في جميع المعاني ذما ومدحا ؛ فهي غير مقـصورة علـى نـوع خاص من المعاني ،أما التعريض فيستعمل في معاني الذم والقدح ، وفي معـاني المدح ، لكن له مزيد اختصاص بمعاني الذم كما تنبئ الصور الواردة منـه فـي الكتاب والسنة ، وفي التراث العربي شعره ونثره .

بلاغة الكناية :

امتازت الكناية عن غيرها من الصور البيانية الأخرى بسمة بارزة للعيان والمتمثلة فـي أن الكناية تقرن الدعوى (السبب) ـ دائما ـ بالدليل والبرهان . كما أنها تسعف المتكلم عن الافصاح والادلاء بمعاني مستهجنة ، او ذات خصوصية حساسة ، ومثال ذلك كثيـر في القرآن الكريم ، خاصة الحديث عن المعاشرة الزوجية . نحو : (النكاح ، الرفـث ، الوطر ، التغشية ، المس ، اللمس ، القرب ، الاتيان ، والمباشرة ...) إلخ

وتأسيسا على ما سبق يمكن القول : أن الكناية وسيلة من وسائل الذوق والترف ، ولا يقوم فن بياني آخر بما تقوم هي به.

الجديد عند الزركشي في مبحث الكناية :

المتأمل في بحث الكناية لدى الزركشي تستوقفه بعض الجوانب التأسيسة والتجديدية .
نذكر منها :

1- أسس الزركشي لتسعة أسباب في مبحث الكناية ، وأشار إلى أن السبب العاشر استنبطه الزمخشري .

2- الرد على دعوىمن قال :ان العرب لا تكنى إلا عما يقبح ويشنع ذكره ، يقول الزركشي :"وأما دعوى كون العرب لا تكنى إلا عما يقبح ذكره ، فغلط ، فكنوا عن القلب بالثوب "[1]
كما في قوله تعالى : وثيابك فطهر [2].

3- الرد على ما ذهب إليه الزمخشري فيما يتعلق بقوله تعالى : ولا ينظر إليهم [3] على أنه مجاز عن الاستهانة بهم ، والسخط عليهم ، رد الزركشي بقوله :وهذا إنباء على مذهبه الفاسد في نفي الرؤية ؛ وفيه تصريح بأن الكناية مجاز ،وبه صرح في قوله تعالى : ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء [4].

[1] - البرهان ، ج2 - ص 193
[2] - المدثر ، الآية :04
[3] - آل عمران ،الآية :77
[4] - البقرة ، الآية :235

4- الكناية لابد لها من قرينة ، وأشار الزركشي إلى أن عبد القاهر الجرجاني يـرى أن الكناية لابد لها من قرينة .

وعليه لم يتكئ الزركشي في مبحث الكناية على التعريفات والحدود والتبويب والتقسيم وإنما ركز على الجانب التطبيقي ممثلا في إبراز الغاية التي من أجلها يعبر بالكناية . ومن ثم يبدوأن الزركشي يؤمن إيمانا قاطعا وجازما أن الجانب التطبيقي أجـدى فـي التدريس ، وهو الأهم ، وعليه المعول .

ومن هنا تمكن الزركشي من ملامسة الجوانب الجمالية الفنية فيها وأوضـح مكـامن الاعجاز في آي الذكر الحكيم من خلال تعرضه لمباحث البيان عامة.
وصدق الجاحظ حيت يقول :" رب كناية تربي على إفصاح "[1].

جماع القول :

ومن هنا يمكن القول : أن التصوير البياني في الأساليب القرآنيـة يلامـس المعاني ،والحروف ، والكلمات ، بل يتعداه إلى ملامسة شغاف القلوب والتـأثير فـي النفوس ، ولذلك كانت الصور البيانية بالوفرة والكثرة والتنوع مع تأديتها للأغـراض التي توخاها القرآن الكريم ، وأسفرت عن جمال وروعة ما بعدهما جمال وروعـة ، ممازادها سحرا على سحر ، وجمالا على جمال وفوق هـذا وذاك ، فهـي مظهـر الاعجاز البلاغي والبياني في القرآن الكريم .

[1] - الجاحظ ، البيان والتبيين ،تح حسن السندوبي ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ،(د ط) ،1932 ، ص 88

الفصل الرابع

مباحث علم البديع عند الزركشي

المبحث الأول : المحسنات المعنوية

- التورية.
- التفريق بين التورية والاستخدام.
- التجريد.
- الطباق.
- المقابلة.
- إلجام الخصم بالحجة.
- التقسيم.
- التعديد.
- المبالغة.
- الاعتراض.
- الاحتراس.
- التذييل.
- التتميم.
- المدرج.
- الاستطراد.
- الإلغاز.
- الالتفات.

المبحث الثاني : المحسنات اللفظية

- التجنيس (الجناس)
- رد العجز على الصدر
- خلاصة

مباحث علم البديع عند الزركشي :

توطئه:

مصطلح البديع في اللغة يدل على الابتكار والتجديد والاختراع ، وعليه جـاء قـول الحق تبارك وتعالى : ﴿بَدِيعُ السماواتِ والأرضِ﴾[1] يعني مبدعها على غير مثال سـابق ، ومنه الإبداع في الفنون والآداب ، وكل فن أوأدب مبدع معناه أن صاحبه أتى بـه علـى وجه خال من المحاكاة والتقيل والتقليد ، فهو مبدع ، وعمله مبدع .

والبديع في عرف البلاغيين ، فقد استقر منذ وضع السكاكي كتابه المفتـاح بأنـه: "علـم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة "[2].

وعلى هذا ، فالمناسبة بين المعنى اللغوي لكلمة البديع ، والمعنـى الإصـطلاحي بينـة واضحة ، لأن الشئ المبدع المبتكر لا يخلو من الروعة والجمال ، والانبهار ، والطرافة والحسن والبهاء.

هذا ، وقد جعل السكاكي منزلة البديع بعد منزلتي علمي المعاني والبيان، وسـار علـى نهجه المتأخرون من علماء البلاغة ، وجعله- كذلك - خارجا من دائرة البلاغة الأصلية لأن وظيفته هي التحسين ، وهو أمرزائد عن أصل الدلالة . وعلى الرغم من ذلك فالبديع له مكانته بين علمي المعاني والبيان ، ولايمكن إغفاله ، لأن له من الجمال والفن مالـه ، وهو متم لأصول البلاغة العربية .

وقد قسمه علماء البلاغة إلى قسمين وهما :

أ- **المحسنات المعنوية :** وهي ما كان التحسين فيها راجعا إلى المعنـى . كالطبـاق مثلا.

ب- **المحسنات اللفظية** : وهي ما كان التحسين فيها راجعا إلى اللفظ ، كالجنـاس مثلا.

وعلى هذه القسمة استقر علم البديع عندهم .

---

[1] - البقرة ، الآية : 117

[2] - القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 383 ، وينظر، ابن عبد الله شعيب أحمد ، بحوث منهجية في علوم البلاغة العربية ، ابن خلدون للنشر والتوزيع ، الجزائر /(د ط) ، ص 360

المحسنات المعنوية :

التورية

التورية لغة : الإخفاء والستر.

قال الحق تبارك وتعالى : قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ [1]

وقال عز من قائل حكاية عن ابن آدم: قَالَ يَاوَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي [2]

وعرف جمهور البلاغيين التورية :" بأنها لفظ له معنيان ، أحدهما قريب ظاهر وهو غير مراد ، وثانيها بعيد خفي وهو المراد"[3].

فالتورية إذا تكون بلفظ واحد يحمل معنيين ، معنى قريب غير مقصود، ومعنى بعيد مقصود ، وتكثر التورية في ظل الدول المستبدة التي يكثر فيها الجور والحيف .

وتتألف التورية من ثلاثة عناصر:

1- اللفظ الحامل للمعنيين.

2- المعنى القريب، ويسمى المورى به ، يعني الذي حصل به الخفاء.

3- المعنى البعيد ، ويسمى المورى عنه ، يعني الذي وقع عليه الخفاء.

أقسامها : قسمها بعض الباحثين إلى قسمين :

أ- التورية المجردة.

ب- **التورية المرشحة.**

---

[1] - الأعراف ، الآية :26

[2] - المائدة ، الآية :31

[3] - د.عائشة حسين فريد، وشي الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربية ،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، عبده غريب ، القاهرة ،(د ط) (د ت) ، ص 72

وقسمها لفيف آخر إلى أربعة أقسام :

أ- **التورية المجردة** : وهي التي لم يذكر فيها لازم من لوازم المورى به ، ولامن لوازم المورى عنه.

ب- **التورية المرشحة** : وهي التي ذكر فيها لازم من لوازم المورى به.

ت- **التورية المبينة** : وهي ماذكر فيها لازم من لوازم المورى عنه.

ث- **التورية المهيأة** : وهي تكون بلفظين ، لولا كل منهما لما تهيأت التورية في الآخر ،ولافطن لوجودها أحد.

التورية عند الزركشي:

وذكر الزركشي أنها تسمى الإبهام والتخييل والمغالطة والتوجيه .ويعرفها بقوله:" وهي أن يتكلم المتكلم بلفظ مشترك بين معنيين : قريب وبعيد ،ويريد المعنى البعيد، يوهم السامع أنه أراد القريب"[1].

ثم يستدل عليها بشواهد من القرآن الكريم ، وأشار الإمام الزركشي إلى قسم واحد من أقسام التورية ، وهو التورية المرشحة وذلك حين عقب على الآية الكريمة من قوله تعالى : اذْكُرْنِي عِنْدَ ربك فَأنساه الشيطَان ذِكْر ربه ْ [2].

فقال الزركشي :"فإن لفظة "ربك" رشحت لفظة "ربه"، لأن يكون تورية، إذ يحتمل أنه أراد بها الإله سبحانه والملك، فلو اقتصر على قوله : "فأنساه الشيطان ذكر ربه" ولم تدل لفظة ربه " إلا على الإله، فلما تقدمت لفظة "ربك " احتمل المعنين.

كما ذكر الفروق بين التورية والاستخدام حيث يرى أن:

- التورية استعمال المعنيين في اللفظ وإهمال الآخر.
- أما في الاستخدام يستعملان معا بقرينتين.

1 - البرهان ، ج3 ، ص 273
2 - يوسف : الآية 42

أي بمعنى إذا استعمل المعنيين معا ، فذاك استخدام ، وإن أريد أحدهما مع لمح الآخر باطنا فهو التورية.

واستدل على الاستخدام بقوله تعالى: لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ يمحوا الله ما يشَاء ويثْبِت [1].

فإن لفظة كتاب يراد بها الأمد المحتوم والمكتوب وقد توسطت بين لفظتين، فاستخدمت أحد مفهوميها ، وهو الأمد ،واستخدمت " يمحو " المفهوم الآخر ، وهو المكتوب .

واستدل أيضا ـ بقوله تعالى: لا تَقْربوا الصلاةَ وَأَنْتُم سكارى حتى تَعلَموا ما تَقُولُون ولا جنُبا إلا عابِري سبِيل [2]

فإن الصلاة تحتمل إرادة نفس الصلاة ، وتحتمل إرادة موضعها فقوله :"حتى تعلموا " استخدمت إرادة نفس الصلاة ، وقوله:"إلا عابري سبيل " استخدمت إرادة موضعها [3].

الغاية من استخدام التورية:

لجأ الأدباء والمبدعون إلى استخدام أسلوب التورية لتحقيق غايات وأهداف كثيرة من أهمها :

1- أن التورية كانت سلاحا أدبيا أشهره الأدباء في عصور الظلم والاستبداد والقهر السياسي من أجل التعبير عن أفكارهم ، وإصلاح أوضاعهم .

2- التورية تكتسي طابع الملحة والطرفة ، الذي من شأنه أن يروح عن النفوس ويرفع عنها الغبن والجور والحيف .

3- إثراء اللغة العربية بالألفاظ والمعاني .

الفرق بين الاستخدام والتورية:

- التورية لها معنيان ، معنى قريب،ومعنى بعيد ، لكن المعنى المستهدف هو البعيد . أما الاستخدام فله معنيان ، وكلاهما مستهدف .

---

[1] - الرعد الآية 38،39

[2] - النساء الآية 43

[3] - البرهان ، ج3 ، ص 274

- المعنيان في التورية يستفادان من لفظ واحد ، أما في الاستخدام ، فالمعنيان يستفادان من اللفظ والضمير ، أي أن اللفظ يعطي معنى ، والضمير يعطي معنى آخر.

جماليات الاستخدام:

يطبع الاستخدام الأساليب التعبيرية بسمات جمالية ، تجعله في أعلى قمم الإجادة والإتقان ، كما يقع الاستخدام موقعاحسنا على الأذواق الرفيعة ، ومن ثم ألفينا للاستخدام جماليات فنية ومعنوية كثيرة نحوصلها في النقاط الآتية :

1- إثراء اللغة العربية ، لأن اللفظ يحقق معنى ، وضميره يحقق آخر.
2- ابتكار معاني جديدة.
3- الاستخدام يحقق الإيجاز في الكلام . ولعل الإيجاز سمة من أهم سمات البلاغة العربية ، ولذلك نجد من العلماء من عرف البلاغة بالإيجاز.

نخلص إلى أن التورية باب عظيم من أبواب البيان العربي ، وهي في أعلى درجات الأساليب التعبيرية الفنية ، ولا يصل إلى معرفتها ، وسبر جمالياتها، إلا من أوتي ذوقا رفيعا ، ومعرفة ودراية بأساليب العرب .

عدها العلماء من الأساليب المتميزة بالدقة واللطافة ، وأنها أكثر الأساليب إعانة على تفهم المتشابهات وتأويلاتها ، ولذلك يقول الزمخشري :" لاترى بابا في البيان أدق ولا ألطف من التورية ، ولا أنفع ، ولا أعون على تعاطي تأويل المتشابهات من كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وكلام صحابته رضي الله عنهم أجمعين "[1].

وقال السكاكي :"وأكثر متشابهات القرآن من التورية "[2].

[1] - السيوطي ، جلال الدين ، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تح ، علي محمد البجاوي ، دار الفكر العربي ، الأردن ،1973،(د ط)، ج1،ص374

[2] - الحموي ،ابن حجة ، خزانة الأدب وغاية الأرب ،شرح عصام شعيتو ،دار قمكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ،1987،(د ط) ،ج2، ص 40

التجريد :

يعرفه القزويني بقوله : التجريد هو " أن ينتزع من أمر ذي صفة أمر آخر مثله في تلك الصفة ، مبالغة في كمالها فيه "[1].

ويتم التجريد عن طريق وسائط لغوية معينة وهي :

1- التجريد (بالباء)

التجريد (بمن)

التجريد ب (في)

2- مخاطبة الإنسان نفسه ، وكأنه ينتزع منها شخصا آخر يحاوره ويخاطبه.

ومصطلح التجريد بدلالته الفنية،وطرائقه، فقد اعتبر الدارسون والباحثون أبا علي الفارسي (ت377هـ) رائده ، ومرجع هذا باب عقده تلميذه ابن جني (ت392هـ) في كتابه الخصائص ، يقول فيه :"اعلم أن هذا فصل من فصول العربية طريق حسن ورأيت أبا علي ـ رحمه الله ـ به مغرما معجبا ، ولم يفرد له بابا ، لكنه وسمه في بعض ألفاظه بهذه السمة ، فاستقريتها منه ... ، ومعناه أن العرب قد تعتقد أن في الشئ من نفسه معنى آخر ، كأنه حقيقته ومحصوله ، وقد يجري ذلك إلى ألفاظها لما عقدت عليه معانيها ، وذلك نحو قولهم : لئن لقيت زيدا لتلقين منه الأسد ، ولئن سألته لتسألن منه البحر ، فظاهر هذا أن فيه من نفسه أسدا وبحرا ، وهو عينه هو الأسد والبحر ، لا أن هناك شيئا مفضلا عنه وممتازا منه . وعلى هذا يخاطب الإنسان منهم نفسه ، حتى كأنها تقابله ، أو تخاطبه ومنه قول الأعشى.

"وهل تطيق وداعا أيها الرجل "[2] .

وهو الرجل نفسه لا غير ......".

[1] - ينظر ، بغية الإيضاح ، ج4/ ص 44

[2] - أبو الفتح عثمان بن حني ، الخصائص ، تح الشيخ محمد علي النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت ط2 ، 1952 ، ج2 ، ص 473،474

التجريد عند الزركشي :

عرفه بقوله :"أن تعتقد أن في الشئ من نفسه معنى آخر ، كأنه مباين له ، فتخرج ذلك إلى ألفاظه بما اعتقدت ذلك"[1].

كقوله تعالى: إن في خَلْقِ السماواتِ والأرضِ واخْتِلافِ الليل والنهارلآياتٍ لأُولي الألْباب [2].

فظاهر هذا أن في العالم من نفسه آيات ، وهو عينه ونفسه تلك الآيات[3].

وقوله تعالى: لهم فيها دار الْخُلْد [4] .وليس المعنى أن الجنة فيها دار خلد وغير دارخلد بل كلها دار خلد ، فكأنك لما قلت : في الجنة دار الخلد اعتقدت أن الجنة منطوية على دار نعيم ودار أكل وشرب وخلد ، فجردت منها هذا الواحد . كقوله :وفي الله إن لم تنصفوا حكم عدل [5].

وقرأ علي وابن عباس: يرِثُني ويرِثُ مِن آل يعقُوب [6]، قال ابن حني : هذا هو التجريد وذلك أنه يريد : وهب لي من لدنك وليا يرثني منه وارث من آل يعقوب ،وهو الوارث نفسه ، فكأنه جرد منه وارثا[7].

من جماليات التجريد:

تبرز مواطن الجمال ،في أسلوب التجريد من خلال سمة المبالغة التي يضفيها على المنتزع منه حتى يصل إلى درجة الفيوضات بهذه الصفة على غيره.

التجريد ـ أيضا ـ يعمل على شد الانتباه ، وإثارة الخيال ، وتنشيط الأذهان ، لما ينضح به من روائع التصوير ، وبدائع التنويع في الأساليب ويتجلى ذلك في أن التجريد يفيد:

[1] - البرهان ، ج3 ، ص 274
[2] - آل عمران ، الآية :190
[3] - البرهان ، ج3 ، ص 274
[4] - فصلت ، الآية :28
[5] - البرهان ، ج3 ، ص 275
[6] - مريم ، الآية :06
[7] - البرهان ، ج3 ، ص 275

1- المبالغة
2- الالتفات
3- الكناية
4- التشبيه
5- التوسع في الكلام .
6- يمكن المتكلم من إجراء الأوصاف المقصودة من مدح أو غيره على نفسه .

ولعل هذا التلون والتنوع أكسب التجريد مذاقا خاصا ، وجمالا متميزا ، وبهاء ورونقا.

الطباق :

الطباق وسيلة من الوسائل الإيضاحية الجيدة ، يعرض بها الأديب والمبدع الأشياء أو الصفات ، ثم يعرض ما يقابلها في المعنى ،أي يعرض الشئ وضده و "ما من ريب في أن الجمع بين الأمور المتضادة يكسو الكلام ، جمالا ويزيده بهاء ورونقا ، فالضد ـ كما قالوا ـ يظهر حسنه الضد "[1].

والطباق من أعظم المحسنات البديعية المعنوية أثرا في الأسلوب ،لأنه يتجاوز الظواهر إلى البواطن ،والمكشوف إلى المحجوب ، ولا يقف عند الألفاظ ، بل يتجاوزها إلى المعاني .

وأبان علماء البلاغة عن سر بلاغة الطباق والمقابلة الكامن في تداعي المعاني عن طريق التضاد والتقابل وما يحدثه ذلك في ذهن المتلقين من آثار تحويلهم من عملية التلقي إلى عملية مرسل للأدب ، و هنا يكمن :"أن سر بلاغة كل من المطابقة والمقابلة إنما هو تداعي المعاني ، فالضد أو المقابل يجلب إلى الذهن ضده أو مقابله ...فإذا كتب الأديب

[1] - د.إبراهيم بن عبد الرحمان الغنيم ، الصورة الفنية في الشعر العربي مثال ونقد ، الشركة العربية للنشر والتوزيع المهندسين ، القاهرة ص 268

أو نطق ، أحد المتساندين وقع مقابله في ذهن متلقي الأدب ، قبل أن يقرأه ، أو يسمعه ، وبهذا يتحول متلقي الأدب إلى مرسل له "[1].

والطباق في أبسط تعاريفه هو الجمع بين شيئين متضادين ، أو كما عرفه علماء البلاغة بقولهم :هو " الْجمع بين الشيءِ وضِدِه في الكلام،أو الجمع بين معنيين متقابلين في الجملة"[2]

والباحث ـ ولا ريب ـ يعثر في كتب البلاغة العربية على مصطلحات شتى تطلق على مصطلح الطباق ، وتتردد كثيرا على الألسن ، وهي :

- المطابقة .
- التطبيق .
- التضاد.
- مجاورة الأضداد.

وكلها جاءت لتدل على الجمع بين الشيئ وضده . وهذا ما يعرف في علم البديع بالطباق.

قسم علماء البلاغة الطباق إلى أقسام وهي :

1- طباق الإيجاب.
2- طباق السلب.
3- الطباق الخفي.

1- فطباق الإيجاب : هو ما صرح فيه بإظهار الضدين ،أو ما لم يختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا .

نحو قوله تعالى: وتَحسبهم أَيقَاظًا وهم رقُود [3].

---

[1] - عبده عبد العزيز قلقيلة البلاغة الاصطلاحية ،دار الفكر العربي، ص 298
[2] - د.ابراهيم بن عبد الرحمان الغنيم ،الصورة الفنية في الشعر العربي مثال ونقد ، ص 268
[3] - الكهف ، الآية :18

ونحو قوله تعالى: قَالَ أَنَا أُحيِي وَأُمِيتُ [1].
ونحو قوله تعالى: لَها ما كسبتْ وعليْها ما اكْتَسبتْ [2].
ونحو قوله تعالى: وَأُحيي الْموتَى بِإِذْنِ اللهِ [3].

2- **طباق السلب :** وهو ما لم يصرح فيه بإظهار الضدين ،أو هو ما اختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا .

نحو قوله تعالى: ولا يخْلُقُون شيْئًا وهم يخْلَقُون [4].
ونحو قوله تعالى: فَلا تَخْشَوا الناس واخْشَون [5].

3**- الطباق الخفي :** نحو قوله تعالى: محمد رسولُ اللهِ والذِين معه أَشِداء علَى الْكُفار رحماء بينَهم [6]. فالطباق ها هنا ثم جمعا بين "أشداء ورحماء" فلفظة "رحماء" ليست ضدا في المعنى "لأشداء ".لكن الرحمة تستلزم اللين المقابل للشدة ،لأن من رحم لان قلبه ورق ، ومن هذا الجانب الخفي صح الطباق.

الطباق عند الزركشي :

وعرفه بقوله :"وهو أن يجمع بين متضادين مع مراعاة التقابل ، كالبياض والسواد، والليل والنهار ، وهو قسمان لفظي ومعنوي.

كقوله تعالى: وتَحسبهم أَيقَاظًا وهم رقُود [7]

[1] - البقرة ، الآية :257
[2] - البقرة ، الآية 285
[3] - آل عمران ، الآية 48
[4] - الفرقان ، الآية 3
[5] - المائدة ، الآية :44
[6] - الفتح ، الآية 29
[7] - الكهف ، الآية 18

وذكر الزركشي قوله تعالى: فَلْيضحكُوا قَلِيلاً ولْيبكُوا كَثِيرا [1] وعده من الطباق ، ولكن الزركشي أخطأ في ذلك ، فهذه الآية الكريمة من قبيل المقابلة ،لأنه قابل الضحك بالبكاء ، وقابل قليل بكثير .

وقوله تعالى: وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيا [2]

وقوله تعالى: تُؤْتِي الْملْك من تَشَاء وتَنْزِع الْملْك مِمن تَشَاء [3].

ثم إذا شرط فيهما شرط وجب أن يشترط في ضديهما ضد ذلك الشرط ، كقوله تعالى: فَأَما من أعطَى واتقَى وصدقَ بِالْحسنَى [4].

ويوضح الزركشي الطباق في قوله تعالى :"بأنه لما جعل التيسير مشتركا بين الإعطاء والتقى والتصديق ،وجعل ضده ،وهو التعسير مشتركا بين أضداد تلك الأمور،وهي المنع والاستغناء والتكذيب "[5].

ومنه قوله تعالى: فِي جنةٍ عالِية قُطُوفُها دانِيةٌ [6].

قابل بين العلو والدنو.

ومن الطباق المعنوي : قوله تعالى : إن أنتم إلا تكذبون قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون [7]. معناه : ربنا يعلم إنا لصادقون.

ومنه ما يسمى **الطباق الخفي** ، كقوله تعالى: مِما خَطِيئَاتِهِم أُغْرِقُوا فَأُدخِلُوا نَاراً [8].

ووضحه الزركشي بقوله :" لأن الغرق من صفات الماء ، فكأنه جمع بين الماء في النار والنار ،قال ابن منقذ : وهي أخفى مطابقة في القرآن[9].

---

1 - التوبة ، الآية 82
2 - النجم ، الآيتان ، 43،44
3 - آل عمران ، الآية :26
4 - الليل ، الآيتان 5،6
5 - البرهان ، ج3 ، ص 279
6 - الحاقة ، الآيتان :22،23
7 - يس ، الآيتان : 15،16
8 - نوح ، الآية 25
9 - ينظر البرهان ، ج3 ، ص 280

ومنه قوله تعالى: ولَكُم فِي القِصاصِ حياةٌ [1]، لأن معنى القصاص القتل ، فصار القتل سبب الحياة.

وقال ابن المعتز معقبا على ما ورد في هذه الآية الكريمة من طباق بقوله :

" وهذا من أملح الطباق وأخفاه "[2]

ومما يؤخذ به الزركشي في مبحث الطباق أنه استدل بكوكبة من الآيات القرآنية لأنواع الطباق ، وجاء بشواهد كانت تمثل قمة الجمال والروعة والبيان ،إلا أنه تركها غفلا من التوضيح ، والإفصاح عن بواطن الجمال فيها .

من ذلك مثلا قوله تعالى: تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وتَنْزِع الْمُلْكَ مِمن تَشَاء [3]

لاشك وأن المتأمل في هذه الآية الكريمة يجد أنها تصور القدرة الإلهية في أكمل صورها وأوسع معانيها ، وبيان سلطانه عز وجل في أعم وأشمل مظاهره، ولا يتم ذلك كلـه إلا بالجمع بين الضدين والحكم بأنه سبحانه قادر على الشئ وضده معا:قادر على الإيتـاء ، كما أنه قادر على النزع ، وقادر على الإعزاز،كما أنه قادر على الإذلال ،تلك هي القدرة الكاملة ،والسلطان الشامل.

والطباق الخفي يعد من قبيل الإعجاز البلاغي ،لأن هذا النوع من الطباقات مـدعاة إلـى التدبر والتأمل والغوص في أعماق السياق للوصول إلى أبعاده الجمالية الفنية .

وتكلم الزركشي على التدبيج وهو نوع من الطباق تجتمع فيه الألوان المتقابلـة واسـتدل عليه بقوله تعالى : مِن الشجرِ الأَخْضرِ نَارا [4] ، فكأنه جمع بين الأخضر والأحمـر ، وهذا أيضا فيه تدبيج بديعي [5].

---

[1] - البقرة ، الآية 179
[2] - ينظر ، البرهان، ج3 ،ص 280
[3] - آل عمران ،الآية :26
[4] - يس ، الآية :80
[5] - ينظر ، البرهان ، ج3 ، ص 280

المقابلة

حقيقتها :هي ذكر الشئ مع ما يوازيه في بعض صفاته ويخالفه في بعضها وهي من باب المفاعلة كالمقابلة والمضاربة والفرق بينها وبين الطباق في وجهين[1] .

الفرق بينها وبين الطباق :

1- أن الطباق لا يكون إلا بين الضدين غالبا والمقابلة لا أكثر من ذلك .

2- لا يكون الطباق إلا بالأضداد والمقابلة بالأضداد وغيرها ولذلك عد الكثير من علماء البلاغة الطباق أحد أنواع المقابلة .وعلى رأسهم ابن الأثير.

أنواعها :

وهي ثلاثة ، نظيري ، نقيضي ، وخلافي .

والخلافي أشدها في التشكيك وألزمها بالتأويل ، والنقيضي ثانيها ، والنظيري ثالثها . ثم استشهد لكل نوع من هذه الأنواع .

1- **<u>مقابلة النظيرين</u>** مقابلة السنة والنوم في قوله تعالى: لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ ولا نَوم [2] لأنهما جميعها من باب الرقاد المقابل باليقظة.

2- **<u>مقابلة الخلافين</u>** :مقابلة الشر بالرشد في قوله تعالى: وَأَنا لا نَدري أَشَرٌ أُريد بِمن فِي الأَرضِ أَم أَراد بِهِم ربهم رشَدا [3] .

فقابل الشر بالرشد وهما خلافيان وضد الرشد الغي وضد الشر الخير .

- وقد قسم بعضهم المقابلة في أربعة :

---

[1] - ينظر ، البرهان في علوم القرآن ، ج3 ، ص 280
[2] - البقرة ، الآية 255
[3] - الجن ، الآية 10

أ- **أن يأتي بكل واحد من المقدمات** :مع قرينه من الثواني كقوله تعالى : وجعلنـا الليلَ لِباسا وجعلْنَا النهار معاشًا [1].

ب- **أو يأتي بجميع الثواني مرتبة من أو لهـا** : كما قال تعالى: ومكـروا مكْـرا ومكرنَا مكْرا [2] .

ج -أن يأتي بجميع المقدمات ثم يجمع الثواني مرتبة من أخرها ويـسمى رد العجـز على الصدر كقوله تعالى: يوم تَبيض وجوه وتَسود وجوه فَأما الَّذِين اسودتْ وجوههم أَكَفَرتُم بعد إِيمانِكُم فَذُوقُوا الْعذَاب بِما كُنْتُم تَكْفُرون وأَما الَّذِين ابيضتْ وجوههم فَفِـي رحمةِ اللهِ هم فِيها خَالِدون [3]

ه- أن يأتي بجميع المقدمات ثم بجميع الثواني مختلطة غير مرتبة ويسمى اللف كقوله تعالى : وزلْزِلُوا حتى يقُولَ الرسولُ والَّذِين آمنُوا معه متَى نَصر اللهِ أَلا إِن نَـصر اللهِ قَرِيب [4] فنسبة قوله "متى نصر الله" ، إلى قوله " والذين آمنوا كنسبة قوله "يقـول الرسول إلى " ألا إن نصر الله قريب " ؛ لأن القولين المتباينين يصدران عن متباينين.

* <u>تقسيم :</u>

- من مقابلة اثنين اثنين ": فَلْيضحكُوا قَلِيلاً ولْيبكُوا كَثِيرا [5].
- من مقابلة أربع أربع : فَأَما من أَعطَى واتقَى ... [6].
- من مقابلة خمس بخمس: إِن الله لا يستَحيِي أَن يضرب مثَلاً مـا بعوضـةً فَمـا فَوقَها [7]

---

[1] - النبأ ، الآيتان 10،11
[2] - النمل ، الآية :50
[3] - آل عمران ، الآيتان 106،107
[4] - البقرة ، الآية : 214
[5] - التوبة ، الآية 82
[6] - اليل : الآية 10
[7] - البقرة ، الآية 26

- من مقابلة ست بست : قوله تعالى: زين للناس حب الشهواتِ من النساءِ والْبنين والْقَنَاطِيرِ الْمقَنْطَرةِ من الذهبِ والْفِضةِ والْخَيل الْمسومةِ والأَنْعامِ والْحرثِ ذَلِك متَاع الْحياةِ الدنْي [1].

*** فائدة :**

قد يجئ نظم الكلام على غير صورة المقابلة في الظاهر ، وإذا تؤمل كان من أكمل المقابلات ولذلك أمثلة :

- قوله تعالى: إِن لَك أَلا تَجوع فِيها ولا تَعرى وأَنك لا تَظْمأُ فِيها ولا تَضحى [2]. فقابل الجوع بالعري والظمأ بالضحى والواقف مع الظاهر ربما يحيل أن الجوع يقابل الظمأ والعرى بالضحى.

يقول الزركشي معقبا وموضحا الجمال في ثنايا هذه الآية :"والمدقق يرى هذا الكلام في أعلى مراتب الفصاحة ؛ لأن الجوع ألم البطن والضحى موجب لحرارة الظاهر، فاقتضت الآية جميع نفي الآفات ظاهرا وباطنا؛ وقابل الخلو بالخلو،والاحتراق بالاحتراق.وهاهنا موضع الحكاية المشهورة بين المتنبي وسيف الدولة ؛ لما أنشده:

وقفت وما في الموت شك لواقف * كأنك في جفن الردى وهو نائم"[3]

- ومنها قوله تعالى: مثَلُ الْفَرِيقَين كَالأَعمى والأَصم والْبصِير والسمِيعِ [4] فإنه يتبادر فيه سؤال وهو لم لا قيل : مثل الفريقين كالأعمى والبصير والأصم والسميع لتكون المقابلة في لفظ الأعمى وضده بالبصير .

---
[1] - آل عمران ،الآية 14
[2] - طه ، الآية 118،119
3 - البرهان ، ج 3 ، ص 285
طه ، الآية 118،119
4 - هود ، الآية :24

والجواب أنه يقال : لما ذكر انسداد العين أتبعه بانسداد السمع وبضد ذلك لما ذكر انفتاح البصر أعقبه بانفتاح في السمع .وهذا هو الأنـسب و الأتـم فـي الإعجاز.

إلجام الخصم بالحجة

بين الزركشي أن إلجام الخصم بالحجة من أساليب القرآن. "وهو الاحتجاج على المعنى المقصود بحجة عقلية، تقطع المعاند له فيه "[1] والعجب أن ابن المعتز في بديعه ،حيث أنكر وجود هذا النوع في القرآن وهو من أساليبه"[2]. ومنـه قولـه تعالى: لَو كَان فِيهما آَلِهةٌ إلا الله لَفَسدتَا [3].

ثم قال النحاة أن الثاني امتنع لأجل امتناع الأول ،وخالفهم ابن الحاجب و قـال أن الممتنع الأول لأجل امتناع الثاني ، فالتعدد سبق لأجل امتناع الفساد.

وقوله: قُلْ يحيِيها الذِي أَنشَأَها أَولَ مرةٍ [4].

وقوله: أَفَرأَيتُم ما تُمنُون ءأَنْتُم تَخْلُقُونَه أَم نَحن الْخَالِقُون "[5].

فبين أنا لم نخلق المني لتعذره علينا ،فوجب أن يكون الخالق غيرنا.

- ومنه نوع منطقي وهو استنتاج النتيجة من مقدمتين وذلك مـن أول سـورة الحج إلى قوله: وأَن الله يبعثُ من فِي الْقُبورِ [6]. فنطق على خمس نتـائج من عشر مقدمات .
- فالمقدمات من أول السورة: وأَنْبتَتْ مِن كُل زوجٍ بهيجٍ [7]

---

[1] - البرهان ، ص 286
[2] - ينظر ،البرهان ،ج3 ،ص 286
[3] - الأنبياء ،الآية :22
[4] - يس ، الآية :79
[5] - الواقعة ' الآيتان :58،59
[6] - الحج ،الآية 07
[7] - الحج ، الآية 05

- والنتائج من قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ﴾[1]. إلى قوله: ﴿وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾[2].
- وتفصل ترتيب المقدمات والنتائج أن يقال :اخبر الله أن زلزلة الساعة شـئ عظيم وخبره هو الحق ،ومن أخبر عن الغيب بالحق، فهو أحق بأنه هو
-
- الحق . وأنه يأتي بالساعة على تلك الصفات ولا يعلم صدق الخبر إلا بإحياء الموتى ليدركوا ذلك.
- ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾[3]. أي القمر أفـل وربـي فليس بأفل . فالقمر ليس بربي .
- أثبته بقياس اقتراني جلي من الشكل الثاني، واحتج بالتعبير على الحـدوث، والحدوث على المحدث .

التقسيم

التقسيم من الأساليب العريقة في اللغة العربية ، ومـن محاسـنها الجماليـة العجيبة . عرفه أبو هلال العسكري بقوله : " والتقسيم الصحيح أن تقسم الكـلام قـسمة مستوية على جميع أنواعه، ولا يخرج منها جنس من أجناسه "[4] واستدل عليه بقوله تعالى

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[5].

ويعقب العسكري على هذه الآية القرآنية بقوله :"وهذا أحسن تقسيم ،لأن الناس عند رؤية البرق بين خائف وطامع، ليس فيهم ثالث"[6].

---

[1] - الحج ، الآية :06
[2] - الحج ، الآية :07
[3] - الأنعام ، الآية : 76
[4] - العسكري ، الصناعتين ، ص 308
[5] - الرعد ، الآية12
[6] - ينظر ،أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، ص 308

وذكر أن أعرابيا وقف على مجلس الحسن ، فقال :رحم الله عبدا أعطى من سعة ،أو آسى من كفاف ، وآثر من قلة . فقال الحسن : ماترك لأحد عذرا ، فانصرف الأعرابي بخير كثير "[1] .

ومن شواهد التقسيم ، قول زهير ابن أبي سلمى :

وأن الحق مقطعه ثلاث   يمين أو نفار ،أو جلاء[2].

فلما سمعه عمر بن الخطاب ،رضي الله عنه ، قال كالمعجب :" من علمه بالحقوق وتفصيله بينها ، وإقامته أقسامها"[3]

التقسيم عند الزركشي :

نبه الزركشي إلى أن التقسيم -ها هنا- ليس المراد به القسمة العقلية التي يتكلم عليها المتكلم ، لأنها قد تقتضي أشياء مستحيلة كقولهم : الجواهر لا تخلو إما أن تكون مجتمعة أو متفرقة ،أو لا متفرقة ولا مجتمعة ، أو مجتمعة ومتفرقة معا ، أو بعضها مجتمع وبعضها متفرق . فإن هذه القسمة صحيحة عقلا ،لكن بعضها يستحيل وجوده.

ثم يعرف التقسيم بقوله : "وهو استيفاء المتكلم أقسام الشئ ، بحيث لا يغادر شيئا وهو آلة الحصر ، ومظنة الإحاطة بالشئ "[4].

نحو قوله تعالى: فَمِنْهم ظَالِم لِنَفْسِهِ ومِنْهم مقْتَصِد ومِنْهم سابِقٌ بِالْخَيرات [5] .

بين أن العالم لا يخلو من هذه الأقسام الثلاثة :إما ظالم لنفسه ،وإما سابق صادر إلى فعل الخيرات ، وإما مقتصد فيه ، وهذا من أوضح التقسيمات وأكملها.

وكذلك قوله تعالى: له ما بين أَيدِينَا وما خَلْفَنَا [6] فاستوفى أقسام الزمان ولا رابع لها .

وقوله تعالى: الذِين يذْكُرون الله قِياما وقُعودا وعلَى جنُوبِهم [7] .

و ماترك سبحانه قسما من أقسام الهيئات .

---

[1] - ينظر ، المصدر السابق ،ص 308
[2] - زهير ابن أبي سلمى ، الديوان ، طبعة القاهرة، (د ت) ، (د ط) ، ص 75
[3] - ينظر ، د.انعام فوال عكاوي ، المعجم المفصل في علوم البلاغة ، دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان ،ط2 ،1417ه/1996م ،ص413
[4] - البرهان ، ج3، ، ص288
[5] -فاطر ، الآية32
[6] - مريم ، الآية 64
[7] - آل عمران ،الآية 191

وقوله تعالى :"يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يـزوجهم ذكرانـا وإناثـا ويجعل من يشاء عقيمـا : الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنـوبهم "[1]

قسم الحق تبارك وتعالى حال الزوجين إلى أربعة أقسام اشتمل عليها الوجود لأن سبحانه إما أن يفرد العبد بهبة الإناث ، أو بهبة الذكور، أو يجمعهما له ، أولا يهب شيئا.

وقد جاءت الأقسام في هذه الآية لينتقل منها إلى أعلى منها ، وهي هبة الذكور فيه ، ثـم انتقل إلى أعلى منها ،وهي هبتهما جميعا ، وجاءت كل أقسام العطية " بلفظ الهبة" وأفرد معنى الحرمان بالتأخير .

وقيل : إنما بدأ سبحانه بالإناث لوجوه غير ما سبق :

أحدهما :جبرا لهن ،لأجل استثقال الأبوين لمكانتهن

الثاني :أن سياق الكلام أنه فاعل لما يشاء ،لا ما يشاء الأبوان ، فإن الأبوين لا يريدان إلا الذكور غالبا ، وهو سبحانه قد أخبر أنه يخلق ما يشاء .

الثالث : أنه قدم ذكر ما كانت تؤخره الجاهلية من أمر البنات حتى كانوا يئـدوهن ، أي هذا النوع من التحقير عندكم مقدم عندي في الذكر .

الرابع : قد مهن لضعفهن ، وعند العجز والضعف تكون العناية أتم .

وقيل : لينقله من الغم إلى الفرج .

وتأمل كيف عرف سبحانه الذكور بعد تنكير ، فجبر نقص الأنوثة بالتقديم، وجبر نقص المتأخر بالتعريف ، فإن التعريف تنويه.

وعقب الزركشي قائلا:" وهذا أحسن مما ذكره الواحدي"أنه عرف الذكورلأجل الفاصلة "[2]

[1] - النور ، الآيتان : 49،50
[2] - ينظر ، البرهان ، ج3 ، ص209

ولما ذكر الصنفين معا قدم الذكور ،فأعطى لكـل مـن الجنـسين حقـه مـن التقـديم والتأخير،والله أعلم بما أراد[1].

جماع القول :

التقسيم من أهم أساليب البلاغة العربية التي تعمل على انسجام فقـر الكـلام ، وتـوازن عباراته ، واتساق معانيه.

التقسيم يضفي على الكلام بلاغة وجمالا وبهاء ، ويقع من نفس السامع موقعـا حـسنا ، ويؤثر في قلبه أيم تأثير.

التعديد:

هو إيقاع الألفاظ المبددة على سياق واحد وأكثـر مـا يؤخـذ فـي الـصفات ومقتضاها ألا يعطف بعضها على بعض لاتحـاد محلهـا ويجريهـا مجـرى الوصف في الصدق على ما صدق ، ولذلك يقل عطف بعض صفات الله على بعض في التنزيل [2] وذلك في :

قوله تعالى: الله لاَ إِلَه إِلاَ هو الْحي الْقَيوم [3] .

وقوله: الْخَالِقُ الْبارِىء الْمصور [4] وإنما عطف: هو الأَولُ والآخِر والظَّاهِر والْباطِن [5]. لأنها أسماء متضادة المعاني في موضوعها فوقع الوهم بـالعطف عمن يستبعد ذلك في ذات واحدة ؛ لأن الشئ الواحد لا يكون ظاهرا باطنا مـن وجه وكان العطف فيه أحسن .

وقوله تعالى: أَزواجا خَيرا مِنْكُن مسلِماتٍ مؤْمِنَاتٍ قَانِتَـاتٍ تَائِبـاتٍ عابِـداتٍ سائِحاتٍ ثَيباتٍ وأَبكَارا [6]

فجاء العطف لأنه لايمكن اجتماعهما في محل واحد بخلاف ما قبله.

[1] - ينظر ، البرهان ،ج3 ، ص 290
[2] . البرهان ، ج3 ، ص 290
[3] - البقرة ، الآية :255
[4] - الحشر ، الآية :24
[5] - الحديد ، الآية 03
[6] - التحريم ، الآية 05

وقوله :"ذي الطول "[1] المراد به ذاته فترك العطف لاتحاد المعنى.
وقوله تعالى: ﴿إنما الصدقَاتُ لِلْفُقَراءِ والْمساكِينُ﴾[2]. ولو كان عطف الصفات لم يستحق الصدقة إلا من جميع الصفات الثمان ، ولذلك إذا وقف على الفقهاء والنحاة والفقراء استحق من فيه إحدى الصفات[3].

المبالغة :

المبالغة هي زيادة المعنى في تمامه ، وأن تبلغ به أقصى غاياته .
وسماها ابن المعتز:"الإفراط في الصفة "[4].

وعرفها ابن منقذ بقوله :"إن المعنى إذا زاد عن التمام يسمى مبالغة ، وقد اختلفت ألفاظه في كتبهم ، فسماه قوم :" الإفراط والغلو ، والإيغال ،والمبالغة،وبعضه أرفع من بعض"[5]
والمبالغة نراها ماثلة في أساليب بلاغية كثيرة ، كالحذف ،والإطناب، والتشبيه ،وصنوف المجاز ، فأغلبها طرائق بلاغية تفيد المبالغة .
أقسامها:
قسم علماء البلاغة والنقد المبالغة إلى ثلاثة أقسام :
1- التبليغ.
2- الإغراق.
3- الغلو.
1- التبليغ : وهو الوصف الذي يمكن وقوعه عقلا وعادة. نحو قول حسان ابن ثابت:

---
1 - غافر ، الآية 03
2 - التوبة ، الآية 60
3 - البرهان ، ج3 ، ص 291
4 - ابن المعتز ، البديع ، ص 65
5 - أسامة بن منقذ ، البديع في البديع في نقد الشعر ، 155

يغشون حتى ما تهر كلابهم ولا يسألون عن السواد المقبل[1]

2- الإغراق : وهو الوصف الذي يمكن وقوعه عقلا ويمتنع عادة . نحو قول جرير

إذا غضبت عليك بنوتميم حسبت الناس كلهم غضابا[2]

فجرير يقول :إن بني تميم لهم تأثير في الناس فبالغ في هـذا المعنـى ، وادعـى أنهـم إذاغضبوا على إنسان ، فإن الناس جميعا ينزلون على حكمهم ، وهذا المعنى جائز مـن جهة العقل ، وإن امتنع من جهة العادة .

ومثله قول المتنبي :

وما الدهر إلا من رواة قصائدي إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا[3]

3- الغلو : وهو الوصف الذي لا يمكن وقوعه عقلا ولا عادة .

نحو قول أبي نواس :

وأخفت أهل الشرك حتى إنه لتخافك النطف التي لم تخلق[4].

ومثاله قول بشار بن برد :

إذا ما غضبنا غضبة مضرية هتكنا حجاب الشمس أو تمطر دما[5]

لأن هتك حجاب الشمس ،أو قطرها الدم مستحيل عقلا وعادة ، ولذلك كان كلام بشار هاهنا غلوا وسرفا.

[1] -حسان بن ثا بت ، الديوان ، شرح ، د ، يوسف عيد ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1992 م ، ص291
[2] - جرير ، الديوان ، دار صاذر ، بيروت ، ص 64
[3] - المتنبي ، الديوان ، تح كرم البستاني ،دار صادر ، بيروت ، ص 373
[4] - أبو نواس ، الديوان ،دار بيروت للطباعة والنشر ، (د ط) 1406ه/1986م ص 452
[5] - بشار بن برد ، الديوان ،دار صادر بيروت ، ط1، 2000م، ص 407

المبالغة عند الزركشي :

وعرفها الزركشي بقوله :"وهي أن يكون الشئ صفة ثابتة فتزيد في التعريف في مقدار شدته أو ضعفه ، فيدعى له من الزيادة في تلك الصفة ما يستبعد عند السماع أو يحيل عقله ثبوته"[1].

واستدل عليها بقوله تعالي: أَو كَظُلُماتٍ فِي بحرٍ لُجي يغْشَاه موج مِن فَوقِهِ موج مِن فَوقِهِ سحاب ظُلُماتٌ بعضها فَوقَ بعضٍ [2] .وهي ظلمة البحر وظلمة الموج فوقه وظلمة السحاب فوق الموج . وهذا من أحسنها[3].

وقوله تعالى: وبلَغَتِ الْقُلُوب الْحنَاجِر [4]، أي كادت تبلغ ،لأن القلب إذا زال عن موضعه مات صاحبه.

- وتكون المبالغة في الوصف بطريق التشبيه كقوله تعالى: إِنها تَرمِي بِشَررٍ كَالْقَصرِكأنه جِمالَةٌ صفْر [5].
- وقد يخرج الكلام مخرج الإخبارعن الأعظم الأكبر للمبالغة وهو مجاز كقوله تعالى: وجآء ربك والْملَك صفا صفّاً [6]، فجعل مجئ جلائل آياته ، مجيئا له سبحانه على المبالغة :وكقوله سبحانه: ووجد الله عِنْده فَوفاه حِسابه [7] فجعل نقله للهلكة من دار العمل إلى دار الجزاء وجدانا للمجازي
- وأشار الزركشي إلى تنبيه مهم ، وهو أن (المبالغة) قصد المبالغة يستلزم في الحال الإيجاز ،إما بالحذف ، وإما بجعل الشئ نفس الشئ ، أو بتكرار

---

[1] - البرهان ، ج3 ، ص 36
[2] - النور : الآية 40
[3] - البرهان ، ج3 ،ص36
[4] - الأحزاب :الآية 10
[5] - المرسلات ، الآيتان : 32،33
[6] - الفجر : الآية 22
[7] - النور : الآية 39

لفظ يتم بتكراره التهويل والتعظيم ، ويقوم مقام أوصاف .نحو قوله تعالى :
الحاقة ما الحاقة [1].

وخاص الزركشي إلى تبيان الفائدة من المبالغة في الكلام حيث اختلفت الأقوال في المبالغة ، فجاءت على ثلاثة وجوه.

- **أولا :**إنكار أن تكون من محاسن الكلام لاشتمالها على الاستحالة.
- **ثانيا** : أنها الغاية في الحسن وأعذب الكلام ما بولغ فيه .

كقول حسان بن ثابت :

- لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما.

ملاحظة : نجد أن الزركشي نسب هذا البيت إلى النابغة الذبياني ولكنه أخطأ في ذلك . والبيت لحسان بن ثابت .

- **ثالثا :** وهو الأصح بأنها من محاسن الكلام ، ولا ينحصر الحسن فيها ـ فإن فضيلة الصدق لا تنكر ـ ولو كانت محببة لم ترد في كلام الله تعالى **ولها طريقان** :

1- أن يستعمل اللفظ في غير معناه ،لغة ، كما في الكناية والتشبيه والاستعارة وغيرها من أنواع المجاز.
2- أن يشفع ما يفهم المعنى بالمعنى على وجه يقتضي زيادة ،فتترادف الصفات لقصد التهويل نحو قوله تعالى: ﴿فِي بحرٍ لُجي يغْشَاه موج مِن فَوقِهِ موج مِن فَوقِهِ سحاب ظُلُماتٌ بعضها فَوقَ بعضٍ﴾ [2].

رأي النقاد في المبالغة :

ارتبط مصطلح المبالغة في نقدنا العربي بقضية جد شائكة ،وهي قضية الصدق والكذب ،والأمر الذي جعل النقاد ينقسمون حولها إلى ثلاث فرق، وهي :

---

[1] - الحاقة : الآيتان 1،2
[2] - النور ، الاية 40

الفريق الأول : لايتحرج في استخدام المبالغة في الإبداع ، بل يعتبرها من أهم الوسائل التي يعمل الخيال والإبداع عملهما في العمل الفني ، ومن هؤلاء الشاعر البحتري الذي رفع لواء إطلاق الشعر من الالتزام بقواعد العقل ، وقوانين المنطق حيث

يقول : كلفتمونا حدود منطقكم والشعر يكفي عن صدقه كذبه[1].

وشعار هذا الفريق الشعر يكفي فيه ، التخيل ، والذهاب بالنفس إلى ما ترتاح إليه من التعليل ، ولذلك قالوا :"خير الشعر أكذبه"

الفريق الثاني : يرفض المبالغة مطلقا ، ويذهبون إلى أن خير الشعر مادل على حكمة يقبلها العقل ، وأدب وفضائل ومواعظ تبعث على التقوى، وتجنب الهوى ، وعمدتهم في ذلك ما قاله عمر رضي الله عنه ، في شعر زهير بن أبي سلمى :"لا يمدح الرجل إلا بما فيه "[2]

ولذلك قالوا : إن خير الشعر أصدقه. وتمثلوا قول الشاعر حسان بن ثابت :

وإن أحسن بيت أنت قائله بيت يقال إذا أنشدته صدقا[3]

الفريق الثالث : يرى أن المبالغة إذا كانت من قبيل التبليغ والإغراق فهي مقبولة ،ولابأس بها في العمل الأدبي منظومه ، و منثوره.

أما النوع الثالث : وهو الغلو : مرفوض لما فيه من الإغراب والخروج عن المـألوف ، إلا إذا جاء مقرونا بـ :(كاد) أو (لو)

---

1 - البحتري ، الديوان ، دار صادر ، بيروت ، مج 1، ص 234
2 - د.علي عيسى العاكوب ، التفكير النقدي عند العرب ، دار الفكر ، دمشق ،ط1417،1ه/1997،ص 58
3 - حسان بن ثابت / الديوان، ص 169

إذن؛ فالنقاد حين نظروا إلى المبالغة في الأسلوب القرآني تباينت مواقفهم بين القبول والرفض مفرزة لنا آراء ثلاثة .

ا – القبول المطلق ، ب- المنع المطلق ، ج – التوسط بين الأمرين .

أما الجمهور فرجح الرأي الثالث ، وهو التوسط بين الأمرين . وهو ما عبر عنه القزويني قائلا: "ومنه المبالغة المقبولة ..."[1]

الاعتراض :

الاعتراض من الأساليب البلاغية التي حفل بها القرآن الكريم خاصة ، وفصيح كلام العرب منظومه ، ومنثوره عامة ، ولذلك يقول ابن جني :"هذا القبيل من هذا العلم كثير قد جاء في القرآن وفصيح الشعر ،ومنثور الكلام ، وهو جار عند العرب مجرى التأكيد ، فذلك لا يشنع عليهم ولا يستنكر عندهم أن يعترض الفعل وفاعله والمبتدأ وخبره وغير ذلك مما لايجوز الفصل فيه بغيره إلا شاذا أو متأولا"[2].

ومنه قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ومن يعملْ مِن الصالِحاتِ مِن ذَكرٍ أو أُنثَى وهو مُؤْمِن فأُولَئِك يدخُلُون الْجنةَ ولا يظْلَمون نَقِيرا ومن أَحسن دِينًا مِمن أَسلَم وجهه لِلهِ وهو محسِن واتبع مِلةَ إِبراهِيم حنِيفًا واتخَذَ الله إِبراهِيم خَلِيلاً﴾[3].

إن المتأمل والمتدبر لهاتين الآيتين يلحظ اعتراضا بين قوله تعالى :"ومن يعمل من الصالحات " وقوله تعالى :"أولئك يدخلون الجنة " بقوله تعالى :" من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، وهو اعتراض بين جزئي الشرط ؛ ليدل ـ سبحانه ـ على أن دخول الجنة مرتبط بعمل الصالحات ولا يختص بذلك عبد من العباد ، وإنما لجميع خلقه ، كتابي

[1] - القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 412
[2] - ابن جني ، الخصائص ، ج1 ، ص 335
[3] - النساء ، الآيتان : 124،125

ومسلم ، ذكر وأنثى ، بشرط أن يكون مؤمنا ، فمتى توفر الإيمان و العمل الصالح كـان ذلك سببا في دخول الجنة .

وكذلك ليتساءل في الآية الثانية تساؤلا تقريريا عمن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهـو محسن ، وهذا اعتراض ثان بين قيمة الإحسان في اصطفاء العباد وبيان خير أديـانهم ، ففي هذا إشارة واضحة للإسلام بمعناه الواسع الرحب ،إسلام الوجه والوجهة ، لاإسـلام القول والتكاثر ...

الاعتراض عند الزركشي :

<< وهو أن يؤتى في أثناء الكلام أو كلامين متصلين معنى بشئ يـتم الغـرض الأصلي بدونه ولا يفوت بفواته فيكون فاصلا بين الكلام ، أو الكلامين لنكتة .

- وعند النحاة جملة صغرى تتخال جملة كبرى على جهة التأكد
- من أسباب الاعتراض :

1- تقرير الكلام كقوله تعالى :" وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلـون " اعتـرض بقوله :" وكذلك يفعلون ".

2- قصد التنزيه كقوله تعالى :" ويجعلون لله البنات سـبحانه ولهـم مـا يـشتهون" فاعتراض :" سبحانه " لغرض التنزيه .

3- قصد التبرك كقوله تعالى :" لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين ".

4- قصد التأكيد كقوله تعالى :" فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم "

5- تخصيص أحد المذكورين بزيادة التأكيد على أمر كاف بهما كقوله :" ووصـينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفـصاله فـي عـامين أن اشـكرلي ولوالديك " فاعترض بقوله "حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين .

6- زيادة الرد على الخصم كقولـه :"والله مخـرج " فـاعتراض بـين المعطـوف والمعطوف عليه.

7- الإدلاء بالحجة كقوله :"وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهـل الذكر إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر" فاعتراض بقوله "فاسألوا " بين قولـه " نوحي إليهم " وبين قوله "بالبينات والزبر " إظهار القوة الحجة عليهم.

قال ابن عمرون : لايجوز وقوع الاعتراض بين واو العطف وما دخلت عليه وقد أجازه قوم في "ثم "وفي " أو ".

قال الطيبي ؛ سئل الزمخشري عن قوله تعالى : فمن شاء ذكره هو اعتـراض قال، لا؛ لأن من شرط الاعتراض أن يكون بالواو ونحوها ، وأما بالفاء فلا [1]

الاحتراس

الاحتراس ويعرفه الزركشي بقوله :"أن يكون الكلام محتملا لشئ بعيد فيؤتي بما يدفع ذلك الاحتمال كقوله تعالى : اسلُك يدك ِفي جيبِك تَخْرج بيضاء ِمن غَير سوءٍ [2].

فاحترس سبحانه وتعالى بقوله " من غير سوء" عن إمكان أن يدخل في ذلـك البهق والبرص وقوله تعالى: وقِيلَ بعدا ِللْقَوِم الظاِلِمين [3] فإنه سبحانه لمـا أخبر بهلاك من هلك بالطوفان عقبهم بالدعاء عليهم ووصفهم بالظلم ، ليعلم أن جميعهم كان مستحقا للعذاب.

- وأعجب احتراس وقع في القرآن قوله تعالى مخاطبا لنبيه عليـه الـسلام : وما كُنتَ ِبجاِنبِ الْغَرِبي ِإذْ قَضينَا ِإلَى موسى الأمر [4].وقـال حكايـة عـن موسى: ونَاديناه ِمن جاِنبِ الطور الأيمن [5]. فلما نفى سبحانه عن رسوله أن يكون بالمكان الذي قضى لموسى فيه الأمر عرف المكان بـالغربي ولـم يقل في هذا الموضع (الأيمن) كما قال من قبل أدبا مع نبيه (ص) أن ينفي عنه كونه بالجانب الأيمن .فراعى في المقامين حسن الأدب معهمـا تعليمـا للأمة ، وهو أصل عظيم في الأدب في الخطاب .

1- ينظر، البرهان ، ج 3، ص 39، 40، 41، 43، 44
2- القصص ، الآية32
3- هود ، الآية 44
4- القصص ، الآية 44
5 - مريم ، الآية 52

وقوله :" تكلم الناس في المهد وكهلا "[1] وإنما ذكر الكهولة مع أنه لا إعجاز فيه لأنه كان في العادة ، أن من يتكلم في المهد لايعيش ولا يتمادى بـه العمـر ، فجعل الاحتراس بقوله " وكهلا "

فائدة :

عاب قدامة على ذي الرمة قوله :

ألا ا سلمى يا دار مي على البلى ولازال منهلا بجرعائك القطر [2]

فإنه لم يحترس وهلا قال كما قال طرفه :

فسقى ديارك غير مفسدها

وأجيب أنه قدم الدعاء بالسلامة للديار.

ومن روائع الاحتراس في قوله تعالى :" فخرعليهم السقف من فوقهم "[3] والسقف لايكـون إلا من فوق ؛ لأنه سبحانه رفع الاحتمال الذي يتوهم من أنه السقف قد يكون من تحـت بالنسبة ؛ فإن كثيرا من السقوف يكون أرضا لقوم وسقفا لآخرين ورفع هـذا الاحتمـال بأمرين وهما " عليهم " و " خر " لأنهما لاتستعمل إلا فيما هبط أو سقط من العلـو إلـى الأسفل .

وقيل إنما أكد ليعلم أنهم كانوا حالين تحته ، والعرب تقول : خر علينا سقف ، ووقع علينا حائط ، فجاء بقوله :" من فوقهم " ليخرج هذا الشك الذي في كلامهم .

فقال :" من فوقهم " أي عليهم وقع ، وكانوا تحته ، فهلكوا وما أفلتوا" أليس هذا من أعلى قمم البلاغة ومقامات الإعجاز؟

---

[1] ـ المائدة ، الآية 110

[2] ـ ذو الرمة ، الديوان ، ص 206/ جرعاء :الرمل المنبسط

[3] ـ النحل ، الآية 26

التذييل

مصدر ذيل للمبالغة وهي لغة : جعل الشئ ذيلا للآخر.

واصطلاحا :أن يوفى بعد تمام الكلام بكلام مستقل عن معنى الأول تحقيقا لدلالة منطوق الأول ، أو مفهومه ليكون معه كالدليل.

كقوله تعالى:" ذلك جزيناهم بما كفروا" ثم قال عز من قائل:" وهل يجازى إلا الكفور" [1]أي هل يجازى ذلك الجزاء الذي يستحقه الكفور إلا الكفور.

وقوله :"وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا "[2]

وقوله :" فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا إن فرعون وهامان وجنودهما كـانوا خاطئين "[3]

ويحتمل أن يكون من التعليل.

التتميم

وهو أن يتم الكلام فيلحق به ما يكمله إما مبالغة ، أو احترازا ، أو احتياطا.

وقيل أن يأخذ في معنى فيذكره غير مشروح وربما كان السامع لايتأمله ليعود المتكلم إليه شارحا كقوله تعالى :"ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا "[4]

فالتتميم في قوله تعالى " على حبه " جعل الهاء كناية عن الطعام مع اشتهائه.

وكذلك قوله :"وآتي المال على حبه "[5]

1- سبأ ، الآية :17

2- سبأ ، الآية :17

3- القصص ، الآية :08

4- الإنسان ، الآية : 08

5- البقرة ، الآية: 177

المدرج

من الأساليب البلاغية البديعة التي استنبطها الزركشي بالاعتماد على مصطلحات أهل الحديث ، وقال :"هذا النوع سميته بهذه التسمية ، بنظير المدرج من الحديث ، وحقيقته في أسلوب القرآن أن تجئ الكلمة إلى جنب أخرى كأنها في الظاهر معها ، وهي في الحقيقة غير متعلقة بها "[1].

والمدرج عند أهل الحديث هو : أن تزاد لفظة في متن الحديث من كلام الراوي ، فيحسبها من يسمعها مرفوعة في الحديث فيرويها كذلك "[2].

واستدل عليه بقوله تعالى ذاكرا عن بلقيس :"إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون "[3] هو من قول الله لا من قول المرأة.

ومنه قوله تعالى :" آلن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين "[4].

انتهى قول المرأة ، ثم قال يوسف عليه السلام :"ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب "[5] معناه ليعلم الملك أني لم أخنه "[6].

ومنه قوله تعالى :" يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا "[7] تم الكلام ، فقالت الملائكة :" هذا ما وعد الرحمان وصدق المرسلون "[8].

---

1 - البرهان ، ج3 ، ص 187
2 - المصدر نفسه ، ص ن
3 - النمل ، الآية 34
4 - يوسف ، الآية 51
5 - يوسف ، الآية 52
6 - البرهان ، ج3 ، ص 187
7 - يس ، الآية 52
8 - يس ، الآية 52

الاستطراد

عرفه القزويني بقوله :"وهو الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به لم يقصد بذكر الأول التوصل إلى ذكر الثاني "[1]

ويقول جمهرة العلماء أن مصطلح الاستطراد ربما ظهر أول مرة عند الحاتمي في حلية المحاضرة حيث يذكر الحاتمي أنه نقل هذه التسمية عن البحتري [2].

وعرفه العسكري بقوله :"أن ياخذ المتكلم في معنى بينا يمر فيه يأخذ في معنى آخر وقد جعل الأول سببا إليه "[3].

ومحصلة القول : أن الاستطراد هو الانتقال من معنى إلى معنى بحيث يكون الأول سببا في الثاني .

وكثيرا من البلغاء خلط بين الاستطراد والتخلص ، ولكن حازما فرق بينهما بقوله :"وأهل البديع يسمون ماكان الخروج فيه يتدرج تخلصا ، وما لم يكن يتدرج ولا هجوم ، ولكن بانعطاف طارئ على جهة من الالتفات استطرادا "[4]

ويفرق العلوي صاحب الطراز بين الاستطراد والاعتراض ، بحيث يرى أن الاستطراد مجمع الحسن كله ، بينما الاعتراض يجمع بين الحسن والقبح ، أي فيه ما هو حسن ، وما هو قبيح ،يقول العلوي : " وهو قريب من الاعتراض ، خلا أن الاعتراض منه ما يقبح ، ويحسن ، ويتوسط ، بخلاف الاستطراد فإنه حسن كله"[5] .

أما الزركشي فقد عرف الاستطراد بقوله :"وهو التعريض بعيب إنسان بذكر عيب غيره"[6]
واستدل عليه الزركشي بشواهد من الذكر الحكيم دونما تعقيب ، أو إيضاح ، فذكر قول الله تعالى :"وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنابهم "[7]

---

[1] - الإيضاح ، ص 397
[2] - ينظر ، الحاتمي ، حلية المحاضرة ، ج1 ، ص 163
[3] - الصناعتين ، ص 418
[4] - منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص 316
[5] - الطراز ، ج3، ص 11
[6] - البرهان ، ج3 ، ص 189
[7] -إبراهيم ، الآية :47

وكقوله :" فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة عاد وثمود"[1].

وقوله :"ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود "[2].

وصاحب الصفوة الصابوني يرى أن الآية من سورة فصلت بها التفات في قوله تعالى "فإن أعرضوا " بعد قوله (قل أئنكم لتكفرون) وهو التفات من الخطاب إلى الغيبة ، وناسب الإعراض عن مخاطبتهم لكونهم أعرضوا عن الحق ، وهو تناسب حسن [3]

وقال علماء البلاغة أن أول من ابتدع "فن الاستطراد" السموأل في قوله :

وإنا لقوم لا نرى القتل سبة إذا ما رأته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا وتكرهه آجالهم فتطول

واعتبر هذا أول شاهد ورد في هذا النوع ، وسار مسير الأمثال وفي ذلك يقول ابن رشيق القيرواني :"وهو أول ما نطق به "

وقال المصري :"وأحسب أن أول استطرد بالهجاء السموأل "[4]

والشاهد في بيتي السموأل أنه أراد مدح قبيلته ، فاستطرد إلى هجاء قبيلتي عامر وسلول ثم رجع إلى غرضه المقصود.

وجمال الاستطراد يظهرفي حسن الانتقال من معنى ،وذلك يؤدي إلى ترابط الأسلوب وتلك أسمى غايات البلاغة العربية ، ولعل الانتقال من معنى إلى معنى من الأمور التي فاض فيها الأدباء ، وتباروا فيها وتفاضلوا ، ومن هنا ألفينا علماء البلاغة ينوهون به.

---

[1] - فصلت ،الآية :13
[2] - هود ، الآية :95
[3] - ينظر ، محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، شركة الشهاب الجزائر ، ط5 ،1411ه/1990م ، ج2،ص 129
[4] - ينظر ،د.إنعام فؤال عكاوي ، المعجم المفصل في علوم البلاغة ، البديع والبيان ، والمعاني دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ،ط2،1417هـ/1996م ، ص 87

الإلغاز (الأحاجي)

أ شار ابن الآثير إلى الأحاجي بقوله :"وهي الأغالط من الكلام ، وتسمى الألغاز وقد يسمى هذا النوع أيضا المعمى "[1]

وعرف ابن الأثير الأحاجي والألغاز بقوله :"وأما اللغز والأحجية فإنهما شئ واحد ، وهو كل معنى يستخرج بالحدس والحزر لا بدلالة اللفظ عليه حقيقة ومجازا ، ولا يفهـم مـن عرضه"[2].

ويستدل ابن الأثير بأدلة كثيرة على الأحاجي والألغاز ، ومما أعجبني سرده لحكاية عمر بن هبيرة مع شريك النمري التي هي من هذا القبيل .

يقول ابن الأثير :"ومما سمعته من الألغاز الحسان التي تجري في المحاورات ما يحكـى عن عمر بن هبيرة ، وشريك النميري ، وذلك أن عمر بن هبيرة كان سائرا على برذون له وإلى جانبه شريك النميري على بغلة ، فتقدمه شريك في المسير ، فصاح به عمر : اغضض من لجامها ، فقال :أصلح الله الأمير إنها مكتوبة فتبسم عمر، ثم قال : ويحك ، لم أرد هذا ، فقال له شريك : ولا أنا أردته [3].

وكان عمر أراد قول جرير:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا[4]

الإلغاز عند الزركشي

ويعرفه بقوله :"واللغز الطريق المنحرف ، وسمي به لانحرافه عن نمط ظـاهر الكلام ، ويسمى أيضا أحجية ؛لأن الحجى هو العقل "[5].

---

[1] - ابن الأثير ، المثل السائر ، مج 2 ، ص 199
[2] - المصدر نفسه ، ص 200
[3] - المصدر نفسه ، ص 207
[4] - جرير ، الديوان ، ص 75
[5] - البرهان ، ج3 ، ص 189

ونبه الزركشي إلى الغاية من اللجوء إلى الإلغاز والأحاجي في الكلام إلى :

- أن هذا النوع من الأساليب يقوي العقل عند التمرن والارتماض[1] ، بحاله والفكر فيه.

وأشار إلى أن بعض العلماء قال ، بوقوعه في القرآن العظيم ، وجعل منه ما جاء في أوائل السور من الحروف المفردة والمركبة التي جهل معناها ، وحارت العقول في منتهاها.

ومنه قوله تعالى في قصة سيدنا إبراهيم لما سئل عن كسر الأصنام .

وقيل له :أنت فعلته ؛فقال :"بل فعله كبيرهم هذا "[2] قابلهم بهذه المعارضة ، ليقيم عليهم الحجة ، ويوضح لهم المحجة.

وكذلك قول نمروذ :" أنا أحي وأميت "[3] أتى باثنين فقتل أحدهما ، وأرسل الآخر ، فإن هذا مغالطة[4] .

هذا رأي الزركشي في مسألة الإلغاز في القرآن الكريم ، وبعض من العلماء ، إلا أن ابن الأثير يرى غير ذلك ، حيث يقول :"وقد تأملت القرآن الكريم فلم أجد فيه شيئا منها ، ولا ينبغي أن يتضمن منها شيئا ؛لأنه لا يستنبط بالحدس والحزر كما تستنبط الألغاز"[5].

---

1 -المصدر السابق ، ص ن
2 - الأنبياء ، الآية :63
3 - البقرة ، الآية : 258
4 - البرهان ، ج3 ، ص 189
5 - ابن الأثير ، المثل السائر ، مج 2، ص 204

الالتفات

تناول علماء البلاغة ظاهرة الخروج عن مقتضى الظاهر فـي الكـلام البليـغ وأوضحوا أن هناك دواعي وأسبابا بلاغية لها تأثير عميق في النفوس والأفكـار، لأنهـا تحمل أسسا فنية جمالية إبداعية ، ولمحاذكية.

إذا :

- فما هو الالتفات ؟
- وما هي فوائده؟
- وكم صوره ؟
- وما هي شروطه ؟
- ما الجديد في أسلوب الالتفات عند الزركشي ؟
- وما هي جماليته ؟

يكاد علماء البلاغة يجمعون على أن أسلوب الالتفـات مـن الأسـاليب البلاغيـة المتميزة ، لما يحمله من لطائف ، وفرائد نفيسة ، تضفي جمـالا وتـأثيرا فـي نفـوس المتلقين.

وبه من التفنن والتنقل الرائع بين طرائق الكلام الثلاث ، التكلم ، الخطاب ، والغيبة ، ذلك سعيا لتحقيق أغراض بلاغية.

وهذا النوع من الأساليب يدل دلالة قاطعة على أصالة بلاغة الإنسان العربـي ، ومـدى تميزه وتفرده بتذوق الكلام ، وإدراك جمالياته ، وتفننه في التنقل من سياق إلى سياق وفق طرائق متعددة ومتباينة ، ودل أيضا على شجاعة أدبية بيانية ، تجعل المتلقـي يـستمتع بجمال هذه اللغة ، ويدرك عجيب أسرارها ، ودقائق ، تفردها من غيرها . ولهذا اصطلح على أسلوب الالتفات بـ " شجاعة العربية".

ومن ثم تكاد آراء العلماء تجمع على أن الالتفات من الأساليب البديعة التي تتربع على منزلة رفيعة بين أساليب البلاغة العربية ، حتى قال عنه صاحب الطراز إنه :"أمير جنودها والواسطة في قلائدها ... وقد يلقب بشجاعة العربية ، والسبب في تلقيبه بذلك ، هو أن الشجاعة هي الإقدام ، والرجل إذا كان شجاعا ، فإنه يرد الموارد الصعبة ، ويقتحم الورط العظيمة ، حيث لايردها غيره ، ولا يقتحمها سواه"[1].

ومما يستشف من كلام العلوي أن الالتفات إذا لم يتحقق المراد من خلاله يصبح قفزة خطرة في المجهول ، ومجازفة ما بعدها مجازفة .

لاشك أن المخالفة بين أسلوب وأسلوب ، والتنويع في طرائق عرض الأساليب مع تحقيق الغاية وإصابة المرمى يعد مكمن الجمال والحسن .

والعرب أوتوا من القدرة على التفنن في التعبير والمخالفة بين أسلوب وآخر ما جعلهم يتربعون على عرش البلاغة والفصاحة . فكان لهم شأن وشأو.

وفي هذا السياق يقول العلوي :"فإن اقتدارهم على مخالفة أساليب الكلام أكثر من اقتدارهم على مخالفة الأطعمة ؛ لأن البلاغة في الكلام عليهم أيسر ، وهم عليها أمكن وأقدر "[2] .

ماهية الالتفات :

عرفه العلوي بقوله :"هو العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف ، وهذا أحسن من قولنا : هو العدول من غيبة إلى خطاب ومن خطاب إلى غيبة ، لأن الأول يعم سائر الالتفاتات كلها ، والحد الثاني إنما هو مقصور على الغيبة والخطاب لا غير "[3].

[1] - العلوي ، الطراز ، تح .د عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية ، بيروت ،ط1 2002 م ،ج2،ص 71
[2] - المصدر نفسه ، ص 75
[3] - المصدر نفسه ، ص 71

ويتضح من خلال مايذهب إليه العلوي ،أن الالتفات لا يقتصر على ضمير دون أخر ، بل يعم ويشمل جميع الضمائر ، كما يعم أنساقا أخرى غير الضمائر.

وفي هذا يقول :"ولاشك أن الالتفات قد يكون من الماضي إلى المضارع ، وقد يكون على عكس ذلك "[1].

وعرفه الصفدي بقوله :" والالتفات انتقال وسلوك سبيل بعد سبيل "[2]

أما عبد الرحمان حسن حبنكه الميداني فعرفه بقوله :"وهو فن بديع من فنون القول يشبهه تحريك آلات التصوير السينمائي ينقلها من مشهد إلى مشهد آخر في المختلفات والمتباعدات التي يراد عرض صور منها ، ومفاجأة المشاهد بلقطات منها متباعدات ، لكنها تدخل في الإطار الكلي الذي يراد عرض طائفة من مشاهده تدل على ما يقصد الإعلام به"[3].

باختصار شديد نخلص إلى أن الالتفات هو العدول بالمصطلح الحديث

فوائده :

أفرزت لنا الدراسات البلاغية فوائد جمة للالتفات نذكرمنها :

1- جمالية التنويع في العبارة.
2- الاقتصاد والإيجاز في التعبير.
3- المعاني في أسلوب الالتفات تفهم من طريق غير مباشر أي تلميحا .ومن ثم كان الالتفات أكثر تأثيرا في المتلقى.
4- الالتفات يشعر جميع المتلقين بأنهم محل اهتمام المتكلم .
5- إفادة معنى تتضمنه العبارة أثناء الالتفات لا يمكن حصوله لوجرى الكلام على مقتضى الظاهر ....وغيرها.

---

[1] - المصدر السابق ، ص 71
[2] - خليل بن أبيك الصفدي ، الغيث المسجم في شرح لامية العجم ، دار الكتب العلمية ،، بيروت ،ط1 1975 م ، ج1 ، ص257
[3] - عبد الرحمان حسن حبنكه الميداني ، البلاغة العربية ، أسسها ، وعلومها ، وفنونها ، دار القلم ، دمشق ، ط2 2007 ، ج1 ،ص480

صوره :

للالتفات صور ست هي :

1- الانتقال من التكلم إلى الخطاب

2- الانتقال من التكلم إلى الغيبة

3- الانتقال من الخطاب إلى التكلم

4- الانتقال من الغيبة إلى التكلم

5- الانتقال من الخطاب إلى الغيبة

6- الانتقال من الغيبة إلى الخطاب

الالتفات عند الزركشي :

عرف الزركشي الالتفات بقوله :"وهو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر تطرية واستدرار للسامع ، وتجديدا لنشاطه ، وصيانة لخاطره من الملال والضجر ، وبدوام الأسلوب الواحد على سمعه"[1].

حدد الزركشي في هذا التعريف ، مدلول الالتفات والمتمثل في الانتقال من أسلوب إلى آخر .كما بين فوائد هذا الانتقال ، والتي نحوصلها في النقاط الآتية :

أ- تطرية واستدرار للسامع

ب- تجديد النشاط ، ودفع الضجر والملل

ت- رتابة التعبير على وتيرة واحدة مدعاة للنفور.

ونبه الزركشي إلى أن للالتفات مقامات أثناء التعبير والتواصل حيث يقول :"واعلم أن للتكلم والخطاب والغيبة مقامات ، والمشهور أن الالتفات هو الانتقال من أحدها إلى الآخر بعد التعبير الأول "[2].

[1] - البرهان ،ج3 ، ص 197
[2] - المصدر نفسه ، ص ن

أقسامه :

1- الالتفات من التكلم إلى الخطاب :

نبه الزركشي إلى أن القصد منه ، حث السامع وبعثه على الاستماع حيث أقبل المتكلم عليه ، وأنه أعطاه فضل عناية وتخصيص بالمواجهة.

نحو قوله تعالى :"ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون "[1]

الأصل :"وإليه أرجع "فالتفت من التكلم إلى الخطاب ، والقيمة البلاغية - ها هنا -أنه أخرج الكلام في معرض منا صحته لنفسه ، وهو يريد نصح قومه ، تلطفا وإعلاماأنه يريده لنفسه ، ثم التفت إليهم لكونه في مقام تخويفهم ودعوتهم إلى الله .

وأيضا ، فإن قومه لما أنكروا عليه عبادته لله ، أخرج الكلام معهم بحسب حالهم ، فاحتج عليهم بأنه يقبح منه أنه لا يعبد فاطره ، مبدعه ، ثم حذرهم بقوله :"وإليه ترجعون" لذا جعلوه من الالتفات . والمعنى : كيف لا أعبد من إليه رجوعي .وإنما ترك عبارة (إليه أرجع) إلى (وإليه ترجعون) لأنه واحد منهم . داخل فيهم ، وقد أفاد الالتفات هنا فائدة حسنة ، وهي أنه ينبههم أنه مثلهم في وجوب عبادة من إليه الرجوع .

ووجه الزركشي نقدا إلى أولئك القائلين : ثم حذرهم بقوله :"وإليه ترجعون " على أساس أنه أخرج الكلام معهم بحسب حالهم .

يقول الزركشي :"لذا جعلوه من الالتفات ، وفيه نظر ، لأنه إنما يكون منه إذا كان القصد الإخبار عن نفسه في كلتا الجملتين ، وها هنا ليس كذلك ، لجواز أن يكون أراد بقوله :" ترجعون " المخاطبين ؛ ولم يرد نفسه ويؤيده ضمير الجمع ، ولو أراد نفسه لقال:"نرجع " وأيضا شرط الالتفات أن يكون في جملتين ، " فطرني " و " إليه ترجعون كلام واحد ...

[1] - يس ، الآية :22

ومع ذلك أفاد فائدة حسنة ؛ وهي أنه نبههم أنهم مثله في وجوب عبادة من إليه الرجوع ؛ فعلى هذا ، الواو للحال ، وعلى الأول واو للعطف [1]

2- من التكلم إلى الغيبة :

ووجهه أن يفهم السامع أن هذا نمط المتكلم وقصد من السامع حضر أو غاب .

نحو قوله تعالى :" يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحي ويميت فآمنوا بالله ورسوله "[2]

ولم يقل (بي) وأسلوب الالتفات في هذه الآية الكريمة أفاد فائدتين :

أ- دفع التهمة عن نفسه بالعصبية لها .

ب- تنبيههم على استحقاقه الاتباع بما اتصف به من الصفات المذكورة مـن النبـوة والأمية ،التي هي أكبر دليل على صدقه ، وأنه لايستحق الاتباع لذاته ، بل لهـذه الخصائص [3].

ومن هذا القبيل أيضا قوله تعالى :" إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك "[4] لم يقل (لنـا) تحريضا على أداء الصلاة لحق الربوبية.

3- من الخطاب إلى التكلم :

يرى الزركشي أن هذا النوع يستقيم لمن لم يشترط أن يكون المراد بالالتفات واحد ، أما من اشترط فلا يحسن أن يمثل به ، وأشار إلى قوله تعالى :"فاقض مـا أنـت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا إنا ءامنا بربنا "[5]

---

[1] - البرهان ، ج 3 ، ص 198
[2] - الأعراف ، الآية :158
[3] - ينظر ، البرهان ، ج3 ، ص 199
[4] - الكوثر ، الآيتان : 1،2
[5] - طه ، الآيتان : 72،73

ونبه إلى أنه تمكن التمثيل للانتقال من الخطاب إلى المتكلم بقوله تعالى :"قل الله أسرع مكرا إن رسلنا يكتبون ما تمكرون "[1]

وعقب بقوله : على أنه ـ سبحانه ـ نزل نفسه منزلة المخاطب [2]

4- من الخطاب إلى الغيبة :

كقوله تعالى :"حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم "[3]

فقد التفت عن " كنتم "إلى " جرين بهم " وفائدة الالتفات هنا العدول عن خطابهم إلى حكاية حالهم لغيرهم ، لتعجبه من فعلهم وكفرهم ، إذ لو استمر على خطابهم لفاتت تلك الفائدة ، وهذا سر من أسرار الإعجاز البياني في القرآن الكريم .

وقال الراسخون في العلم :أن الخطاب أولا كان مع الناس جميعهم مؤمنهم وكافرهم بدليل قوله تعالى :"وهو الذي يسيركم في البر والبحر " فلو قال (وجرين بكم)للزم الذم الجميع ؛ فالتفت عن الأول للإشارة إلى الاختصاص هؤلاء الذين شأنهم ماذكره عنهم في آخر الآية ؛ فعدل عن الخطاب العام إلى الذم الخاص ببعضهم ، وهم الموصوفون بما أخبربه عنهم .

وذكروا أيضا: أنهم وقت الركوب خافوا الهلاك وتقلب الرياح ، فناداهم نداء الحاضرين [4].

[1] - يونس ، الآية :21
[2] - ينظر ، البرهان ، ج3 ص 199
[3] - يونس الاية :22
[4] - البرهان ، ج 3 ، ص 199

5-من الغيبة إلى التكلم : كقوله :"سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله "[1]. حدد الزركشي في أن الالتفات في أربعة مواضع ، فانتقل عن الغيبة في قوله تعالى "سبحان الذي أسرى بعبده " إلى التكلم في قوله :"باركنا حوله " ثم من التكلم إلى الغيبة في قوله" آياتنا" ثم من التكلم إلى الغيبة [2] في قوله :" إنه هو السميع البصير "[3]. وقوله عز وجل :" والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه "[4]. وفائدته : أنه لما كان سوق السحاب إلى البلد إحياء الأرض بعد موتها بالمطر دالا على القدرة الباهرة ، والآية العظيمة التي لايقدر عليها غيره ، عدل عن لفظ الغيبة إلى التكلم فقال : (فسقناه) لأنه أدخل في الاختصاص ، وأدل عليه وأفخم . وفيه معنى آخر ، وهو أن الأقوال المذكورة في هذه الآية منها ما أخبر به ـ سبحانه ـ بسببه ، وهو سوق السحاب ، فإنه يسوق الرياح ، فتسوقه الملائكة بأمره ، وإحياء الأرض به بواسطة إنزاله وسائر الأسباب التي يقتضيها حكمه وعلمه وعادته سبحانه في كل هذه الأفعال .أن له جندا وخلقا قد سخرهم في ذلك[5]نحو قوله تعالى :"فإذا قرأناه فاتبع قرآنه[6]أي إذا قرآه رسولنا جبريل. وكقوله تعالى:" وأنزل من السماء مآء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها"[7] ونحو قوله تعالى:" وأنزل من السماء مآء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى "[8] ذكر الزركشي أن الزمخشري أشار إلى فائدة الالتفات إلى المتكلم في هذه المواضع فقال :"التنبيه على التخصيص بالقدرة"[9]

6- من الغيبة إلى الخطاب :

كقوله تعالى :" وقالوا اتخذ الرحمان ولدا لقد جئتم شيئا إدا[10] .

---

[1] - الإسراء ، الآية : 01
[2] - البرهان ، ج3 ، ص 202،201
[3] - الإسراء ، الآية :01
[4] - فاطر، الآية : 9
[5] - البرهان ، ج3 ، ص 200
[6] - القيامة الآية: 18
[7] - فاطر ، الآية: 27
[8] - طه ، الآية : 53
[9] - البرهان ، ج3 ، ص 1 20
[10] - مريم ، الآيتان: 89،88

ولم يقل : " لقد جاءوا " للدلالة على أنه من قال مثل قولهم ينبغي أن يكون موبخا منكرا عليه قوله،كأنه يخاطب قوما حاضرين .

وقوله تعالى :"مالك يوم الدين إياك نعبد "[1]

ونقد من قال : إن في قوله تعالى التفاتا من الغيبة إلى الخطاب: " يأيها الذين آمنو إذا قمتم إلى الصلاة فأغسلوا"[2]

فقال الزركشي : وهو عجيب لأن "الذين" موصول لفظه للغيبة ،ولابد له من عائد، وهـو الضمير في " آمنوا" فكيف يعود ضمير مخاطب على غائب؟ فهذا مما لايعقل[3]

7-بناء الفعل للمفعول بعد خطاب فاعله أو تكلمه:

فيكون التفاتا عنه ، كقوله تعالى :" غير المغضوب عليهم "[4] بعد "أنعمت" ؛ فإنـه المعنى (غير الذين غضبت عليهم)

وأشار العلماء إلى نوع من الالتفات في منتهى الإبداع والغرابة ، وعن ذلك فـي قولـه تعالى :" إن الإنسان لربه لكنود وإنه على ذلك لشهيد "[5]

انصرف عن الإخبار عن الإنسان إلى الإخبار عن ربه تبارك وتعالى ، ثم قال منـصرفا عن الأخبار عن الرب عز وجل إلى الإخبار عن الإنسان :"وإنه لحب الخير لشديد"

وهذا النوع يسميه العلماء : بالتفات الضمائر

في أسبابه وفوائده :

الجمال الحقيقي لأسلوب الالتفات كما ذكر البلاغيون يكمن في فوائده وأسبابه.

[1] - الفاتحة ،الآيتان ، 4،5
[2] المائدة،الأية :6
[3] -البرهان ،ج3،ص 203
[4] الفاتحة : الآية :5
[5] - العاديات : الآيتان 6،7

وقسمها الزركشي إلى قسمين :

أ- فوائد عامة.

ب- فوائد خاصة .

أ- الفوائد العامة :

التفنن والانتقال من أسلوب إلى آخر . لما في ذلـك مـن تنـشيط السامع ، واستجلاب صفائه ، واتساع مجاري الكلام ، وتسهيل الوزن والقافية وقال البيانيون : إن الكلام إذا جاء على أسلوب واحد وطـال حـسن تغييـر الطريقة، وذلك دفعا للضجر والملل وتحقيق الغايات والمرامي .

ب- الفوائد الخاصة :

تختلف باختلاف محاله ومواقع الكلام فيه على ما يقـصده المـتكلم فمنها :

1- تعظيم شأن المخاطب ، نحو قوله تعالى :" الحمد لله رب العالمين "[1].

2- التنبيه على ما حق الكلام أن يكون واردا عليه ، نحو قوله تعالى :" ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون "[2].

3- قصد المبالغة ، نحو قوله تعالى :" حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم "[3]

4- الدلالة على الاختصاص : كقوله تعالى :" والله الذي أرسل الرياح فتثيـر سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به "[4]

5- قصد الاهتمام : كقوله تعالى :"ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لهـا وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضهن سبع سماوات في

[1] - الفاتحة ، الآية 01
[2] - يس ، الآية :22
[3] - يونس : الآية 22
[4] - فاطر ، الآية :09

يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمـصابيح وحفظـا ذلك تقدير العزيز العليم "[1]

6- قصد التوبيخ : كقوله تعالى " وقالوا اتخذ الرحمان ولدا لقد جئتم شيئا إدا "[2]

من الفوائد القيمة التي ذكرها الزركشي من خلال قوله تعالى :"إن الله لا يخلف الميعاد "[3] بعد قوله تعالى :" ربنا إنك جامع الناس ليوم لاريب فيه "[4] يقول الزركشي: "فإن قلت : قد قال في آخر السورة "ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد " فلـم عـدل عـن الخطاب هنا ؟ قلت : إنما جاء الالتفات في صدر السورة ، لأن المقـام يقتـضيه ، فـإن الإلهية تقتضي الخير والشر لتنصف المظلومين من الظالمين ، فكان العدول إلـى ذكـر الاسم الأعظم أولى ،وأما قوله تعالى في آخر السورة :"إنك لا تخلف الميعاد " فذلك المقام مقام الطلب للعبد من ربه أن ينعم عليه بفضله ،وأن يتجاوز عن سيئاته ، فلم يكن فيه ما يقتضي العدول عن الأصل المستمر[5]

شروطه :

قال الزركشي :" وشرطه أن يكون الضمير في المتلفت إليه عائدا في نفس الأمـر إلى المتلفت عنه "[6]ونبه الزركشي إلى أنه يقرب من الالتفات نقل الكلام إلى غيره ، وهو في أقسام وهي :

1- الانتقال من خطاب الواحد لخطاب الاثنين نحو قولـه تعـالى :" أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكمـا الكبريـاء فـي الأرض "[7].

---

[1] - فصلت ، الآيتان 11،12
[2] - مريم ، الآيتان : 88،89
[3] - آل عمران ، الآية 09
[4] - آل عمران : الآية 09
[5] - ينظر البرهان ،ج3،ص 207
[6] - المصدر نفسه ، ص 197
[7] - يونس ، الآية :78

2- من خطاب الواحد إلى الجمع ، نحو قوله تعالى :"يأيها النبي إذا طلقتم النساء "[1].

3- من الاثنين إلى الواحد ، نحو قوله تعالى "فمن ربكما يا موسى "[2]

4- من الاثنين إلى الجمع ، نحو قوله تعالى :"وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبـوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبـشر المؤمنين"[3].

5- من الجمع إلى الواحد : نحو قوله تعالى :"وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين "[4].

6- من الجمع إلى التثنية ، نحو قوله تعالى :"يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا "[5]

وقوله تعالى : "فبأي آلاء ربكما تكذبان "[6]

7- ذكر بعضهم من الالتفات تعقيب الكلام بجملة مستقلة ملاقية له في المعنى علـى طريق المثل أو الدعاء ، نحو قوله تعالى :"وزهـق الباطـل إن الباطل كان زهوقا "[7] وقوله تعالى :"ثـم انـصرفوا صـرف الله قلوبهم "[8].

8- من الماضي إلى الأمر ،نحو قوله تعالى :" قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه"[9].

9- من المستقبل إلى الأمر ، تعظيما لحال من أجرى عليه المستقبل ، وبالضد مـن ذلك في حق من أجرى عليه الأمر ، كقوله تعالى :"يا هـود مـا جئتنا ببينة"إلى قوله :" برئ مما تشركون"

---

[1] - الطلاق ، الآية 01
[2] - طه ، الآية 49
[3] - يونس ، الآية : 87
[4] - يونس ،الآية: 87
[5] - الرحمن ،الآية :33
[6] - الرحمن ' الآية :34
[7] - الاسراء ، الآية :81
[8] - التوبة ، الآية :127
[9] - الأعراف ، الآية :29

10- من الماضي إلى المستقبل ، نحو قوله تعالى :" والله الذي أرسل الرياح فتثير "[1]

11- عكسه (من المستقبل إلى الماضي) ، نحو قوله تعالى :" ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم "[2]

لقد بدا لنا من خلال الحديث عن أسلوب الالتفات عند الامـام الزركـشي أن الالتفات من خلال الأساليب البلاغية ذات المستوى العالي ، الذي لا يتقنه إلا البلغاء مـن العرب ، والنبهاء ممن تشربوا البلاغة العربية ، وملكوا ناصيتها ، وتفننوا فـي طرائـق استخدام أساليبها.

وعلى الرغم من أن الزركشي سار في معالجة الالتفات على نهج من سبقه من البلاغيين إلا أن ذلك لم يقعد به على أن يدلي بدلوه ، ويجيل نظراته الثاقبة في هذا الباب ويأتي لنا بفوائد جديدة جمة منها:

- اشتراطه الصلة بين المعنى الملتفت إليه والملتفت منه (وهو نقل معنـوي لا لفظي)[3].
- المحافظة على الصلة النفسية بين الالتفات وقيمته البلاغية.
- الالتفات يثير السامع وينشطه.
- الالتفات بتنوعه وانتقاله من أسلوب إلى أسلوب يحدث لذة ذهينة لدى المتلقى ويدفع عنه الملل والضجر ، خلاف السير على أسلوب واحد ، ورتابة نمطية موحدة.

---

1 - فاطر ، الآية :09
2 - الكهف ، الآية : 47
3 - البرهان ، ج3 ، ص 197

التجنيس (الجناس)

الجناس من المحسنات اللفظية التي تزين اللفظ ، وتلبسه حللا قشيبة جميلة يكون لها بالغ الأثر في النفوس ، فتستميل إليها السامع ، وتجعله يتلذذ بنغماتها العذبة كما تضفي على العبارة جمالا ورونقا لسهولة وقعها على الأذن ؛ مما يجعلها مستساغة مقبولة ذات تأثير وتأثر ، وتقع من القلوب موقعا حسنا .

ولذلك يقول عبد القاهر الجرجاني :"وعلى الجملة فإنك لاتجد تجنيسا مقبولا ، ولا سجعا حسنا ،حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه ، وحتى تجده لا تبتغي به بدلا، ولا تجد عنه حولا،ومن ههنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه ، وأحقه بالحسن وأولاه ، ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه ، وتأهب لطلبه"[1]

فالجناس الحسن من منظور الشيخ عبد القاهر الجرجاني ما كان مطبوعا غير متكلف ، طلبه المعنى ولم يطلبه اللفظ.

وللجناس دلالات وتعريفات كثيرة ومتعددة عند علماء البلاغة ، وإن كان أغلبها يتفق على أن الجناس هو توافق اللفظتين في النطق ، واختلافهما في المعنى . ولذلك عرفه ابن الأثير بقوله :" وحقيقته أن يكون اللفظ واحدا ، والمعنى مختلفا"[2].

وهذا التعريف الذي قدمه ابن الأثير للجناس ، وحسب استقرائنا لجملة من التعاريف الأخرى ،ألفيناه أكثر تحديدا وشمولا من غيره . فمثلا القزويني يعرفه بقوله :" الجناس بين اللفظين ، وهو تشابههما في اللفظ "[3].

ونظرا لما يحققه الجناس من جماليات وآثار في الإبداع والمتلقي على حد سواء ، ألفينا البلاغيين اعتنوا بالجناس عناية فائقة ، لما له من قيمة تعبيرية في تشكيل الصياغة الأدبية سواء أكان ذلك على صعيد المنظوم ، أم المنثور . حيث نجد أن الجناس ورد في القرآن الكريم ، والهدي النبوي الشريف ، والشعر العربي ولم يخل منه لون من ألوان الإبداع .

---

1 - عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ،تح مصطفى شيخ مصطفى ، ميسر عقاد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط1 ، 2007 ، ص 14،15

2 - ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تح ، محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة الباب الحلبي ، مصر ، 1939م (د ط) ، ص 246

3 - الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 431

ويعتبر ابن المعتز أول من تناول هذه الظاهرة الفنية في كتابه البديع ، ومثل لها بـشواهد كثيرة ومتنوعة.

التجنيس عند الزركشي :

عد الزركشي الجناس من المحسنات اللفظية لا المعنوية ، حيث يقول :"اعلم أن الجناس من المحاسن اللفظية لا المعنوية ، ولهذا تركوه عند قـوة المعنـى بتركـه "[1] ، فالزركشي يوضح أن الجناس من المحسنات اللفظية ، لـيس مـن المحـسنات البديعيـة المعنوية ، لأن هناك من زعم أن الجناس محسنا لفظيا ومعنويا في آن ، واصطلح علـى بعض أنواع الجناس بالجناس المعنوي .

لكن جمهرة العلماء تعد الجناس من المحسنات اللفظية لا المعنوية.

والزركشي في مبحث الجناس لم يعرفه ، وإنما اكتفى بالتطبيق ، وإيراد الشواهد القرآنية على بعض من أقسامه ، ومن الأقسام التي استدل عليها مايلي :

1- الجناس التام .
2- الجناس الناقص.
3- الجناس المضارع .
4- الجناس اللاحق .
5- الجناس المصحف .
6- جناس الاشتقاق.

1- الجناس التام :

وهو أن تتفق اللفظتان في أربعة أمور ، وهي : نوع الحـروف ، وعـددها وهيأتها ، وترتيبها .

[1] - الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج3 ، ص 277

وعبر عنه بقوله : وهو إما بأن تتساوى حروف الكلمتين "[1] نحو قوله تعـالى : ويـوم تَقُوم الساعةُ يقْسِم الْمجرِمون ما لَبِثُوا [2].

وأخطأ في تسمية الجناس ، بأنه جناس تام ، في قوله تعالى : ولَقَد أَرسلْنَا فِيهِم منذِرِين فَانظُر كَيفَ كَان عاقِبةُ الْمنذَرِين [3] فهذا ليس جناسا تاما كما قال الزركشي ، بـل هـو جناس محرف ؛ لأن الجناس المحرف : هو اختلاف في هيئة الحروف ، فالأولى مفتوحة " الذال " ويقصد بها الرسل ، والثانية مكسورة "الذال " ويعني بها الأمم والأقوام[4] .

2- الجناس الناقص :

وهو ما عبر عنه بقوله : وإما بزيادة في إحدى الكلمتين

كقوله تعالى : والْتَفتِ الساقُ بِالساقِ إِلَى ربك يومئِذٍ الْمساقُ [5].

3- الجناس اللاحق :

وهو ما عبر عنه بقوله : وإما بزيادة إحدى الكلمتين[6] كقوله تعالى : وإِنه علَى ذَلِك لَشَهِيد وإِنه لِحب الْخَيرِ لَشَدِيد [7] ويكون فيه الحرفان مختلفين في المخرج.

4- الجناس المعارض :

ويكون فيه الحرفان المختلفان متقاربين في المخرج . نحـو قولـه تعالى : وجوه يومئِذٍ نَاضِرةٌ إلى ربها ناظِرة [8].

---

[1] - البرهان ، ج3 ، ص 275
[2] - الروم ، الآية : 55
[3] - الصافات ، الآية 72،73
[4] - البرهان ، ج3 ، ص 275
[5] - القيامة ، الآيتان : 29،30
[6] - البرهان ، ج3 ، ص 275
[7] - العاديات ، الايتان : 7،8
[8] - القيامة : الايتان :22،23

وقوله تعالى : وهم ينْهون عنْه وينْأون عنْه [1].

وقوله تعالى: ذَلِكُم بِما كُنْتُم تَفْرحون فِي الأرضِ بِغَيرِ الْحقّ وبِما كُنْتُم تَمرحونُ [2].

وعدها من الجناس اللاحق ، ولكنها في حقيقة أمرها من الجناس المضارع .

5- الجناس المصحف :

وهو ما عبر عنه بقوله : وإما في الخط ، وهو أن تشبيها في الخط لا اللفظ[3] ، وهو ما تماثل اللفظان في الخط ، وتخالفا في النقط .

ومثل له بقوله تعالى : وهم يحسبون أَنهم يحسِنُون صنْعا [4]

6- جناس الاشتقاق :

وهو ما عبر عنه بقوله :" وهو أن تكون الكلمات يجمعهـا أصـل واحد في اللغة "[5]

كقوله تعالى : فَأَقِم وجهك ِللدين الْقَيم [6]

وقوله تعالى : فَروح وريحان [7].

وقوله تعالى : وجنَى الْجنتَين دانٍ [8].

وفي باب التأكيد على أن الجناس من المحسنات اللفظية لا المعنوية ، وأن الجناس يترك عند قوة المعنى ، يشير الزركشي إلى لطيفة من اللطائف يؤكد من خلالها هذه

[1] - الأنعام ، الآية : 26
[2] - غافر ، الآية :75
[3] - البرهان ، ج3 ، ص 276
[4] - الكهف ، الآية : 104
[5] - البرهان ، ج3 ، ص 276
[6] - الروم ، الآية : 43
[7] - الواقعة ، الآية :89
[8] - الرحمان ، الآية 54

القضية :يقول تعالى : وما أَنْتَ بِمؤْمِنٍ لَنَا ولَو كُنا صادِقِينٍ [1] قال : معناه :وما أنت بمصدق لنا ولوكنا صادقين "، فإنه يؤدي معنى الأول مع زيادة رعاية التجنيس اللفظي؟.

والجواب أن في " مؤمن لنا " من المعنى ما ليس في " مصدق " وذلك أنك إذا قلت "مصدق لي " فمعناه : قال لي : صدقت ، وأما "مؤمن " فمعناه مع التصديق إعطاء الأمن ، ومقصودهم التصديق وزيادة ، وهوطلب الأمن ؛ فلهذا عدل إليه .

فتأمل هذه اللطائف الغريبة ، والأسرار العجيبة ، فإنه نوع من الإعجاز [2]

ومن الفوائد التى ذكرها الزركشي ، ما قاله الخفاجي :" إذا دخل التجنيس نفي عد طباقا . كقوله تعالى : قُلْ هلْ يستَوِي الذِين يعلَمون والذِين لا يعلَمونٍ [3] وفي هذا يختلط التجنيس بالطباق .

خلاصة القول :

لجوء الزركشي إلى التطبيق والاكتفاء بالشواهد ، دون الاهتمام بالتنظير ، كان عن قصد ؛ لأن الغاية التي يسعى إليها من خلال المصطلح البلاغي تكمن في الكشف عن أسرار الجمال في أي الذكر الحكيم ، وكذا الوقوف على جوانب إعجازه.

ومن هنا فالجناس ليس من قبيل الترف اللغوي ، أو التلاعب بالألفاظ ، أو التفنن في توليد الجمل وصناعتها ، أو محسنا خارجيا إضافيا ، وإنما هو أسلوب فني جمالي في التعابير ، يضيف معاني جديدة إلى الأفكار ، ويزيد في جماليات العبارة.

ولتحقيق الجانب الفني والمتعة الجمالية للجناس في التعابير الإبداعية ، لا بد من الاستخدام الدقيق لهذا المحسن ، ووضعه في التعبير المناسب ، بحيث يحافظ على تأثيره في المتلقي والإبقاء على صيرورته ، وفاعليته ، ولن يتأتى له ذلك إلا بمراعاة الآتي :

1- الاقتصاد في استخدام الجناس بحسب ما يقتضيه السياق والمعنى المعبر عنه.

2- السهولة والابتعاد عن التكلف والتعسف.

3- أن يكون صادرا عن قريحة فياضة ، وذوق رائع ، وحس مرهف.

---

[1] - يوسف:الآية :17
[2] - البرهان ، ج3 ، ص 278
[3] - الزمر ، الاية :9

4- أن يصبو الجناس إلى تشكيل الصورة الفنية الأدبية ، والجانب الصوتي بموسيقاه الداخلية .

رد العجز على الصدر

أول من أشار إلى مصطلح رد العجز على الصدر ابن المعتز في كتابه " البديع "إذ لا نكاد نقف له على مثيل في المحاولات البلاغية السابقة عليه ، وسماه "رد أعجاز الكلام على ما تقدمها "[1].

ولم يقدم ابن المعتز تعريفا له ، وإنما اكتفى بتقسيمه إلى ثلاثة أقسام ، مشفعا إياها بشواهد متنوعة.

أما الأقسام الثلاثة التي ذكرها لهذا الفن هي :

1- توافق آخر كلمة في البيت آخر كلمة في نصفه الأول :

نحو قول الشاعر :

تلقى إذا ما الأمر كان عرمرما   في جيش رأى لايفل عرمرم

2- توافق آخر كلمة في البيت أول كلمة في نصفه الأول :

مثاله قول الشاعر :

سريع إلى ابن العم يشتم عرضه   وليس إلى داعي النّدى بسريع

3- توافق آخر كلمة في البيت بعض مافيه ، ويقصد ب (بعض ما فيه) أول كلمة في النصف الثاني من البيت .

نحو قول الشاعر :

عميد بني سليم أقصدته   سهام الموت وهي له سهام

[1] - ينظر ابن المعتز ، كتاب البديع ، ص 47

ومن خلال القسمة التي أوردها ابن المعتز لما يتعلق ب"رد العجز على الصدر " يتبين أنه قصره على المنظوم دون المنثور . لكن جمهور العلماء وعلى رأسهم الخطيب القزويني أثبتوا أن " رد العجز على الصدر " يرد في المنظوم والمنثور على حد سواء.

يقول القزويني و " رد العجز على الصدر " هو في النثر أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين ، أو الملحقين بهما في أول الفقرة ، والآخر في آخرها "[1].

وعرفه البلاغيون بقولهم :"إرجاع العجز للصدر " ، بأن ينطق به كما نطق بالصدر ...ولا يستغنى أحدهما عن الآخر "[2].

ورد الصدر على العجز هو لون من ألوان المماثلة اللفظية قوامه أن يرد المتكلم أعجاز الكلام عن صدوره ، فيرد بعضه على بعض .ويقع في المنظوم والمنثور.

ومثاله من منثور العرب قول العرب :"القتل أنفى للقتل "

أما المنظوم فقد مثلنا له سلفا.

وأشار النقاد إلى أن رد الصدر على العجز من أقوى درجات تماسك النص في الشعر القديم .

رد العجز على الصدر وعكسه عند الزركشي :

اكتفى الزركشي بالتمثيل له بشواهد قرآنية ،دونما إيضاح أو تفسير ، وقد يكون ذلك حسب اعتقادنا إشراكا للمتلقي حتى يتدبر ، و يتأمل .

من الشواهد التي ذكرها :

قال تعالى: خُلِقَ الإنسان مِن عجلٍ سأُريكُم ءاياتِي فَلا تَستَعجِلُون [3].

وقوله تعالى : وحرم علَيكُم صيد الْبر ما دمتُم حرما [4].

وعكسه نحو قوله تعالى : لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن [5].

[1] - الإيضاح ، ص 438،439
[2] - الدسوقي ، حاشية الدسوقي ضمن شروح التلخيص ، دار السرور ،بيروت ،(د ت) ، (د ط) ،ج4،ص 433
[3] - الأنبياء ، الآية :37
[4] - المائدة ، الآية : 96
[5] - الممتحنة ، الآية :10

وقدره الزمخشري ، أي لا حل بين المؤمن والمشرك ،والآية صرحت بنفي الحل مـن الجهتين ، فقد يستدل بها من قال : إن الكفار مخاطبون بالفروع [1].

ومثله قوله تعالى : لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وطَعام الذِين أُوتُوا الْكِتَاب حِل لَكُم وطَعامكُم حِل لَهم [2] أي ذبائحكم وهذه رخصة للمسلمين.

وارد العجز على الصدر وعكسه جماليات عديدة ، لعل من أبرزها اثنتان وهما :

1- إحداث إيقاع موسيقى يترك بالغ الأثر في النفس .

2- إحكام الربط والسبك بين أجزاء البيت ،أوالفقرة.

وتأسيسا على ما سبق ذكره من محسنات بديعية عند الإمام الزركشي مـن خـلال كتابه البرهان في علوم القرآن ، يمكن أن ندرك القيمة الجمالية للمحـسنات ، فهـي ذات علاقة بتحسين إيقاعات الكلام ، وتجويده ، وتلطيف أنغامه ، وتناسب مقاطعه ، وانسجام أجراسه ، وهي ذات أثر في الإيضاح ، عند تعرض المتمـاثلات والمتـضادات فتـشحذ الأذهان على عمل المقارنات والمقاربات ، وهي ذات أثر تشويقي منشط ، عندما تـدفع الذهن لتوقع صورة الكلام . وهي بعد ذلك أداة لإضافة الحيوية علـى الكـلام ، ونفـي الجمود عنه.

[1] - البرهان ، ج3 ، ص 286

[2] - المائدة ، الآية :05

الفصل الخامس

قضية الأسجاع والفواصل في القرآن

المبحث الأول : السجع في القرآن

- ماهية السجع
- أضرب السجع ومراتبه
- السجع بين الرفض والإثبات
- في آراء الرافضين
- من آراء المثبتين
- رأي الزركشي
- القيمة التعبيرية للسجع
- خلاصة

المبحث الثاني : الفاصلة في القرآن

- ماهية الفاصلة
- إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل
- أقسام الفاصلة
- طريق معرفة الفاصلة
- مبنى الفواصل على الوقف
- ائتلاف الفواصل مع مضمون الآيات

أ - التمكين

ب - التصدير

ت - التوشيح.

ث - الإيغال

- من فوائد الفاصلة القرآنية
- الجديد عند الزركشي في مبحث الفواصل
- جماليات الفاصلة القرآنية
- خلاصة

السجع في القرآن:

ماهية السجع:

لاشك أن السجع ظاهرة أدبية فنية جمالية قديمة في الأدب العربي ، ظهرت قبل أن تؤسس البلاغة العربية ، والسجع ظهر مع الكهنة.

ويشكل السجع مظهرا ـ بالأهمية بمكان ـ للكتابة العربية ، شهد على قدمة السجع في الأدب العربي الناقد جولد تسهير حيث يقول :"أن السجع هو أقدم نماذج الكلام الشعري في اللغة العربية ، وأنه ليسبق زمنيا الرجز والقصيدة "[1].

والسجع يعتبر من المظاهر التي اتسمت بها الكتابة العربية ، وميزها عن غيرها من لغات وإبداعات الأمم الأخرى ، والى هذا أثار ديفن قائلا : :"فإن السجع يشكل ملمحا في غاية الأهمية من ملامح الكتابة العربية ، سواء في ذلك الأدب الراقي والأدب الشعبي"[2] .

ومن ثم ألفينا السجع يحتل مكانة مرموقة ، ومنزلة سامقة في الجاهلية وكان أغلب كلام العرب في الجاهلية يحتفي بالسجع الجميل ، لأنه كان يصدر عن طبع أصيل ،وسليقة صافية ، وفطرة واضحة .

وإلى جانب هذا السجع المطبوع الجميل الصافي ألفينا سجعا متكلفا متـصنعا ، ينم عن فساد الطبع ، وضعف في السليقة ، وهذا ما عرف بسجع الكهان الذي نهى عنـه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك لأن الكهنة يزعمون معرفة الغيب ، ويحتالون على الناس بمثل هذا الكلام المسجوع .

---

[1] - ديفن ج سيتوارت ، السجع في القرآن ، تر،د.ابراهيم عوض، مكتبة زهراء الشرق ،القاهرة ،1998م (ب ط)، ص 07
[2] - المرجع نفسه ،ص05

وإلى جانب هذا أيضا ظهر سجع أخر أكثر سماجة ، وإغراقا في الضلال والكذب وهـو سجع المتنبئين من أمثال : مسيلمة الكذاب ، وغيره.

إذا فما هو السجع لغة واصطلاحا؟

السجع لغة :

مصطلح السجع في اللغة مشتق من لفظـة (س،ج،ع) الثلاثيـة ، وتقـدم لنـا معجمات اللغة لفيفا من المعاني التي توجهنا إلى أصل اشتقاقه ؛بحيث تكاد يتشبه بعـضها ببعض .

يقول ابن منظور في معجمه لسان العرب :

سجع ،يسجع ، سجعا : استوى واستقام وأشبه بعضه بعضا [1].

ويقول ابن سيدة في معجمه المحكم والمحيط الأعظم :

سجع ،يسجع ، سجعا : استوى واستقام ، وأشبه بعضه بعضا

وسجع الحمام يسجع سجعا : هدل على جهة واحدة ...إلخ[2] .

وجماع القول في لفظة السجع من خلال معجمات اللغة العربية تكاد تتفق على **أن السجع لغة** بمعنى :

- الاستواء والاستقامة.
- يشبه بعضه بعضا.

[1] - ابن منظور ،لسان العرب ،مادة (سجع) تح عبد الرحمان محمد قاسم النجدي / دار صادر بيروت 1992 ، ط1

[2] - ابن سيدة ، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ، تح مصطفى السقا ، وحسين نصار ، مكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي ، القاهرة ط1(د ت) ، مادة (س،ج،ع)،ج1،ص178

السجع اصطلاحا:

أورد علماء البلاغة تعاريف جمة ومتنوعة لمصطلح السجع من الناحية الاصطلاحية اختلفت لفظا وعبارة ، واتفقت مضمونا ومعنى.

ومن هذه التعاريف ماذهب إليه ابن الأثير حيث عرفه بقوله :"السجع هو تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد"[1]

وعرفه القزويني بقوله :"السجع هو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد وأضاف :"وهذا معنى قول السكاكي : الأسجاع في النثر كالقوافي في الشعر"[2].

ومن خلال هذين التعريفين نستشف أن السجع خصيصة من خصائص النثر،وليس من خصائص الشعر ،خلاف ما يذهب إليه بعض البلاغيين ، حيث أشركوا الشعر في ذلك ، ورأوا أن السجع من خصائص الشعر أيضا

أضراب السجع ومراتبه :

قسم البلاغيون السجع باعتبار الوزن إلى أربعة أضرب :

1**- المرصع :** وهو ما اتفقت فيه ألفاظ الفقرتين أو أكثرها في الوزن والتقفية، نحو قوله صلى الله عليه وسلم :"اللهم أعط منفقا خلفا وأعط ممسكا تلفا"[3].

نحو قوله تعالى : ﴿إن الأبرار لَفي نَعِيمٍ وإن الفُجار لَفي جحِيمِ﴾[4].

2**- المتوازي** : وهو ما اتفقت فيه الفقرتان في الكلمتين الأخيرتين ، نحو قوله تعالى : ﴿فِيها سرر مرفُوعةٌ وَأَكْواب موضوعةٌ﴾[5].

---

[1] - ابن الأثير ، المثل السائر ،تج ، محمد محي الدين عبد الحميد ،المكتبة العصرية ،بيروت لبنان ،1995،(د ط)،ج1،ص95

[2] - الخطيب القزويني ،الإيضاح في علوم البلاغة ، شرح وتعليق ،د/عبد المنعم خفاجي/ط3 ،1971م ، ص 547

[3] - مسلم ، صحيح مسلم ،تج :محمد فؤاد عبد الباقي ،دار أحياء التراث العربي ، بيروت ،لبنان ،ط1995م ،ج1 ص700

[4] - الإنفطار ،الآيتان 13،14

[5] - الغاشية ، الآيتان 13،14

3**- المطرف** : وهو ما اختلفت فاصلتاه في الوزن واتفقتا في الحرف الأخير، نحو قوله تعالى: ما لَكُم لا تَرجون لِلهِ وقَارا وقَد خَلَقَكُم أَطْوارا [1] .

4**- المتوازن** : وهو اتفاق الفاصلتين في الوزن دون التقفية .

نحو قوله تعالى : ونَمارقُ مصفُوفَةٌ وزرابِيّ مبثُوثَةٌ [2] .

وقسمه البلاغيون من حيث الطول والقصر إلى ثلاثة أقسام :

1- سجع قصير : وهو أن تكون كل واحدة من السجعتين مؤلفة من ألفاظ قليلة :

- نحو قوله تعالى : والْمرسلاتِ عرفًا * فَالْعاصِفَاتِ عصفًا [3].

- وقوله تعالى : يا أيها المدثر قم فأنْذر وربك فكبر وثيابك فطهر [4].

وعد علماء البلاغة السجع القصير من أجود أنواع السجع ، وكذا من أو عرها مسلكا ، وأصعبها تناولا ، لأن السجع إذا صيغ بألفاظ قصيرة ، صعب فيه الإتيان بالسجع لقصر تلك الألفاظ ، لذلك يقول عبد القادر حسين مبينا صعوبة السجع القصير :"والقصير هو أصعب أنواع السجع مسلكا ،وأطيبها على السمع وأخفها على القلب ؛لأن الألفاظ إذا كانت قليلة ، فهي أحسن وأرق ، لقرب فواصلها ، والتحام أطرافها "[5].

ومن هنا يتضح أن السجع القصير يدل على مدى تمكن المتفنن في الصناعة ، وقدرته على الإبداع ،وغير خاف ما لقلة الألفاظ من جماليات تنبي عن رقة الفواصل والتحام أجزائها ، ومدى وقعها وتأثيرها في النفوس.

---

[1] - نوح ، الآيتان 13،14

[2] - الغاشية : الآية 15،16

[3] - المرسلات ، الآيتان 1،2

[4] - المدثر ، الآيات 1،2،3،4

[5] - د، عبد القادر حسين ، فن البديع ، دار الشروق ، بيروت ،(د ت) (د ط) ،ص 128

2- السجع المتوسط: وهو أن يكون الفصل الثاني أطول من الأول طولا ولايخرج به عن الاعتدال خروجا كثيرا.

نحو قوله تعالى : اقْتَربتِ الساعةُ وانشَق الْقَمر وإِن يروا آيةً يعرِضوا ويقُولُوا سِحر مستَمِر [1]

3- السجع الطويل : وهو خلاف الأول ، نحو قوله تعالى : لَقَد جاءكُم رسولٌ من أَنفُسِكُم عزِيز علَيهِ ما عنِتم حرِيص علَيكُم بِالْمؤْمِنين رؤُوفٌ رحِيم فَإِن تَولَّواْ فَقُلْ حسبِي اللّه لا إِلَـه إِلا هو علَيهِ تَوكَّلْتُ وهو رب الْعرشِ الْعظِيمِ [2].

ومن العلماء من قسم السجع من حيث الطول والقصر إلى قسمين:

1- قصير .

2- طويل .

ومن هؤلاء ابن الأثير حيث لخص كلامه في السجع طولا وقصرا ، مصنفا إياه إلى صنفين :

أ- **سجع قصير** :

وفيه تكون كل واحدة من السجعتين مؤلفة من ألفاظ قليلة ، وكلما قلت الألفاظ ، كان أحسن لقرب الفواصل المسجوعة من سمع السامع ..

ب- **سجع طويل** :

وهو ضد الأول ؛لأنه أسهل متناولا ، وإنما كان القصير من السجع أوعر مسلكا من الطويل ،لأن المعنى إذا صيغ بألفاظ قصيرة عز مواتاة السجع

---

[1] - القمر ، الآيتان :1،2

[2] - التوبة ، الآيتان :129،130

فيه لقصر تلك الألفاظ وضيق المجال في استجلابه ، وأما الطويل ، فإن الألفاظ تطول فيه ، ويستجاب له السجع [1]

ومهما يكن من أمر فيما يتعلق بتقسيم السجع من حيث الطول والقصر فإن القصير هو الأجود بإجماع العلماء.

والسجع من حيث الأضرب صنفه العلماء إلى مراتب ومنازل ، فلاحظوا أن : المرصع يأتي في المرتبة الأولى ويليه المتوازن في المرتبة الثانية ، ثم المتوازي في المرتبة الثالثة ، والمطرف في المرتبة الأخيرة .

كما ميزوا السجع من حيث تساوي القرائن أو اختلافها إلى :

1- قرينتين متساويتين لاتزيد إحداهما عن الأخرى : نحو قوله تعالى : فَأَما الْيَتِيم فَلا تَقْهر * وَأَما السائِلَ فَلا تَنْهر [2].

2- قرينتين الثانية منهما أطول من الأولى :كقوله تعالى : بَلْ كَذبوا بِالساعة وأعتَدنَا لِمن كَذب بِالساعةِ سعِيرا إِذَا رأَتْهم مِن مكَانٍ بعِيدٍ سمِعوا لَها تَغَيظًا وزفِيرا وإِذَا أُلْقُوا مِنْها مكَانًا ضيقًا مقَرنِين دعوا هنَالِك ثُبورا [3]

3- قرينتين الثانية منهما أقصر من الأولى : وهو في نظر البلاغيين عيب في التعبير ؛ لأن السامع يكون قد استوفى أمده في القرينة الأولى بحكم طولها ، ثم تجئ الثانية قصيرة ، فتكون مبتورة يقطع الإنسان عند سماعها ، فيتهيأ نفسيا للوصول إلى غاية معينة ، ثم يتعثر دونها.

---

[1] - ينظر ، المثل السائر ،ج1 ،ص 236
[2] - الضحى ،الآيتان : 9،10
[3] - الفرقان ،الآيات 11،12،13

السجع في القرآن بين الرفض والإثبات :

الفواصل القرآنية من الموضوعات الشائكة التي دار حولها جدل ونقاش شديدان قديما وحديثا ، وتصدى لهذا الموضوع لفيف من خيرة علماء الأمة ومدار الخلاف أن هؤلاء العلماء حاولوا ربط الفواصل القرآنية بقضية السجع .مما أدى إلى تباين وجهات النظر ، وترتب عن ذلك انقسام هؤلاء العلماء
إلى فريقين:

فريق يرى أن السجع لا يقع في القرآن ، وما جاء في القرآن ، فهو من قبيل الفواصل ، وفريق آخر : يرى أن السجع واقع في القرآن الكريم ، كما أن الفواصل واقعة فيه أيضا . ومن العلماء القائلين بعدم وقوع السجع في القرآن الرماني (ت 386ه) ،والذي يعد من خيرة علماء القرن الرابع الهجري ، فهو يرى أن الفاصلة القرآنية تعد من قبيل البلاغة العالية التي اتصفت بها آيات القرآن وليست مجرد إيقاعات وأجراس صوتية لاتخرج عن السجع وألوانه ، فأبان أن مثل هذا الحكم يعد خطأ شنيعا ، وشططا في الفهوم يخرجها عن جمال بلاغة القرآن وروعته ، وفي هذا يقول الرماني : " الفواصل بلاغة والأسجاع عيب ذلك أن الفواصل تابعة للمعاني ، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها "[1].

ومن المنكرين لوقوع السجع في القرآن الباقلاني حيث يقول :"لو كان القرآن سجعا لكان غير خارج عن أساليب كلامهم "[2]

فنفاة السجع أسسوا رؤيتهم على أن السجع ارتبط بالكهان في الجاهلية وعرف كلامهم بسجع الكهان ، ورأوا أن الكهنة استغلوا السجع في إحقاق الباطل ودحض الحق ، واستغلال حاجات الناس ، ويبقى نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن السجع هو السبب

[1] - الرماني ، النكت في إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز ، ص 90
[2] - المصدر نفسه ، ص 111

الرئيس في كراهة السجع ونفيه من القرآن الكريم عند هؤلاء وطريقة فهمهم وتخـريجهم لهذا الحديث ، والحديث النبوي الشريف قصته "أن حمل بن مالك بن التابغة كان قد تزوج بامرأتين : يقال لإحدهما مليكة بنت ساعدة ، وللأخرى : أم عفيفـة بنـت مـسروح: ، فتعايرتا كما هو الشأن دائما بين الضرتين ، فضربت أم عفيفة مليكة بمسطح بيتهـا ، أو بعمود فسطاطها ، وهي حامل فألقت جنينها ورفعت قضيتها إلى النبي صـلى الله عليـه وسلم ، فقضى على عاقلة الضاربة بغرة ؛ عبد ، أو أمة . فقال أخوها العلاء بن مسروح يا رسول الله أتغرم من لا أكل ، ولا شرب ، ولا نطق ، ولا استهل فمثل هذا يطل ؟"[1] فقال عليه السلام : أسجع كسجع الجاهلية ؟ ويروى قول النبي صـلى الله عليـه وسـلم بروايات عدة .

ويبدو أن العلاء بن مسروح كان يتشادق بقوله المسجوع ، ويعترض من خلاله على حكم النبي صلى الله عليه وسلم .

والأشاعرة اتخذوا من هذه القصة متكألهم ،استندوا عليه في تسويغ موقفهم الرافض لوقوع السجع في القرآن.

أما الفريق المثبت للسجع في القرآن ، وقفوا عند حديث رسول الله صلى الله عليه وسـلم :"أسجع كسجع الجاهلية " موقف المتدبر المدقق ، فتوصلوا إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، لم ينف السجع على الإطلاق ، وإنما قيد كراهة السجع وذمه إذا كان صادرا عن الكهنة .

وتأسيسا على ما سبق يمكن القول : أن السبب الرئيس في قضية نفي السجع ، أو وقوعه في القرآن ؛اختلاف العلماء في تخريج هذا الحديث ، وتباين الفهوم إزاءه.

وقد قدم النفاة للسجع والمثبتون حججا وأدلة يؤيدون وجهـات نظـرهم ، وهـذه الأدلـة والحجج مبثوثة في ثنايا الكتب ، ولذلك لن أطيل في سرد تلك الآراء وأدلتهـا ، وإنمـا أوجز أهمها مع بيان الرأي الأمثل فيها .

[1] - مسلم ،صحيح مسلم ،تح ، محمد فؤاد عبد الباقي ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت ط1 1995م ،ج3 ، ص 1309

أولا : من حجج المانعين :

- استند المانعون إلى أن السجع منهي عنه شرعا ، وحجتهم في ذلك قول المصطفى صلى الله عليه وسلم لذلك الساجع في قضية المرأتين المشار إليها سلفا.
- السجع مقصود لذاته ، وذلك أن المعنى يتبع فيه اللفظ ، فتلوح عليه أمارات التكلف والتعسف .
- لوصح أن في القرآن سجعا لكان مذموما.
- لوصح ورود السجع فيه لم يكن معجزا ؛ لأنه يكون جاريا علـى أسـاليب كـلام العرب ، لو جاز أن يقال : هو سجع معجز لجاز أن يقال :هو شعر معجز.
- السجع كان يتعاطاه الكهان من العرب ، وإذا كان الله قد نفى الشعر عن كتابه ،فإن نفي السجع أولى ؛لأن الكهانة تنافي النبوات.

وأغلب هذه الأدلة والحجج وغيرها أوردها الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن في باب نفي السجع عن القرآن .

ثانيا : من حجج المجيزين :

- ورود السجع بكثرة في القرآن الكريم ، بل إن بعض الـسور قـد جـاءت كلهـا مسجوعة على حرف واحد ، كسورة "النجم " و "القمر " و "الرحمن " وغيرها.
- وجود السجع في القرآن لا ينفي الإعجاز عنه ؛ لأن في القرآن فنونا أخرى مـن أساليب العرب في كلامهم ؛ (كالاستعارة ، والتطبيق ، والكنايـة ، والجنـاس) وغيرها ، ولم يقل أحد بنفي شيئ منها.
- كل ما جاء في القرآن من سجع ، فهو من الطبقة العليا في الفـصاحة والبلاغـة والقوة ،والصفاء ، والجمال، سواء المتحد الفواصل منه ، والمتقارب .

- لوكان القرآن نازلا على غير أساليب العرب لما صح أن يتحدوا به ، ولما كان للإعجاز حينئذ معنى ... وغيرها من الأدلة.

من خلال هذه الحجج والأدلة والأسباب لكل من المانعين ، والمجيزين لقضية السجع في القرآن ؛ تبين ، ودون مراء ، وإحقاق الحق الذي لامرية فيه أن تسمية بعض صور التعبير في القرآن العظيم سجعا لجريها على ما وضعوه من ضوابط أمر مسلم ، ولا جدال فيه . أما الفرار من ذلك إلى التسمية بالفواصل ، فلا يغير من الواقع شيئا ، إلا أن يكون هذا اصطلاحا آخر سمي به السجع الوارد في القرآن فواصل - فلا مشاحة في التسمية .

رأي الزركشي في قضية السجع في القرآن:

الزركشي من القائلين بوقوع السجع في القرآن ، بدليل أنه فرق بين الأسجاع والفواصل ، وبين أن الأسجاع حروف متماثلة في مقاطع الفصول ، وأن الفصول منها مايكون متماثل الحروف في المقاطع فيكون سجعا ، ومنها ما يكون متقاربا لا متماثلا فلا يكون سجعا ، وكل من المتماثل والمتقارب ؛إما أن يكون عفويا سهلا تابعا لمعناه، وإما أن يكون على الضدين ، ذلك فالأول محمود، والثاني مذموم.[1]

والقرآن ورد فيه القسمان جميعا ؛ المتماثل والمتقارب وكلاهما في القسم المحمود، واستند في ذلك على ما قاله ابن سنان الخفاجي ، ثم بين قول حازم القرطاجي من "أنه كيف يعاب السجع على الإطلاق ، أو إنما نزل القرآن على أساليب الفصيح من كلام العرب ، وإنما لم يجئ على أسلوب واحد ، لأنه لا يحسن في الكلام جميعا أن يكون

[1] - البرهان ، ج1 ، ص 65

مستمرا على نمط واحد لما فيه من التكلف ، ولما في الطبع مـن الملـل عليـه ، ولأن الافتنان في ضروب الفصاحة أعلى من
الاستمرار على ضرب واحد ، فلهذا وردت بعض آي القرآن متماثلة المقاطع وبعـضها غير متماثل "[1].

ومما سبق يتأكد لنا أن الزركشي يقر بوقوع السجع في القـرآن لقولـه: "...وأن الفصول منها ما يكون متماثل الحروف في المقاطع فيكون سجعا "[2]

والزركشي يؤكد وجود السجع في القرآن إلى جانب وجود الفاصلة فيه .

ومن ثم يمكن القول :أن تأكيد وقوع السجع في القرآن ، هو بمثابة تحقيق للفاصلة فيـه ، ولذلك يقول :"والقرآن ورد فيه القسمان جميعا المتماثل والمتقارب وكلاهما فـي القـسم المحمود"[3].

إن الخلاف الواقع بين المانعين لوقوع السجع في القرآن ،والمجوزين ، يعد خلافا شكليا ، مادام الفريقان متفقين على أن الفاصلة تخص القرآن والسجع يخص غيره.

فالفواصل القرآنية منها المسجوع ، ومنها المرسل . ومن هنا يتضح جليـا أن الخـلاف القائم بين المؤيدين والمانعين لا يعدو أن يكون خلافا شكليا ، ويزيـد الـدرس البلاغـي الصوتي ثراء وغنى .

وفي اعتقادنا أن القرآن فيه سجع ، ولكنه يختلف عن السجع البشري المتكلف المـصنوع المذموم ، فهو سجع قمة في التناسق ، وغاية في الانسجام ؛لأنه جاء لتحقيق غاية جمالية من حيث الإيقاع والتناسب والتناغم مما يؤدي إلى إحداث التأثير النفسي لدى المتلقي .

---

[1] - حازم القرطاجي ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تح محمد الحبيب ابن الخوجة ، دار الغرب الاسلامي بيروت ، لبنان ، ط2 ،1981 ، ص 388،389

[2] - ينظر ، البرهان ، ج1 ، ص 65

[3] - المصدر نفسه ، ص ن

وغاية أخرى تجلت في زيادة الإيضاح للمعنى وإبراز الفكرة في أبهى صورها وأزهى رونقها وجمالها .

إن السجع في القرآن لم يكن ضربا من الترف اللغوي ، والبذخ البلاغي إنما هو تأثير ، وإيحاء ، وإيقاع ، وانسجام ، وتجانس ،وجمال ،وزيادة إيضاح .

خلاف ما نلمسه في كثير من التعابير البشرية ؛ لأنه باختصار كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حميد.

من جماليات السجع :

لاشك وأن النفس البشرية تميل بفطرتها إلى الكلام المنسجم المشحون بالإيقاع ، المعتدل في الألفاظ والعبارات ، وغير خاف ما للكلام المتساوي الفواصل من وقع وأثر في النفوس ، ولعل هذه السمات أغلب ما تتوافر في الكلام المسجوع ، الذي يشعر النفس بالراحة ، ويحدث بداخلها جوا من الإثارة واللذة ، وعلة ذلك تناغم الكلام المسجوع ، وانسيابه ، وتناسبه مع إيقاعاته المتوازنة المنسجمة.

يقول ابن الأثير :"وإذا كانت مقاطع معتدلة ، وقعت من النفس موقع الاستحسان ، وهذا لا مراء فيه بالطبع "[1].

ولهذه الخصائص التي يتسم بها الكلام المسجوع كثرت فوائده منها :

1- قدرته على استمالة النفوس والتأثير فيها.

2- الكلام المسجوع أسهل حفظا من غيره ، يقول الجاحظ :" وقيل لعبد الصمد بن المعذل ابن عيسى الرقاشي :لم تؤثر السجع على المنثور، وتلزم نفسك القوافي وإقامة الوزن ؟ قال : إن كلامي لو كنت لآمل فيه إلا سماع الشاهد لقل خلافي عليك ، ولكني أريد الغائب ، والحاضر ، والراهن ، فالحفظ إليه أسرع ، والآذان لسماعه أنشط ، وهو أحق بالتقييد ، ولقلة التفلت ، وما تكلمت به العرب من جيد

[1] - ابن الأثير ، المثل السائر ، ج1 ، ص 33

المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون ، فلم تحفظ من المنثـور عـشره ، ولا ضاع من الموزون عشره"[1].

ويستشف من مقولة الجاحظ أن الكلام المسجوع يشكل ظاهرة نفسية ، ويكشف ما للإيقاع والأنغام ، والأجراس ، والأوزان في أفانين القول من دور بالغ في شد النفس إلى النص والعمل على تيسيير حفظه.

يقول إبراهيم أنيس :" والكلام الموزون ذو النغم الموسيقي يثير فينا انتباها عجيبا وذلـك لما فيه من توقع لمقاطع خاصة تنسجم مع ما نسمع من مقاطع لتكون منها جميعـا تلـك السلسلة المتصلة الحلقات التي لا تنبو إحدى حلقاتها عن المقاييس الأخرى"[2].

نستشف من كلام إبراهيم أنيس أن الكلام المتصف بالإيقاع والأجراس يؤثر في الـنفس ، ويثير الانتباه ، ويحرك المشاعر ، ويهز الأحاسيس . وهذه سمات الكلام الموزون عامة فما بالك إذا كان الكلام سجعا . ومن ثم فالسجع لون من الألوان البديعيـة اللطيفـة ذات الإيقاع الجميل المحبب إلى النفوس ، المؤثر في القلوب مالت إليه العرب منـذ القـدم ، وأحبته حتى النخاع ، وأغلب كلامها كان مسجوعا.

ولرب سائل قد يسأل : لماذا شغفت العرب بالسجع وكثر في كلامهـا ؟ والجـواب لأن النفس البشرية جبلت على الانسجام مع الأنغام الشجية ، والأجراس المثيـرة والألحـان الجميلة .

والنفوس تستجيب للأنغام البديعة ، وتنفر من الإيقاعات المعتلة الناشزة .

كذلك السجع إذا كان غير متكلف ولا متعسف أحبته النفوس ، وإذا كان غير ذلك نفـرت منه الطباع ، واشمأزت منه الأفئدة . ولذلك يقول بكري شيخ أمين :"إن الفطرة في كـل عناصر الحياة مع النغمة الشجية واللحن الجميل "[3]

---

[1] - الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج1 ، ص 278

[2] - د، إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط3 ،1965م ، ص 13

[3] - د، بكري شيخ أمين ، البلاغة العربية في ثوبها الجديد ،علم البديع دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط6 ، 2002م ، ج3 ، ص 126

والسجع فن من فنون الكلام الرفيعة ، ومحك التمكن والاقتدار على التعبيـر الجميـل ، ودلالة على قدرة التحكم في تشكيل ألوان متعددة ومتباينة أثناء الكلام ،ومن ثـم ، فـإن السجع إذا جاء بمنأى عن التكلف والتزلف ، والتعسف ، وجاء محمولا على ما تجيش به الطبائع ، وتجود به القرائح ف يسر وتناسق ، يصدر عن صاحبه كمـا تـصدر الميـاه الرقراقة في جداولها ، تنساب انسيابا، فذاك أعلى درجات الكلام ، وقمة الإبداع والتفنن ، وأصفى موارد الجمال وأعلى مراتب البيان.

وسيظل السجع ـ بلاريب ـ تاج الكتابة ، ولؤلؤة الأساليب العربية منذ العصر الجـاهلي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

الفاصلة في القرآن

ماهية الفاصلة :

الفاصلة لغة :الحاجز بين الشيئين .

قال صاحب قاموس المحيط :

الفصل : الحاجز بين الشيئين ، وكل ملتقى عظمين من الجسد كالمفصل، والحق من القول ، ومن الجسد : موضع المفصل ، وبين كل مفصلين وصل.

والقضاء بين الحق والباطل .

والفاصلة : الخرزة تفصل الخرزتين في النظام ...[1]

الفاصلة اصطلاحا :

تبيانت آراء الدارسين والباحثين في تعريف الفاصلة من الوجهة الاصطلاحية ويبرز التباين في الصياغة واللفظ ، ولكن أغلبها يتفق في المعنى .

أغلب علماء التفسير وعلوم القرآن يرون أن الفاصلة هي : الكلمة الأخيرة من الآية القرآنية .

من أهم المفاهيم للفاصلة عند العلماء :

عرفها الرماني بقوله :"الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع ، توجب حسن إفهام المعني "[2].

ويتضح من خلال ما يذهب إليه الرماني أن وظيفة الفاصلة تكمن في الفهم والإفهام .أماأبو بكرالباقلاني فعرفها بقوله :"وأما الفواصل فهي حروف متشاكلة في المقاطع ، يقع بها إفهام المعاني "[3].

---

[1] - ينظر ، الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، مادة " فصل "
[2] - الرماني ، النكت ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز ، ص 89
[3] - الباقلاني ،إعجاز القرآن ،ص244

تكاد لا تجد فرقا بينهما ، كلاهما يركز على الفهم والإفهام.

وعرفها الراغب الأصفهاني بقوله :"والفواصل أواخر الآية "[1].

وعرفها ابن منظور بقوله :" وأوخر الآيات في كتاب الله فواصل بمنزلة قوافي الشعر ـ جل كتاب الله عز وجل ـ واحدتها فاصلة "[2].

ومن خلال هذه المفاهيم يتضح لنا جليا أنها تتفق في أن الفواصل هي أواخر الكلمات في الآيات القرآنية.

أما الزركشي فيعرفها بقوله :"كلمة آخر الآية، كقافية الشعر، وقرينة السجع "[3].

لكن أبا عمروالداني حاول توسعة مدلول الفاصلة عما ذهب إليه جمهرة العلماء حيث جعل الفاصلة تشمل إضافة إلى آخر الآية الكلمة التي تكون في أثناء الآية التي يتم بها معنـى جملة منفصلة بعدها.يقول أبو عمرو الداني :"وأما الفاصلة فهي الكلام التام المنفصل مما بعده ،والكلام التام قد يكون رأس آية ، وكذلك الفواصل يكن رأس آية وغيرها، فكل رأس آية فاصلة ، وليس كل فاصلة رأس آية، فالفاصلة تعم النوعية ، وتجمع الضربين"[4].

سبب التسمية بالفاصلة :

أرجع الكثير من العلماء السبب في تسمية الفواصل إلى ماجاء في الذكر الحكيم من نحو قوله عز وجل : ولَقَد جِئْنَاهم بِكِتَابٍ فَصلْنَاه علَى عِلْمٍ [5] وقوله تعالى : كِتَاب فُصلَتْ آياتُه [6].

والتفصيل هنا يأتي على معنيين :

الأول : تفصيل الآيات بالفواصل.

---

[1] - الراغب الأصفهاني ، المفردات (فصل)
[2] - ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (فصل)
[3] - الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ،ج1 ،ص52
[4] - أبو عمرو الداني ، البيان في عد آي القرآن ط1 ، الكويت (ب د) (د ط) ص 126
[5] - الأعراف ، الآية :52
[6] - فصلت ، الآية : 03

الثاني : التبيين أي بيناه و وضحناه.

قال ابن منظور موضحا قوله تعالى : ° بِكِتَابٍ فَصلْنَاه [1] له معنيان أحدهما تفصيل آياته بالفواصل ، والمعنى الثاني في فصلناه :"بيناه "[2].

أما الزركشي فبين سبب التسمية من خلال قوله :"فأما مناسبة " فواصل فلقوله تعالى : كتاب فصلت آياته [3].

ثم يشير الزركشي إلى محاولة الداني في التفريق بين الفواصل ورؤوس الآي فقال :"أما الفاصلة فهي الكلام المنفصل ممابعده . والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس ، وكذلك الفواصل يكن رؤوس أي وغيرها ، وكل رأس آية فاصلة وليس كل فاصلة رأس آية ؛ فالفاصلة تعم النوعين ، وتجمع الضربين "[4].

وبين الزركشي أن من وظائف الفاصلة تحقيق الاستراحة وتحسين الكلام ،ومن ثم كانـت الفواصل الفيصل بين كلام الله عز وجل ، وبين كلام البشر.

يقول :"وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها؛وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام . وتسمى فواصل ؛ لأنه ينفصل عندها الكلامان ؛ وذلك أن آخر الآية فصل بينهما وبين ما بعدها، ولم يسموها أسجاعا "[5]

إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل

لاشك وأن الفواصل إذا جاءت مطردة أثرت في النفوس تأثيرا عظيما ولذلك يخرج عن نظم الكلام لأجلها .يقول الزركشي :"واعلم أن إيقاع المناسبة في مقاطع

---

[1] - الأعراف ،الآية :52
[2] - لسان العرب ، مادة (فصل)
[3] - البرهان ، ج1 ، ص 53
[4] - البرهان ، ج1 ،ص 52
[5] - المصدر نفسه ، ص ن

الفواصل حيث تطرد متأكد جدا ، ومؤثر في اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه من النفس تأثيرا عظيما ، ولذلك خرج عن نظم الكلام لأجلها"[1].

ثم راح يعدد تلك المواضع وهي :

1- زيادة حرف لأجلها :

فمن ذلك زيادة الألف بكلمة " الظنونا " في قوله تعالى : وتَظُنُّون بِاللهِ الظنُونَا [2].

لأن آخر الآيات تنوين نصب يوقف عليه بالألف ،فأضيفت الألـف لكلمـة (الظنـون) مراعاة للفاصلة.

يقول الزركشي :"لأن مقاطع فواصل هذه السورة ألفات منقلبة عن تنوين في الوقف فزيد على النون ألف لتساوي المقاطع وتناسب نهايات الفواصل ."[3]

واستشهد بمثال آخر، وهو قوله تعالى : فَأَضلونَا السبِيلا [4]و وَأَطَعنَا الرسولا [5].

ورد الزركشي على مزاعم بعض المغاربة حيث قالوا إن الألف لم تزد لتناسـب رؤوس الآي في مثل قوله تعالى : فَأَضلونَا السبِيلا [6]مؤكدا أن الألف زيدت هنـا مـن أجـل مراعاة الفواصل .

مستدلا على مايذهب إليه بقوله تعالى : لعلي أَرجِع إِلَى الناسِ لَعلهم يعلَمون [7] فقـال :(كرر " لعل" مراعاة للفواصل الآية ، إذ لو جاء على الأصل لقال : لعلي أرجـع إلـى الناس فيعلموا ؛ يحذف النون على الجواب)[8]

---

[1] - البرهان ، ج1 ، ص 57،58
[2] - الأحزاب ،الآية :10
[3] - البرهان ، ج1 ، ص58
[4] - الأحزاب ،الآية : 67
[5] - الأحزاب ، الآية 66
[6] - الأحزاب ،الآية : 67
[7] - يوسف ،الآية : 46
[8] - البرهان ، ج1 ، ص 58

2- **حذف همزة أو حرف اطرادا** :

كقوله تعالى : والَّيْلِ إِذَا يسر [1].

حذفت "ألياء " من لفظة " يسري " مراعاة للفاصلة.

3- **الجمع بين المجرورات لتبقى الفاصلة في آخر الآية :**

نحو قوله تعالى : ثُمَّ لاَ تَجِدواْ لَكُم علَينَا بِهِ تَبِيعا [2] فنرى توالي ثلاثة أحرف جر هي (اللام ، على ، والباء) وتأخر الجواب ، وهو قوله "تبيعا" وذلك لتتناسب النهاية مع ما قبلها ،وتتناسق على صورة واحدة ، يقول الزركشي : "وكان الأحسن الفصل ...وجوابه أن تأخر وترك الفصل أرجح ...،لتكون نهاية هذه الآية مناسبة لنهايات ما قبلها حتى تتناسق على صورة واحدة "[3]

4- **تأخير ما أصله أن يقدم :**

وذلك مراعاة للفاصلة ، واستدل عليه بقوله تعالى : فَأَوجس فِي نَفْسِهِ خِيفَةً موسى [4]ولعل الأصل في العبارة القرآنية أن يتصل الفعل بفاعله ويؤخر مفعوله لكن التعبير القرآني أخر الفاعل "موسى "رعاية للفاصلة ، ويضيف الزركشي حكمة أخرى من تأخير الفاعل "موسى " وهي أن النفس تتشوق لفاعل (أوجس)

فإذا جاء بعد أن أخر وقع بموقع[5] أي كان وقعه في نفس أشد ، وتأثيره أقوى.

ثم استدل بشواهد أخرى منها قوله تعالى : ولَولَا كَلِمةٌ سبقَتْ مِن ربِك لَكَان لِزاما وأَجلٌ مسمى [6] يشير الزركشي موضحا التأخير الحاصل في هذه الآية بقوله :" فإن قوله (وأجل مسمى) معطوف على (كلمة) ولهذا رفع .

---

[1] - الفجر ، الآية 04
[2] - الإسراء ، الآية :69
[3] - البرهان ،ج3 ،ص 59،58
[4] - طه ، الآية : 67
[5] - البرهان ، ج1 ، ص 59
[6] - طه ، الآية :129

والمعنى ولَولَا كَلِمةٌ سبقَتْ مِن ربك في التأخير (وأجل مسمى) لكان العذاب لزاما. لكنه قدم وأخر لتشتبك رؤوس الآي "[1].

ومنه قوله تعالى : ولَقَد جاء آلَ فِرعون النذُر [2] فأخر الفاعل وهو (النذر) عن المفعول به وهو (آل) لأجل الفاصلة.

5- **إفراد ما أصله أن يجمع :**

كقوله تعالى : إِن الْمتقِين فِي جناتٍ ونَهرٍ [3] فقد أفرد لفظة " نهر " رعاية للفاصلة. ويشير الزركشي إلى قول الفراء :"الأصل "الأنهار "؛ وإنما وحد لأنه رأس آية فقابل بالتوحيد رؤوس الآي . ويقال : النهر الضياء والسعة ، فيخرج من هذا الباب "[4] وقوله تعالى : وما كُنتُ متخِذَ الْمضِلين عضدا [5] قال ابن سيده في المحكم:"أي أعضادا ، وإنما أفرد ليعدل رؤوس الآية بالإفراد ، والعضد :المعين "[6]

6- **جمع ما أصله أن يفرد :**

نحو قوله تعالى: لا بيع فِيهِ ولا خِلالٌ [7] والأصل ، ولاخلة بالإفراد ولكنه جمعه لأجل مناسبة رؤوس الآي ،أي مراعاة للفاصلة .

7- **تثنية ماأصله أن يفرد :**

---

[1] - البرهان ، ج1 ، ص 59
[2] - القمر ، الآية 41
[3] - القمر ، الاية : 54
[4] - البرهان ، ج1 ، ص 59
[5] - الكهف ، الآية :51
[6] - البرهان ، ج1 ، ص 60
[7] -إبراهيم ، الآية :31

نحو قوله تعالى: ولِمن خَافَ مقَام ربهِ جنتَان [1] قال الفراء :"وإنما ثناهما هنا لأجل الفاصلة ؛ رعاية التي قبلها والتي بعدها على هذا الوزن ..."[2] ولكن ابن قتيبة أنكر عليه ذلك ، وأغلظ له ، وقال :"وهذا من أعجب ما حمل عليه كتاب الله ونحن نعوذ بالله من أن نتعسف هذا التعسف ، ونجيز على الله –جل ثناؤه- الزيادة والنقص في الكلام ، لرأس آية. وإنما يجوز في رؤوس الآي أن يزيد "هاء للسكت ؛ كقوله: وما أدراك ماهيه ؛ وألفا كقوله: وتَظُنون ِباللهِ الظنُونَا ، أو يحذف همزة، من الحرف كقوله: أثاثا ورئيا أو ياء كقوله : واللَّيل ِإذَا يسر لتستوي رؤوس الآي ، على مذاهب العرب في الكلام : إذا تم ، فآذنت بانقطاعه وابتداء غيره... فأما أن يكون الله عز وجل وعد جنتين ، فيجعلهما جنة واحدة من أجل رؤوس الآي: فمعاذ الله ، وكيف يكون هذا: وهو-تبارك اسمه- يصفهما بصفات الاثنين" ، فقال : ذَواتَا أَفْنَانٍ . "[3]

8- **تأنيث ما أصله أن يذكر**:

كقوله تعالى : كلا ِإنه تَذْكِرة [4] وإنما عدل إليها للفاصلة .

9- **قسم لم يسمه، وإنما اكتفى بالاستدلال عليه** :

نحو قوله تعالى : سبح اسم ربك الْأَعلَى [5] وقال : اقْرأْ ِباسمِ ربك الذِي خَلَقَ [6] فزاد في الأولى " الأعلى " وزاد في الثانية " خلق " مراعاة للفواصل في

[1] - الرحمن ، الآية :46
[2] - البرهان ، ج1 ، ص 60
3- ابن قتيبة ، تفسير غريب القرآن ، تح ، السيد أحمد صقر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ب ط ، 1978م ، ص440
4- المدثر ، الآية :54
5- الأعلى ، الآية 01
6- العلق ، الآية :01

السورتين ، وهي في " سبح " : الذِي خَلَقَ فَسوى [1] و خَلَـقَ الإِنـسان مِـن علَقٍ [2].

10 - **صرف ماأصله ألا ينصرف** :

نحو قوله تعالى : قَواريرا قَواريرا [3] صرف الأول لأنه آخر الآية ،وآخر الثاني بالألف ، فحسن جعله منونا ليقلب تنوينه ألفا ، فيتناسب مع بقية الآي ، كقوله تعـالى: سلاسِلاَ وأَغْلالا [4] ،فإن "سلاسلا" لما نظم إلى "وأغلالا وسعيرا" صـرف ونـون للتناسب ، وبقي " قواريرا" الثاني ؛ فإنه ،وإن لم يكن آخر الآية جاز صرفه ، لأنه لما نون " قواريرا" الأول ناسب أن ينون

"قواريرا" الثاني ليتناسبا ،ولأجل هذا لم ينون " قواريرا " الثاني إلا من ينون "قـوارير الأول" .

وأشار الزركشي إلى مازعمه صاحب "البرهان" أن من ذلك صرف ماكان جمعا في القرآن ليناسب رؤوس الآي ؛ كقوله تعالى:" سلاسلا وأغلالا".

وهذا مردود ، لأن " سلاسلا " ليس رأس آية ، ولا" قوارير" الثـاني ، وإنمـا صـرف للتناسب ، واجتماعه مع غيره من المنصرفات ، فيرد إلى الأصل ليتناسب معها[5].

11 - **إمالة ما أصله ألايمال** :

كإمالة ألف والضحى* والليل إِذَا سجى [6] ليشاكل التلفظ بهما التلفظ بما بعدهما.

والإمالة أن تنحو بالألف نحو الياء ، والغرض الأصلي منها هو التناسب ، وعبـر عنـه بعضهم بقوله : الإمالة للإمالة[7]

---

[1] - الأعلى ، الآية : 02
[2] - العلق ،الآية :02
[3] - الإنسان ، الأيتان :15،16
[4] - الإنسان ، الآية :04
[5] - البرهان ، ج1 ، ص 61
[6] - الضحى ، الأيتان :1،2
[7] - البرهان ، ج1 ،ص61

12- **العدول عن صيغة المضي إلى الاستقبال** :

نحو قوله تعالى : فَفَرِيقاً كَذبتُم وفَرِيقًا تَقْتُلُون [1]حيث لم يقل وفريقا قتلتم " كما سوى بينهما فقال : فَرِيقًا تَقْتُلُون وتأْسِرون فَرِيقًا [2] وذلك لأجل أنها هنا رأس آية.

أقسام الفواصل عند الزركشي

أولا: تقسيم الفواصل باعتبار المتماثل والمقارب في الحرف:

قسم الزركشي الفاصلة باعتبار المتماثل والمقارب إلى قسمين:

أ- **الفواصل المتماثلة**: وهي ما تماثلت حروفه في المقاطع ،وهذايكون سجعا.

ب- **الفواصل المتقاربة** :وهي ما تقاربت حروفه في المقاطع ولم تتماثل وهذا لايكون سجعا.

ويشير إلى أن النوعين كليهما يمكن أن يأتيا طوعا وسهلا تابعا للمعاني ، أو متكلفا يتبعه المعنى.

فالأول محمود عنده ، وجعله دالا على الثقافة وحسن البيان ، والثاني مذموم .

فأما القرآن ، فلم يرد فيه إلا القسم الأول لعلوه في الفصاحة وسموه فـي البلاغـة وقـد وردت فواصل متماثلة ومتقاربة :

مثال المتماثلة : قوله تعـالى : والطـور* وكِتَـابٍ مـسطُورٍفي رق منْـشُوروالْبيتِ الْمعمورِوالسقْفِ الْمرفُوعِ [3].

مثال المتقارب في الحروف : قوله تعالى : الرحمـن الرحِيمِ مـالِكِ يـومِ الـدين [4].

ونبه على أن الفواصل في القرآن الكريم لاتخرج عن هذين النوعين :المتماثل والمتقارب.

---

[1] - البقرة ، الآية :87

[2] - الأحزاب ، الآية :26

[3] - الطور ، الآيات : 1،2،3،4،5

[4] - الفاتحة ، الآيتان : 3،4

يقول الزركشي " فاعلم أن فواصل القرآن الكريم لاتخرج عن هذين القسمين ؛بل تنحصر في المتماثلة والمتقاربة"[1] .

ثانيا : تقسيم الفواصل باعتبار المتوازي والمتوازن والمطرف :

وأشرفها المتوازي : وهو أن تتفق الكلمتان في الوزن وحروف السجع :نحو قوله تعالى : ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾[2] .

والمطرف : أن يتفقا في حروف السجع لافي الوزن ؛ كقوله تعالى : ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾[3] .

والمتوازن :أن يراعى في مقاطع الكلام الوزن فقط ، كقوله تعالى : ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾[4]

الطريق لمعرفة الفواصل:

تعرف الفواصل من طريقين:

1- التوقيفي :

بالاعتماد على ما ورد من أقوال عن الرسول صلى الله عليه وسلم وما كان يقوم به أثناء التلاوة.

وذكر الجعبري ؛وهو يتحدث عن ضابط الفواصل ، فقال:"ولمعرفتها طريقتان :توقيفي وقياسي"[5]

---

[1] - البرهان ، ج2 ،ص 67
[2] - الغاشية ،الآيتان :13، 14
[3] - نوح ،الآيتان :13، 14
[4] - الغاشية ، الآيتان :15، 16
[5] - البرهان ،ج1 ،ص 81

فالأول استدل عليه بمارواه أبو داود عن أم سلمة : لما سئلت عن قراءة رسـول الله صلى الله عليه وسلم قالت :"كان يقطع قراءته آية آية..وقرأت :(بـسم الله الـرحمن الرحيم) إلى :(الذين) يقف على كل آية فمعنى "يقطع قراءته صلى الله علية وسـلم كذلك ليعلم رؤوس الآي[1].

أما الطريق الثاني فهو القياس ، والقياس يمكن أن يكون عبر الوسائل الآتية:

1- مساواة الآية لما قبلها وما يعدها في الطول والقصر.

2- انقطاع الكلام عنها.

3- إجماع العلماء على مثيلتها آية في القرآن الكريم.

4- مشاكلة الفاصلة لغيرها مما هو معها في السورة في الحرف الأخير منها بحيـث يكونان متماثلين ، أو متقاربين.

مبنى الفواصل على الوقف:

أجمع العلماء على أن الفواصل القرآنية تبنى على الوقف عليها ، لاعلى وصـلها نطقا بما بعدها ، ومن ثم لم يراع فيها الموافقة في الإعراب لما قبلها وما بعدها .

كما ألفينا الأسجاع ساكنة الأعجاز . ولله ولكتابه المثل الأعلى.

وأغلب الوقف على الفواصل في القرآن يتم بتسكين الحرف الأخير منها ولهذا نرى مقابلة فاصلة مرفوعة بمجرورة ، وكذا العكس ، نحو قوله تعالى : الْحمد للّهِ رب الْعالَمِين الرحمـن الرحِيمِ مـالِكِ يومِ الدين ِإياك نَعبد وإِياك نَستَعِين [2]

فالأولى وردت مفتوحة ، والثانية ، والثالثة مجرورة ، والرابعة مرفوعة.

---

[1] - ينظر ،سنن أبي داود : ج1 ، ص100

[2] - الفاتحة ، الآيات :2،3،4،5

وفي هذا السياق يقول الزركشي:" إن مبنى الفواصل على الوقف ، ولهذا شـاع مقابلـة المرفوع بالمجرور وبالعكس ، وكذا المفتوح والمنصوب غير المنون"[1].

مستدلا بقوله تعالى : ﴿إنا خَلَقْنَاهم من طِينٍ لـازبٍ﴾ [2] مـع تقـدم قولـه : ﴿عـذَاب واصِب﴾ [3] و ﴿شِهاب ثَاقِب﴾ [4]

ائتلاف الفواصل مع مضمون الآيات:

اتفق النقاد والباحثون على أن القافية وآخرالسجعة يجـب أن يكـون مطابقـا لمضمون الآيات ، أو الجمل المسجوعة ، ولذلك إذا جئ بها من أجل التوافـق الـصوتي دونما حاجة السياق إليها عد ذلك من العيوب فيها ،لأن الفواصل والأسجاع تأتي أواخـر الجمل ، وأواخر الجمل لابد أن يحمل مضمونا مطابقا لمضمون ما قبلها . ليحدث بـذلك التناسق والانسجام في الكلام ، ويتجنب التنافر والشذود.

والفواصل القرآنية - ولا ريب - اتسمت بأنها شديدة التآلف مع آياتها، بل جـاء في تمام التآلف والتكامل ، كما أنها جاءت مؤدية للمعنى على أكمل وجه ، بـل وعملـت على إيصاله على نحو بديع معجز، ولن تستطيع استبدال فاصلة بأخرى .

ومن هنا كانت الفواصل القرآنية مظهرا من مظاهر الإعجاز البياني القرآني المجيد الخالد على مر العصور .

يقول الزركشي :"اعلم أن من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره ، وإيقاع الشئ فيها بما يشاكله ، فلابد أن تكون مناسبة للمعنى المـذكور أولا ، وإلا خرج بعض الكلام عن بعض ، وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك ، لكن منه ما يظهر ، ومنه ما يستخرج بالتأمل اللبيب "[5].

[1] - البرهان ، ج1 ، ص 63
[2] - الصافات، الآية :11
[3] - الصافات ، الآية :09
[4] - الصافات ، الآية :10
[5] - الزركشي ، البرهان ، ج1 ، ص 69

وحصرها في أربعة أمور وهي :

1- التمكين .

2- التصدير .

3- التوشيح.

4- الإيغال .

التمكين :

عرفه الزركشي بقوله :" وهو أن تمهد قبلها تمهيدا تأتي به الفاصلة ممكنة في مكانها مستقرة في قرارها،مطمئنة في موضعها،غير نافرة ولا قلقة ، متعلقا معناها بمعنى الكلام كله تعلقا تاما؛بحيث لو طرحت اختل المعنى واضطرب الفهم "[1]

ويعقب قائلا :"وهذا الباب يطلعك على سر عظيم من أسرار القرآن فاشدد يديك به[2].

ومن أمثلة ذلك ما يأتي :

قال تعالى: لا تُدرِكُه الأبصار وهو يدرِك الأبصاروهو اللطِيفُ الخَبِير [3].

فإنه سبحانه لما قدم نفي إدراك الأبصار له ، عطف على ذلك قوله :"وهو اللطيف" خطابا للسامع بما يفهم ، إذ العادة أن كل لطيف لا تدركه الأبصار ، ألا ترى أن حاسة البصر إنما تدرك اللون من كل متلون ، والكون من كل متكون فإدراكها إنما هو للمركبات دون المفردات.

---

[1] - البرهان ، ج1 ،ص 69

[2] - المصدر نفسه ، ص ن

[3] - الأنعام ، الآية :103

وكذلك لما قال :" وهويدرك الأبصار " عطف عليه قوله :"الخبير " مخصصا لذاته سبحانه بصفة الكمال ، لأنه ليس كل من أدرك شيئا كان خبيرا بذلك الشئ ؛ لأن المدرك للشئ قد يدركه ليخبره ، ولما كان الأمر كذلك أخبر سبحانه وتعالى أنه يدرك كل شئ مع الخبرة به.

وإنما خص الإبصار بإدراكه ليزيد في الكلام ضربا من المحاسن يسمى التعطف .

ولو كان الكلام :لاتبصره الأبصار ، وهو يبصر الأبصار لم تكن لفظتا "اللطيف الخبير " مناسبتين لما قبلهما"[1].

ومن التمكين للفاصلة أيضا ، قوله تعالى : أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون [2]

فالموعظة في الآية الأولى :سمعية ، حيث قال :"أو لم يهدلهم " ولم يقل "أولم يروا" لأن تقدم ذكر الكتاب ، وهو مسموع ،أو أخبار القرون وهي مما يسمع ، فناسب أن تكون الفاصلة " أفلا يسمعون "أما الموعظة في الآية الثانية فهي مرئية ، ولذلك بدأت بقوله تعالى:"أولم يروا" ، فناسب أن تكون الفاصلة "أفلا يبصرون"؛ لأن سوق الماء إلى الأرض الجرز مرئي ...إلخ.

ومنه قوله تعالى : يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير [3].

فالآية تتحدث عن شمول علم الله تعالى لكل مافي الوجود ، مهما دق أوخفى حتى لو كان مثقال ذرة ، كائنة أيا كانت ، لذا لم يكن هناك أنسب من أن تختم الآية بهذين

---

[1] - البرهان ، ج1 ، ص 70
[2] - السجدة ، الآيتان : 26،27
[3] - لقمان ، الآية : 16

الاسمين الجليلين من أسماء الله الحسنى (اللطيف ،الخبير) ، دون العليم البصير أو غيرها .

وهذا النوع من الفواصل يلاحظ فيه عدة أشياء ، نخص بالذكر هنا منها :

أ- اختلاف الفاصلتين في موضعين والمحدث عنه واحد.

ب- اتفاق الفاصلتين والمحدث عنه مختلف ، عكس الأول.

أ- اختلاف الفاصلتين في موضعين والمحدث عنه واحد:فمن أمثلته ما يأتي :

- من ذلك قوله تعالى : وإن تَعدوا نِعمةَ اللهِ لا تُحصوها إن الإنسان لَظلُومٌ كفار [1].

وقوله تعالى : وإن تَعدواْ نِعمةَ اللّهِ لاَ تُحصوها إن اللّه لَغَفُور رحِيم [2].

فالمحدث عنه في الآيتين واحد ، وهو نعمة الله تعالى ، ولكن فاصلة الأولى فيها وصف الإنسان بأنه ظلوم كفار ،والثانية فيها وصف الله تعالى بصفتي المغفرة والرحمة بصيغة المبالغة "لغفور رحيم "

وعن سر ذلك يقول ابن المنير- رحمه الله- :"كأنه يقول :إذا حصلت النعم الكثيرة فأنت آخذها ،وأنامعطيها ، فحصل لك عند أخذها وصفان ، كونك ظلوما وكونك كفارا ، ولي عند إعطائها وصفان : وهما أني غفور رحيم ، أقابل ظلمك بغفراني ، وكفرك برحمتي ، فلا أقابل تقصيرك إلا بالتوفير ، ولاأجازي جفاءك إلا بالوفاء "[3].

ويعجب الزركشي بكلام ابن المنيرهذا ، ويصفه بالحسن ،ويضيف عليه هو الآخر حسنا جديدا فيقول :"وهو حسن لكن بقي سؤال آخر ، وهو:

---

[1] -إبراهيم ، الآية :34
[2] - النحل ، الآية :18
[3] - البرهان ، ج1 ، ص 74

ماالحكمة في تخصيص آية النحل بوصف المنعم ، وآية إبراهيم بوصف المنعم عليه ؟
والجواب:أن سياق الآية في سورة إبراهيم في وصف الإنسان ، وما جبل عليه فناسب ذكر ذلك عقيب أوصافه ، وأما آية النحل فسيقت في وصف الله تعالى وإثبات ألوهيته ، وتحقيق صفاته ، فناسب ذكر وصفه سبحانه .
فتأمل هذه التراكيب ، ما أرقاها في رجة البلاغة "[1].
ب- اتفاق الفاصلتين والمحدث عنه مختلف :
كقوله تعالى: يا أَيها الَّذِين آمنُوا لِيستَأْذِنكُم الَّذِين ملَكَتْ أَيمانُكُم والَّذِين لَم يبلُغُوا الْحلُم مِنكُم ثَلَاثَ مراتٍ مِن قَبلِ صلَاةِ الْفَجرِ وحِين تَضعون ثِيابكُم من الظَّهِيرةِ ومِـن بعـدِ صلَاةِ الْعِشَاء ثَلَاثُ عوراتٍ لَّكُم لَيس علَيكُم ولَا علَيهِم جنَاح بعدهن طَوافُـون علَـيكُم بعضكُم علَى بعضٍ كَذَلِك يبين الله لَكُم الْآياتِ والله علِيم حكِيم .

ثم قال: وإِذَا بلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُم الْحلُم فَلْيستَأْذِنُوا كَما استَأْذَن الَّذِين مِن قَـبلِهِم كَـذَلِك يبين الله لَكُم آياتِهِ والله علِيم حكِيم [2].
وقد نبه الزركشي إلى أن الفاصلة قد لايكون لها نظير في القرآن ، كقوله تعالى :عقب الأمر بالغض : إِن الله خَبِير بِما يصنَعونٌ [3] وقوله عقب الأمر بطلـب الـدعاء والإجابة : لَعلهم يرشُدون [4] ، وقيل فيه تعريض بليلة القدر .

ثانيا : التصدير :

التصدير نوع من أنواع الفاصلة من حيث مناسبتهالمعنى الكلام الذي سيقت فيه.

[1] - البرهان ، ج1 ، ص 74
[2] - النور ، الآيتان :58،59
[3] - النور ، الآية ، 30
[4] - البقرة ، الآية، 186

والتصدير:أن تكون لفظة الفاصلة بعينها تقدمت في أول الآية. وقسمه ابن المعتز إلى ثلاثة أقسام :

1- توافق آخر الفاصلة وآخر كلمة في الصدر :

نحو قوله تعالى : لكِن الله يشْهد بِما أَنزلَ إِلَيك أَنزلَه بِعِلْمِهِ والْملائِكَةُ يشْهدون وكَفَى بِاللهِ شَهِيدا [1]

2- أن يوافق أول كلمة منه :

نحو قوله تعالى : وهب لَنَا مِن لدنك رحمةً إِنك أَنتَ الْوهاب [2].

وقوله تعالى : قَالَ إِني لِعملِكُم مِن الْقَالِين [3].

3- أن يوافق بعض كلماته :

نحو قوله تعالى : ولَقَد استُهزِئَ بِرسلٍ مِن قَبلِك فَحاقَ بِالَّذِين سخِروا مِنْهم ما كَانُوا بِهِ يستَهزِءون [4].

وقوله تعالى : فَقُلْتُ استَغْفِروا ربكُم إِنه كَان غَفَارا [5]

أما الزركشي فقد اكتفى بالاستدلال والتمثيل للتصدير دون شرح أو توضيح.

ثالثا :التوشيح :

وهو أن يكون في أول الكلام ما يستلزم الفاصلة.

والفرق بينه وبين التصدير: أن كلا منهما وإن اشترك صدره في الدلالة على عجزه ، فإن دلالة التصدير لفظية ، أما دلالة التوشيح معنوية.

[1] - النساء ، الآية 166
[2] - آل عمران ،الآية :08
[3] - الشعراء ،الآية: 168
[4] - الأنعام ، الآية :11
[5] - نوح ، الآية :10

وعن سبب تسميته بهذا الاسم يقول الزركشي :"ويسمى به لكونه نفس الكلام يدل على آخره.نزل المعنى منزلة الوشاح ،ونزل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح . اللذين يجول عليهما الوشاح؛ ولهذا قيل فيه:إن الفاصلة تعلم قبل ذكرها "[1].

وأشار إلى أن ابن وكيع سماه " المطمع "؛ لأن صدره مطمع في عجزه نحو قوله تعالى : ثُم أَنشَأْنَاه خَلْقًا آخَر فَتَبارك الله أَحسن الْخَالِقِين [2].

وقوله تعالى : يومئِذٍ يصدر الناس أَشْتَاتًا ليروا أَعمالَهم فَمن يعملْ مِثْقَالَ ذَرةٍ خَيرا يره ومن يعملْ مِثْقَالَ ذَرةٍ شَرا يره [3].

فإن قوله:" ليروا أعمالهم " يدل على التقسيم .

الإيغال

عرفه أبو هلال العسكري بقوله : " أن الإيغال استيفاء معنى الكلام قبل بلوغ مقطعه ، ثم الإتيان بالمقطع فيزيد به معنى آخر يزيد به وضوحا وشرحا وتوكيدا وحسنا "[4].

ومن خلال مدلول الإيغال عند العسكري تستشف أن الإيغال يفيد معنى زائدا بعد تمام معنى الكلام ، وعن تلك الزيادة تنجم زيادة في الوضوح والتأكيد والحسن والبهاء للمعاني .

يقول الزركشي :"الإيغال هو إفادة معنى زائد بعد تمام الكلام "[5].

وعلل الزركشي هذه التسمية بقوله :"وسمي به لأن المتكلم قد تجاوز حد المعنى الذي هو آخذ فيه ، وبلغ إلى زيادة على الحد.

[1] - البرهان ،ج1 ،ص 79
[2] - المؤمنون ، الآية :14
[3] - الزلزلة ،الآيات :6،7،8
[4] - أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، ص 372
[5] - البرهان ، ج1 ،ص 80

يقال : أوغل في الأرض الفلانية ، إذا بلغ منتهاها ، فهذا المتكلم إذا تم معناه ثم تعداه بزيادة فيه ، فقد أوغل "[1].

ثم يستدل على ذلك بأدلة من القرآن الكريم منها قوله تعالى: أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ [2].

فالكلام تم معناه عند قوله تعالى :"يبغون " فجاءت الفاصلة بعده ، لتزيد عن المعنى السابق معنى جديدا ، ألا وهو مدح المؤمنين الموقنين ، والتعريض بذم اليهود المكذبين .

ومنه قوله تعالى : وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ [3].

فإن المعنى قد تم بقوله : "ولا تسمع الصم الدعاء " وقد أغنى عنها (ولوا) قالت لايغني عنها (ولوا) ؛ فإن التولي قد يكون بجانب دون جانب ، بدليل قوله تعالى: أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ [4]. وإن كان ذكر الجانب هنا مجازا ، ولاشك أنه سبحانه لما أخبر عنهم أنهم صم لايسمعون أراد تتميم المعنى بذكر توليهم في حال الخطاب ، لينفي عنهم الفهم الذي يحصل من الإشارة ؛ فإن الأصم يفهم بالإشارة ما يفهم السميع بالعبارة .ثم إن التولي قد يكون بجانب مع لحاظه بالجانب الآخر ؛ فيحصل به إدراك بعض الإشارة ؛ فجعل الفاصلة "مدبرين"

ليعلم أن التولي كان بجميع الجوانب؛بحيث صار ما كان مستقبلا مستدبرا فاحتجب المخاطب عن المخاطب أو صار من ورائه ،فخفيت عن عينه الإشارة كما صم أذناه عن العبارة؛ فحصلت المبالغة من عدم الاستماع بالكلية .

وهذا الكلام وإن بولغ فيه بنفي الاستماع البتة ؛فهو من إيغال الاحتياط ؛ الذي أدمجت فيه المبالغة في نفي الاستماع [5] .

ومنه قوله تعالى : اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ [6].

---

1 - المصدر نفسه ، ص ن
2 - المائدة ، الآية :50
3 - النمل ، الآية :80
4 - الإسراء ،الآية :83
5 - البرهان ،ج1 ، ص 80
6 - يس ، الآية :21

فالكلام تم معناه عند قوله تعالى :(أجرا)،ثم أتى بالفاصلة (وهم مهتـدون) مـع أن الرسل مهتدون لإفادة معنى زائد ، ألا وهو المبالغة في حب قومه على اتباع هـؤلاء المرسلين وترغيبهم في ذلك[1].

ومن ثم : أنه بات ظاهرا للعيان أن الإيغال عن طريق الزيادة والإضافة التي يضيفها للمعاني ، يكسبها وضوحا ، ويزيدها رونقا وبهاء.

وهذا من صور جمال التعبير القرآني وجماليات إعجازه الصوتي.

من فوائد الفاصلة القرآنية :

الفاصلة في القرآن الكريم لم تأت من قبيل الترف اللغوي ، والجمال الفني فحـسب ، وإنما جاءت لتحقق فوائد جمة منها:

1- تفيد الفاصلة في معرفة كيفية التلاوة وحسن تجويد القرآن.

2- تفيد الفاصلة في معرفة الوقف .والوقف يفيد في معرفة المعاني واستخراج الأحكام ، والتمييز بين المعاني المتضادة ، وفي هذا يقول ابـن الأنبـاري :و"من تمام معرفة القرآن معرفة الوقف والابتداء" [2].

وقال النكزاوي :" باب الوقف عظيم القدر ،جليل الخطر ؛لأنه لايتأتى لأحد معرفة معاني القرآن ، ولا استنباط الأدلة الشرعية منه إلا بمعرفة الفواصل "[3]

3- تفيد الفاصلة في معرفة عد الآيات.

4- الفاصلة تنشط القارئ في قراءته ، فهي أشبه بمحطـات اسـتراحة علـى طريق المسافر ، فحينما يستريح في كل محطة يجد نشاطا على مواصـلة السفر، حتى بلوغ الغاية والقصد .وفي هذا يقول الزركشي "وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب "[4].

---

[1] - البرهان ، ج1 ،ص 80
[2] - الاتقان ، ج1 ،ص 83
[3] - الإتقان ، ج1 ،ص 83
[4] - البرهان ، ج1 ، ص 150

5- وكما أن الفاصلة تنشط القارئ وتدفع عنه الملل ، فهي كذلك بالنسبة للمتلقي (السامع) .

6- الفاصلة مظهر من مظاهر الإعجاز القرآني.

7- الفاصلة تعين القارئ على تحسين صوته أثناء التلاوة ، وخاصة أن أغلبها ينتهي بحروف المد واللين، والميم أو النون .

يقول الزركشي :"قد كثر القرآن الكريم ، ختم كلمة المقطع عن الفاصلة بحروف المد واللين ، وإلحاق النون ، وحكمته وجود التمكن من التطريب بذلك "[1]

الجديد عند الزركشي في مبحث الفواصل :

عد الزركشي مؤسسا ومؤصلا في مبحث الفواصل ، وبرز ذلك فيما ذكره من تفريعات تبلورت في الأسس الآتية :

1- انتهاء أغلب المقاطع في الفواصل القرآنية بحروف المد واللين ،وإلحاق النون ، وألمح إلى الحكمة من ذلك : وهي التمكين من التطريب بذلك .

2- مبنى الفواصل على الوقف ، وسكون الأعجاز ، "ولهذا شاع مقابلة المرفوع بالمجرور ، والعكس .

نحو قوله تعالى : ﴿إنا خَلَقْنَاهم من طِينٍ لازبٍ﴾[2] مع تقدم قوله تعالى: ﴿عذَاب واصِبٍ﴾ "[3]

3- إنه لاتحسن المحافظة على الفواصل لمجردها إلا مع بقاء المعاني على سدادها .

4- الفواصل تنقسم إلى متماثلة الحروف ،ومتقاربة الحروف ؛والمتماثل يكون في السجع ،أما المتقارب يكون في الفواصل .

---

[1] - البرهان ، ج1 ، ص 163
[2] - الصافات ،الآية :11
[3] - ينظر ، البرهان في علوم القرآن ،ج1 ، ص 63

5- تقسيم أهل البديع الفواصل إلى : متواز، ومطرف ،وأشرفها المتوازي ؛وهو اتفاق الكلمتين في الوزن ، وحروف السجع .

6- حددالزركشي مواضع يتأكد فيها إيقاع المناسبة، مقاطع الكلام وأواخـره وإيقـاع شيئ فيها بما يشاكله...وحصر ذلك في أربعة أشياء :

أ- التمكين.

ب- التوشيح.

ت- التصدير.

ث- الإيغال.

جماليات الفاصلة القرآنية :

لاشك وأن الجوانب الصوتية الجمالية التي تفرد بها القرآن الكريم تعتبر نقطـة الفصل بين الأسلوب القرآني ، والأساليب البشرية ؛لأن البشر مهما عمدوا إلـى تجميـل أساليبهم بالإيقاعات الصوتية ، وجلب الأجراس المختلفة ،والعمل على التفاني فيهـا ، لا تخلو من تكلف ،ولا تخلو من الإيقاع في الملل والضجر بكثرة التردد ، وطول المعاودة ، وهذا خلافا للأساليب القرآنية وإيقاعاتها الجمالية، والتي مهما كررها الإنسان وعاودها ، فإنه لن يمل منها أبدا ، بل يجد في كل تكرار حلاوة وأثرا ومعنى.

والقرآن بتنوع إيقاعاته وأجراسه كان له بالغ الأثر في النفوس ، وبهذا التنوع قضى على النمطية والرتابة ، والجريان على أسلوب واحد، ونمط واحد ؛ لأن الجريان على أسلوب واحد مدعاة للملل والضجر ،والقرآن راعى نفسية المخاطبين والـسامعين ،لأن الغايـة الأولى هي هداية الناس إلى الدين الصحيح من خلال المعنى ، والثانية تحقيـق الجانـب الجمالي الفني ، ولذلك ،فإن الفاصلة في القرآن العظيم تقوم بدورين هامين وهما :

1- تحقيق المعنى الذي يعتبر حجر الزاوية في أي تعبير ، ناهيك أن الكلام كلام الله الذي لايأتيه الباطل من خلفه ، ولا من بين يديه.

2- الإيقاع الصوتي ، والجمال الموسيقى ، الذي اعتبره الكثير من البـاحثين قـديما وحديثا .إن لم نقل أغلبهم ، هو بيت القصيد ، الذي يمثل روحانية القرآن كما قال الخطابي ، وذلك فإن السامع للقرآن ،أو التالي له يشعر بهزة خاصة .

وفي هذا الصدد يقول بكري شيخ أمين :"إن الفاصلة القرآنية ترد ، وهي تحمل شحنتين في آن واحد : شحنة من الواقع الموسيقي وشحنة من المعنى المتمم للآية "[1]

والقرآن تباينت نبراته ، وتنوعت إيقاعاته ، فجاءت قوية هادرة ، وتارة هادئـة ، وتارة أخرى بين بين ، مراعيا في كل ذلك الحال والمقال ، وفي هذا السياق يقول أحمـد محمد ويس :"والحق أن وقع القرآن على الآذان لايجري على نمط واحد ، بل هو يتنـوع بتنوع الموضوع :فحينا يكون إيقاعه هادئا ، وحينا يكون هادرا ، ولكنه في كل أجزائـه يبدو متلائما في تركيب حروفه ، ورصف كلماته إيقاعيا بعضها إلى بعض "[2].

إن الفواصل القرآنية تعد من أبرز وجوه الإعجاز البيـاني عامـة ، والـصوتي خاصة ، كما أن وجه الإعجاز فيه يقع من النفوس موقعا مؤثرا ، مهمـا كانـت طبيعـة الإنسان مؤمنا كان ، أو كافرا ، والدليل على ذلك ماشهد به الوليد بن المغيرة حين سـمع القرآن ، وقد أشارنا إلى قصته فيما سلف.

الفاصلة في القرآن صورة حية ، وبرهان ساطع لمن شكك في أن القرآن ليس من عنـد الله ، وبالتالي شكك في نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

---

[1] - د.بكري شيخ أمين ،التعبير الفني في القرآن ،دار الشروق ، القاهرة /ط2 /1396ه/1976م،ص 203

[2] - د.أحمد محمد ويس ،ثنائية الشعر والنثر في الفكر النقدي ، بحث في المشاكلة والاختلاف ، منشورات وزارة الثقافة ،دمشق ،(د ط)،2002 ،ص 364

الفصل السادس:

قضية الإعجاز وسمات التفكير البلاغي عند الزركشي :

المبحث الأول : ماهية الإعجاز :

- توطئة
- المعجزة لغة واصطلاحا
- الإعجاز لغة واصطلاحا
- أنواع المعجزة
- شروط المعجزة
- التحدي والمعارضة.

المبحث الثاني: من آراء السابقين في الإعجاز ووجوه:

- النظام : (ت 220هـ)
- الجاحظ : (ت 255هـ)
- الرماني : (ت 382هـ)
- الخطابي : (ت 388هـ)
- الباقلاني : (ت 403هـ)
- الجرجاني : (ت 471هـ أو474هـ)
- الزمخشري : (ت 538هـ)
- السكاكي : (ت626هـ أو627هـ).

المبحث الثالث : رأي الزركشي في الإعجاز (ت 794هـ)

- البلاغة وعلاقتها بالإعجاز.
- الغاية من الإعجاز .
- عالمية الرسالة المحمدية وخصائصها .
- خلاصة.

المبحث الرابع : سمات التفكير البلاغي عند الزركشي :

- الموسوعية
- العمق والشمولية
- الذوق الأدبي والفني
- النقد
- الموضوعية
-
- الأمانة العلمية
- المصطلح البلاغي وسيلة لإبراز جماليات القرآن
- خلاصة

ماهية الإعجاز :

توطئة :

الله أنزل خير الكتب على خير الأنبياء والرسل ، قرآنا غير ذي عوج ، يتلى آناء الليل وأطراف النهار لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، من تمسك به نجا ، ومن تنكب عن هديه هوى .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع : " قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا بعدي أبدا أمرا بينا ، كتاب الله وسنة نبيه " [1]

فالقران الكريم ، هو كلام الله المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام المنقول إلينا بالتواتر ، المتعبد بتلاوته ، المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس ، وهو المعجزة التي أيد بها الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في قوم كان ديدنهم أفانين القول وروائع الكلام ، قوم كانوا فرسان بيان وأصحاب لسن ، وأرباب فصاحة وبلاغة ، وكانت هذه المعجزة من جنس مانبغ فيه القوم لتكون حجة دامغة عليهم ، وتكون تأكيدا لنبوته، وتصديقا لرسالته ، لأن حكمة الله تقتضي ما من نبي ، أو رسول يرسل لا يصدق ولا يتبع مالم يؤيده الله بمعجزة لتكون برهانا ساطعا ، ودليلا قاطعا ، وردا مفحما لكل معارض أ ومنكر، أو مكابر، أو جاحد ، أو معاند، والقرآن الكريم ألمح إلى مثل هذا على لسان المنكرين الجاحدين يقول الله تعالى : " وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين"[2].

[1] - أبو بكر جابر الجزائري ، هذا الحبيب يا محب ، دار الغد الجديد ، المنصورة ، مصر ، ط1 ، 2005م ، ص 307
[2] - العنكبوت : الآية 50

ومن ثم ، فإن الله ما كان ليذر الناس يتيهون في الضلال ، ويقترفون المنكـرات والآثـام ويعبدون الأصنام والأوثان حتى يبعث فيهم رسلا مبشرين ومنذرين مؤيدين بـالمعجزات المختلفة دلالة على أنهم رسل ، والمعجزات برهان صدقهم . فكانت معجزة سيدنا محمـد صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم رسالة جامعة ، شاملة ، خاتمـة ، باقيـة مـستمرة ، وممتدة عبر الأجيال ، والأمصار والأحقاب .

وصدق الله إذ يقول : (ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سـبعة أبحر ما نفذت كلمات الله إن الله عزيز حكيم)[1].

إذا ، فما حقيقة الإعجاز ؟ وماهي المعجزة ؟ وما شروطها ؟ وما هي أنواعها ؟

المعجزة لغة :

جاء في لسان العرب لابن منظور مادة (ع ،ج،ز)

أن المعجزة هي إثبات العجز والضعف

والتعجيز هو التثبيط.

والمعجزة اسم فاعل مشتق من الإعجاز ومعناه في اللغة : السبق والفوت ، ويقال : أعجزني فلان أي سبقني ، ويقال :عجز ويعجز عن الأمر أي قصر عنه.

والمعجزة بفتح الجيم وكسرها مفعلة من العجز : عدم القدرة

وفي الحديث: " كل شئ بقدر حتى العجز والكيس "

والمعجزة واحدة معجزات الأنبياء عليهم السلام [2]

ومن خلال هذه المعاني اللغوية نستشف بأن المعجزة تدل على :

السبق والفوت وعدم القدرة .

[1] ـ لقمان : الآية 26

[2] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر ،بيروت ، ط3، 1994، مج5 ، مادة (ع،ج،ز) ص 369،370

المعجزة اصطلاحا :

ذكر العلماء تعاريف ومفاهيم كثيرة ومتعددة لمصطلح المعجزة نورد منها :

قال الإمام السيوطي :" اعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة وهي إما حسية وإما عقلية "[1] .

وعرفها ابن خلدون بقوله :" وهي أفعال يعجز البشر عن مثلها ، فسميت بذلك معجزة ، وليست من جنس مقدور العباد ، وإنما يقع في غير محل قدرتهم "[2].

وعرفها الشيخ متولي الشعراوي قائلا : " المعجزة هي خرق لنواميس الكون ، أو لقوانين الكون يعطيها الله سبحانه وتعالى لرسله على منهجه ، ويثبتهم به ، ويؤكد للناس أنهم رسله تؤيدهم السماء وتنصرهم ، والسماء حيث تؤيد وتنصر ، تقف قوانين البشر عاجزة لا تستطيع أن تفعل شيئا" [3].

كما عرفها عمر السلامي قائلا : (الإتيان بالأمر الخارق للعادة ، مقرونا بالتحدي مقرا بقصور القدرة الإنسانية ، ومخالفا المألوف والمتواتر في المحسوس ، ويقوم حجة قاطعة في يد الأنبياء على صدق دعواهم في رسائلهم السماوية " [4].

وعرفها مصطفى مسلم بقوله: " وإنما هي هبة من الله سبحانه وتعالى يختار نوعها وزمانها ليبرهن بها على صدق رسول الله الذي أكرمه بالرسالة "[5].

من خلال التعاريف السالفة يتضح لنا جليا بأنها تصب في معين واحد ، وقد تختلف لفظا وصياغة ، والقاسم المشترك بين هذه المفاهيم ، أن المعجزات هبات من الله إلى من يختارهم رسلا .

---

[1] - السيوطي ، الاتقان في علوم القرآن ، دار المعرفة ، بيروت (د،ط)، (دت) ، ج2 ، ص 148.
[2] - ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ،(ب،ط) ، 2000م ، ص 68 .
[3] - متولي الشعراوي ، معجزة القرآن ، شركة الشهاب ، الجزائر ، ج1 ص5.
[4] عمر السلامي ، الإعجاز الفني في القرآن ، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله ، تونس 1980، ص 53
[5] - مصطفى مسلم ، مباحث في إعجاز القرآن ، دار المسلم للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط1416،2ه ،1996م ،ص 15

المعجزات براهين وحجج وأدلة قاطعة على صدق المرسلين عليهم السلام .
المعجزات تتجاوز قوانين الكون وتتعدى الطوق البشري .
المعجزات تكون دائما مقرونة بالتحدي .

الإعجاز لغة :

وهونسبة العجز إلى الغير[1] أي إثبات العجز وإظهاره مصداقا لقوله تعالى :"قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي "[2].

الإعجاز اصطلاحا :

عرفته عائشة بنت عبد الرحمان بنت الشاطئ بقولها: " هو قصور البشرية عن محاكاة القرآن الكريم والإتيان بمثله "[3].

وعرفه محمد سعيد رمضان البوطي قائلا : "أن القرآن قد سما في علوه إلى شأو بعيد بحيث تعجز القدرة البشرية عن الإتيان بمثله ، سواء كان هذا العلو في بلاغته ،أو تشريعاته ،أو مغيباته "[4].

يقول محمد علي الصابوني في معرض حديثه عن القرآن الكريم ، وعجز البشر عن الإتيان بمثله : هو " إثبات عجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله)[5].

تبين لنا من خلال المفاهيم التي تعرضت للإعجاز ، أن مصطلح الإعجاز خاص بالقرآن دون غيره ، وأبانت التعاريف على أن البشر عجزوا عن محاكاة القرآن ، أو الإتيان بمثله سواء أكانوا فرادى ، أم جماعات مجتمعة .

[1] - محمد علي الصابوني ، التبيان في علوم القرآن دار البعث ، قسنطينة ، الجزائر ، ط3،1407ه /1986م ، ص89
[2] - المائدة : الآية 33
[3] - عائشة بنت عبد الرحمان بنت الشاطئ ، التعبير في القرآن الكريم ، دار المعارف ، مصر ، ط2، 1966،ص53
[4]- محمد سعيد رمضان البوطي ، من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل ، مؤسسة الرسالة ،بيروت ،ط3 ،1996م ، ص 125
[5] - الصابوني ، التبيان في علوم القرآن ، ص 89

وصدق الله إذ يقول: " قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا"[1]

أنواع المعجزات :

من الأمور المسلم بها أن المعجزات تكون من جنس ما نبغ وبرع فيه أهل ذلك العصر والمصر الذين أرسل إليهم الرسول ، الذي يحمل تلك المعجزات .

والمعجزات - أيضا – تأتي وفاقا واتفاقا للقدرات العقلية من حيث النضج والتطور ومن ثم ألفينا العلماء قسموا المعجزات إلى ضربين :

أولا : معجزات حسية :

المعجزات الحسية هي التي من سماتها أن تكون مرئية ملموسة ، تشاهدها الأبصار ، كما أنها محدودة بمدة تواجد النبي الذي أرسل بها ، وتزول بوفاته ، وهي مقصورة على قومه دون غيرهم .

والمعجزات الحسية المادية تكون عادة في أقوام لم تنضج قدراتهم العقلية نضجا تاما ولذلك قيل :إن أغلب معجزات بني إسرائيل كانت حسية ، وأرجع بعض العلماء ، ومنهم السيوطي ذلك لبلادة عقولهم وسذاجة أفهامهم ، يقول السيوطي : " وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية لبلادتهم وقلة بصيرتهم "[2] و المعجزات الحسية كثيرة منها:

عصا ، ويد سيدنا موسى عليه السلام ، تلك العصا التي تتحول بقدرة المولى عز وجل إلى حية تسعى ، وإلى ثعبان يلقف ما يأفكون .قال تعالى : " فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين "[3].

---

[1] - الإسراء : الآية 88

[2] - السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ج2 ، ص 148

[3] - الأعراف : الآية 106

ويده التي إذا أخرجها تخرج بيضاء للناظرين من غير سوء. قال تعالى :" ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين "[1].

وناقة صالح عليه السلام والتي تخرج من صخرة ، وتشرب ماء النهر . قال تعالى على لسان سيدنا صالح: " ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب "[2].

ثم إبرأ الأكمه والأبرص ، وإحياء الموتى بإذن الله لسيدنا عيسى عليه السلام . وصدق الله العظيم إذ يقول : " ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طائرا بإذن الله وأبرئ الأكمة والأبرص و أحيي الموتى بإذن الله"[3]

وجميع هذه المعجزات المشار إليها سلفا ، انتهت بانتهاء من أرسل بها ، ولم يسمع لها خبر، ولا أثر من بعد .

ثانيا : معجزات عقلية :

وهي التي تدركها البصائر والعقول ، وهي مستمرة باقية خالدة إلى أن تقوم الساعة وجاءت لتخاطب العقول والأرواح ، ويدرك أثرها في كل زمان ومكان ، وليست محدودة بوقت ، ولا منتهية بانتهاء من أرسل بها .

وتجسدت هذه المعجزة في القرآن الكريم رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، تلكم الرسالة الخالدة الخاتمة الباقية المستمرة ، والتي أرسل بها إلى العرب خاصة والى العالم عامة ، لأن العرب أمة عرفت ببيانها ، وفصاحتها ، وبلاغتها ، وتفوقها في أفانين القول وروائع الكلام ، وهي أمة بلغت من النضج العقلي ، والتطور الفكري درجة عالية ، لاسيما في الجانب البياني الذي فاقت فيه جميع أمم المعمورة قاطبة ، ومن ثم كانت

---

[1] ـ الأعراف : الآية 107
[2] ـ هود : الآية 63
[3] ـ آل عمران : الآية 84

معجزة النبي صلى الله عليه وسلم عقلية ، لتدل على النبوغ العربي ، يقول السيوطي :" وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم ، ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذووا البصائر "[1].

وأشار المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى أهمية هذه المعجزة ، واختلافها عن سائر المعجزات الأخرى ، إذ يقول : " ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أو حاه الله إلى ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا" [2]

والمعجزة المحمدية جاءت متفردة ومتميزة عن باقي المعجزات الأخرى ؛ لأنها تمثل آخر الرسائل السماوية ، وخاتمة الرسائل ، كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان آخر الأنبياء والرسل .

فهي رسالة معجزة أعجزت العرب وغير العرب ، وتعدى إعجازها البشر ليشمل حتى الجن مصداقا لقوله تعالى :"قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا "[3] والمعجزة كما هو منصوص عليه عند العلماء لاتكون –كذلك- إلا إذا كانت من جنس ما نبغ فيه القوم ، وأحسنوه فالعرب أمة مشهود لها بالبلاغة ، والفصاحة ، والبيان ، فشبه الجزيرة العربية – يومئذ – تمور بالشعراء الفحول ، والبلغاء الفطاحل ، والأدباء الأفذاذ ، والخطباء اللّد فجاءت المعجزة المحمدية كلامية تتفق وطبيعة العصر ، والبيئة العربية .

فالمعجزة المحمدية كانت روحية عقلية ، لأن الإنسانية بلغت من النضج مبلغا عظيما وصار لها شأو بعيد في المعرفة والعلوم ، ولذلك فإن المعجزات المادية الحسية صارت لاتفي بالغرض المطلوب ، ولا تمكن من الإقناع ، وإقامة الحجة الدامغة ، والبرهان الساطع ، ولذلك كانت معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم قوية الحجة ، مقنعة منطقا وعقلا.

---

[1] - السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ج2 ، ص 149
[2] - البخاري ، الجامع الصحيح ، ط استنبول ، (دت) ، فضائل القرآن ، ج6 ،ص97
[3] - الإسراء : الآية 88

شروط المعجزة :

تتحقق المعجزة إذا توفرت فيها خمسة شروط ، ويكفي أن يختل شرط واحد فقـط ، لتنتفي عنها صفة المعجزة فما هي تلكم الشروط ؟ وما أدلتها ؟

1 – عدم قدرة البشر على الإتيان بها . مثل : (إحياء الموتى ، انفلاق البحر ، انشقاق القمر ....).

2 – أن تكون خارقة للعادة ، ومخالفة للسنن الكونية والعقلية مثل : (نبع الماء من بين أصابع الرسول صلى الله عليه وسلم الشريفة ، حنين الجذع إليه ، خروج ناقة صالح عليه السلام من صخرة)

3 – أن يستدل بها مدعي الرسالة (الرسول) على صدق دعواه . مثل (القرآن الكـريم).

4 – ألا يستطيع أحد الإتيان بها على وجه المعارضة ، أو بعبارة أخرى ، سلامتها مـن المعارضة

مثل : (القرآن) . قال تعالى : " فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين "[1]

5 – أن تقع على وفق دعوى النبي المتحدى بتلك المعجزة (التحدي) مثـل : (نـزول المائدة من السماء استجابة لطلب الرسول عيسى عليه السلام بعد دعوى قومه بالإنزال).

التحدي و المعارضة :

أنزل الله تعالى القرآن الكريم على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان مـا يزال البرهان الساطع والدليل القاطع ، والمعجزة الكبـرى التـي أبهـرت العـرب ، وأخرست بيانهم ، وألجمت فصاحتهم ، فوقفوا أمامها مـشدوهين مبهـورين حيـارى لا يملكون جوابا . وأمام هذه الحيرة والانبهار والذهول ، وجدوا أنفسهم عاجزين ، فاتهموا القرآن ، بنعوت وأوصاف لاحصر لها ، فقالوا عن القرآن بأنه سحر ، كهانة ، شعر

[1] - البقرة : الآية 22

وأساطير ....إلخ كما اتهموا أيضا صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم بأنه : شـاعر ، كاهن ، ساحر، ومجنون ...إلخ . وكل هذه الأوصاف والنعوت دل عليها القرآن الكريم .

لماذا وقفت العرب هذا الموقف من الدعوة المحمدية ؟

وقفت العرب هذا الموقف العدائي من الدعوة المحمدية مكابرة وعنادا ، وكذلك أن العرب أصابها القرآن في أعز ما تملك ، وما تفاخربه ، البيان و الفصاحة فبين عشية وضـحاها وجدت العرب نفسها تنهار أمام بلاغة القرآن ، وخر عليها السقف جراء فصاحته وبيانه. وهذا الأمر ليس بالهين ، كيف لا ، وتاريخ الإنسانية يشهد شهادة تظـل باقيـة مابقيـت الإنسانية ، وهي أن العرب أمة احتفلت بالشعراء والأدباء وأقامت الأسواق التـي كانـت معرضا للمتفنين في أفانين القول والإبداع الشعري والأدبي ، وكان كل ذلك مـن أجـل التفاضل في الأداء البلاغي ، و"كل ذلك يعطينا أبلغ الدلالة على أن في مقدمة ما تميزت به الأمة العربية من مواهب موهبة البيان ،ولا زال الإعجاز مشروطا فيه أن يتحدى الله القوم الذين يرسل إليهم الرسول في أهم ما نبغوا فيه ، فكان لابد أن تكون معجزة محمـد صلى الله عليه وسلم هي الأداء البياني في القرآن "[1]

ولا جرم أن العرب وقفت موقف المعارض ، والمنكر لصاحب الرسالة في بداية الأمر ، ثم القرآن الكريم ، فتحداهم الله تعالى في بداية الأمر على الإتيان بمثله ، قال تعـالى : " فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين "[2]

ولكنهم عجزوا ، ثم تحداهم على أن يأتوا بعشر سور، قال تعالى :" فأتوا بعـشر سـور مثله مفتريات ..."[3].

فعجزوا ، والقرآن في كل ذلك يتدرج بهم ويتحداهم تحديا جد راق ، فلما فشلوا نزل بهم إلى سورة واحدة تخفيفا ورأفة بهم ، قال تعالى : " فأتوا بسورة من مثله "[4]

---

[1] - محمد متولي الشعراوي ، القضاء والقدر ، دار الشهاب ، باتنة، (د،ط) (د،ت)، ص 108
[2] - الطور : الآية 34
[3] - هود :الآية 13
[4] - يونس : الآية 38

وقال سبحانه : " فأتوا بسورة من مثله ..."[1] ثم أمعن القرآن في التحدي وطالبهم أن يجتمعوا هم والجن على أن يأتوا بمثله ، فلن يستطيعوا إلى ذلك سبيلا مصداقا لقوله تعالى : " قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا "[2].

من خلال هذه الآيات يتضح لنا جليا أن القرآن الكريم وقف على قمة الهرم ، وحقق قمة التحدي ، فهو تحد يشمل البشرية قاطبة ، بل يتعداها إلى الجن ، واستخدام لفظة الجن يدل دلالة قاطعة على الاستحالة والتعجيز والتيئيس .

والتدرج في التحدي يلفت الانتباه إلى بلاغة القرآن الكريم ، وهو يخاطب هؤلاء القوم ويراعي حالاتهم النفسية ، وينزل معهم في كل فترة ، فيه دلالة ساطعة على أن القرآن كلام الله ، وأنه معجز ، وأن التحدي القرآني يتسم بالاستمرارية والقوة ، والإقناع ، وسيظل هكذا – عبر الزمان والأجيال - إلى أن تقوم الساعة .

وصدق الله إذ يقول : " فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا "[3].

وعلى الرغم من هذا البيان الساطع ، والحجج الدامغة،والبراهين القائمة، إلا أن هناك الكثير ممن سولت لهم أنفسهم أن يركبوا تلك الحماقات والسخافات زاعمين أنهم يعارضون القرآن ويقفون ندا له ، فادعى الكثير منهم النبوة رجالا ونساء ، فمن الرجال : مسيلمة الكذاب، ومن النساء سجاح... و غيرهما كثر.

وهذه المعارضات - في اعتقادنا – دلالة قاطعة على نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وصدق رسالته ؛ لأن ظهور المعارضات ، وادعاء النبوات أمر خدم قضية الإعجاز في القرآن .

كيف ذلك ؟

لأن هؤلاء المعارضين أيقنوا جلال القرآن وعظمته ، وافتتنوا به،وبأساليبه ،وطرائق نظمه البديعة ، وأدركوا سر تأثيره في النفوس لما يحمله من دلالات المعاني ،وما يشتمل عليه من جمال صوتي ،وإيقاع وأجراس تشد النفوس ، وتهز المشاعر .

---

[1] - البقرة : الآية 23
[2] - الإسراء : الآية 88
[3] - البقرة : الآية 23

وعلى الرغم من أن تلك المعارضات عبرت عن سذاجة أصحابها ، وتفاهاتها لفظا ومعنى إلا أنها خدمت قضية الإعجاز خدمة منقطعة النظير، وكانت حجة وبرهانا ودليلا قاطعـا لأولئك الرافضين لمسألة الإعجاز أولا ،والمنكرين لنبوة الرسول صلى الله عليـه وسـلم ثانيا .

والقرآن سيظل شاهدا على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وشاهدا على أن آياتـه منزلة من عند الله ، وها هو النجاشي يقر بذلك حين تلا عليه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه آيات من سورة مريم :"إن هذا ، والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة "[1] فالقرآن كله يدل على صدق نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم،وصحة رسالته ، ولعل من البراهين القرآنية الدامغة تلك المعجزات التي خص بها المولى عز وجل أقوامـا وعلـى رأسهم اليهود ، فتحداهم في أمر الموت مع علمه أنهم لن يفعلوا ابدا ، ولن يتمنوه ، يقول الحق تبارك وتعالى : " قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة مـن دون النـاس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين "[2].

قال القاضي عياض في الشفاء ، قال أبو اسحاق الزجاج : "في هذه الآية أعظـم حجـة وأظهر دلالة على حجة الرسالة ، لأنه قال لهم فتمنوا وأعلمهم أنهم لن يتمنوه أبدا، فلـم يتمنه واحد منهم "[3]

[1] - د.عبد الحليم محمود ، الرسول صلى الله عليه وسلم ،دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط2 ، 1985، ص86
[2] - البقرة : الآية 94
[3] القاضي عياض ، الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان،ط1424،1ه/2003م ،ج1،ص229

من آراء السابقين في الإعجاز ووجوهه

لاشك وأن الحديث عن الإعجازفي القرآن الكريم يعد من الأمور الشائكة المتسمة بالوعورة والعنت والمشقة ،ذلك لأن قضية الإعجاز من القضايا السرمدية التي لا يمكن لأي مخلوق مهما أوتي من البراعة والنبوغ في العلوم والمعارف على مختلف ينابيعها ، وألوانها ، وأشكالها، ومهما تفوق في علوم البلاغة وأفنانها ، والنحو وضروبه ، واللغويات بعامة وصنوفها ، لن يصل إلى أسرارالإعجاز في القرآن ، ضف إلى ذلك أن الإعجاز القرآني في كل عصر ومصر وجيل يأتي بالجديد، وتظهر وجوه لا حصر لها . فقضية الإعجاز مستمرة إلى يوم الدين ، ولن يستطيع أحد أن يزعم أنه قال كلمة الفصل وبلغ غور هده القضية ، ومن هنا يمكن القول : إن الحديث عن الإعجاز في القرآن يعد في حد ذاته ضربا من الإعجاز يقول الرافعي: و " ما أشبه القرآن الكريم في تركيب إعجازه وإعجاز تركيبه ،وبصورة كلامية من نظام هذا الكون الذي اكتنفه العلماء من كل جهة ... وأخلقوا جوانبه بحثا وتفتيشا ، ثم هو بعد لايزال عندهم على ذلك خلقا جديدا ، ومراما بعيدا"[1]

وعلى الرغم من ذلك ألفينا السلف الصالح قديما وحديثا ذهبوا في إعجاز القرآن مذاهب شتى ومتعددة ، وعالج كل لفيف منهم إعجاز القرآن من زاوية معينة ،وانبروا لهذا الموضوع ،ورصدوا له كل جهدهم وأوقفوا جل دراساتهم ،وأبحاثهم ، ومعارفهم وتفانوا في ذلك تفانيا منقطع النظير، فنجم عن ذلك وجوه ونظرات ، وآراء متباينة تضافرت

[1]- الرافعي ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، دار الكتابة العربي ، بيروت ، لبنان ،ط9، 1973 ، ص 140

لتجلي بعضا من إعجاز القرآن العظيم ،وعلى الرغم من ذلك وقف بعضهم عاجزا ، ولم يستطع إدراك كنه إعجازه ، أو يحدده، ومن هـؤلاء السكاكـي حيـث

يقول : " اعلم أن شأن الإعجاز عجيب يدرك ، ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن، تدرك ولا يمكن وصفها، وكالملاحة "[1]

ومدرك الإعجاز عندي هو الذوق ليس إلا ، وطريق اكتساب الذوق :(طول خدمة هـذين العلمين) ويقصد بها علمي المعاني والبيان.

وأمام هذا الفيض الإلهي ، وإقرارالإنسان بالعجز في بلوغ كنـه الإعجـاز وأسـراره ، والوصول إلى وجوهه ، حاول العلماء تقصي وجوه الإعجاز ، والعمل على سبر أغواره ، والنفاذ إلى أعماقه، وتحديد أبعاده ؛ كل ذلك محاولة منهم للكشف عن غوامضه، واكتناه مجاهله ، والوقوف على سحره ، واستخراج درره وتبيان جماليته.

إذا ، **ماهي أهم الآراء التي قيلت في الإعجاز قبل الزركشي ؟**

1- <u>النظام ورأيه في الإعجاز ت (220 هـ)</u>

النظام إمام المعتزلة ، ورأس من رؤوسها ، عده الدارسون والبـاحثون من الأوائل الذين قالوا في الإعجاز القرآني ، ورأيه واضح بين حيث يـرى أن القرآن معجز بالصرفة ؛ أي أن العرب كان بمقدورهم معارضة القرآن والإتيـان بمثله ، لكن الله عز وجل صرفهم ومنعهم عن ذلك ، إما بالمنع أو حبس العلـوم التي تمكن من المعارضة .يقول النظام : "إن الآية والأعجوبة في القرآن مافيه من الإخبار عن الغيوب ، فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم "[2]

[1] السكاكي ، مفتاح العلوم ،تح ، عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، لبنان ،ط1، 2000م ، ص 526
[2] الأ شعري ، مقالات الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ،(ب ط)(د ت) ، تح ، محمد محي الدين عبد الحميد ، ج 1 ،ص 271

إن النظام - ولاريب – بقوله هذا نجده ينحرف عن جادة الصواب ، ويتنكب عن الصراط السوي ولا يقول أحد مثل مقالته هذه ، إلا مكابر ومعاند ، لأن إقـراره بالأمور الغيبية التي أخبر عنها القرآن دلالة قاطعة على إعجازه.

أما حديثه عن قدرة العباد على التأليف والنظم على شاكلته ، فهذا أمر جلل وحيف ما بعده حيف على القرآن ، وكيف يعقل أن العرب الفصحاء البلغـاء الأقحـاح – آنذاك- وقفوا حيارى أمام بلاغة القرآن ، وبديع فصاحته ،وسر نظمه ، فلم يجدوا بدا بعدما انهزموا في الجانب البلاغي الذي اشتهروا فيه وفاقوا باقي الأمـم ، إلا أن يشهروا السيف في وجه النبي صلى الله عليه وسلم للقضاء على دعوته. أليس التوجه إلى السيف مدعاة إلى الإقرار بالعجز والغلبة أمام بيان القـرآن ؟ وهـل تقارع الحجة الكلامية بحد السيف ؟ وهل – فعلا – استطاعوا : دحر هذه المعجزة ؟

إذا كان الله جل في عليائه منع العرب وحبس عنهم العلـوم التـي تمكـنهم مـن معارضة القرآن والتأليف على نهجه ، هل استطاع العرب وغير العرب من بعـد أن يأتوا بمثل هذا القرآن ؟ وهل استطاعوا إبطال معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم ؟!.

إن القرآن – ولاشك – معجزة خالدة تحدى بها المولى عز وجل العـرب وغيـر العرب على أن يأتوا بمثله ، وسيبقى التحدي مستمرا إلى يوم الناس قاطبة ولـن يتمكن الإنس ولا الجن الإتيان بمثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيرا .

لاشك ، وأن رأي النظام وأتباعه لم يلق رواجا وشيوعا في حقل الإعجاز القرآني لما فيه من مخالفة للحق ، وبعدا عن المنطق السليم ،فالنظام يقول بالصرفة ، ولا يمكن أن تكون الصرفة وجها من وجوه الإعجاز ، لأن الله أقام التحدي ، والتحدي يستلزم المعارضة والمعارضة تستلزم إقامة الحجة والبرهان ، ولكن العرب وقتئذ عجزوا ولم يستطيعوا يومئذ، وإلى أن تقوم الساعة يظل العرب والعجم والجن

عاجزين أمام القرآن ، فأنى للصرفة والقائلين بها ؟ فرأيهم حديث خرافة ، وزيغ ، وضلال ، وتجن على القرآن وعلى صاحب الرسالة الخاتمة .

وعلى الرغم من فساد وبطلان رأيي القائلين بالصرفة ، إلا أنه كان من أهم العوامل التي ساعدت على نشأة البحث عن الوجوه الحقيقية للإعجاز القرآني ، مما دفع بعلماء الإسلام إلى تكثيف الجهود من أجل التنقير و التنقيب عن الوجوه البديلة والجديدة والتي من خلالها يتم الكشف عن أسرار القرآن ومظاهر إعجازه ومن هنا يصدق المثل العربي القائل :(رب ضارة نافعة) بمعنى أن مقولة النظام وأتباعه بالصرفة كان لها الفضل – على الرغم من فسادها – في نشأة علوم البلاغة ، وتنام البحث في وجوه الإعجاز في القرآن الكريم.

الجاحظ ورأيه في الإعجاز:(ت 255 هـ)

الجاحظ من الباحثين القلائل الذين كانت لهم بصمات واضحة المعالم منقوشة الملامح على صفحات تاريخ الفكر العربي ، ذلك أن الرجل لم يترك فنا إلا وعالجه ، ولا موضوعا إلا وطرقه ولا مسألة إلا وأدلى فيها بدلوه. فما هو وجه الإعجاز في القرآن في نظره ؟

يرى الجاحظ أن القرآن معجز بنظمه ، وهو النظم الذي انفرد به القرآن في صياغة أساليبه صياغة تنتظم بها المعاني انتظام الروح في الجسد . يقول الجاحظ :" في كتاب الله المنزل الذي يدلنا على أنه صدق نظمه البديع الذي لا يقدر على مثله العباد مع ما سوى ذلك من الدلائل التي جاء بها من جاء به "[1].

[1] - الجاحظ، الحيوان ، تح عبد السلام هارون ، مطبعة التقدم ، مصر 1323ه ،ج4 ، ص32

ومع أن الدارسين يذكرون له كتاب * نظم القرآن* ، ولكنه ضاع كما ضاعت كتب كثر ، وعلى الرغم من ذلك نجد حديثا عنه في ثنايا كتبه الأخرى كالبيان والتبيين ، والحيوان ،وغيرهما وذكره الخياط في كتابه الانتصار قائلا : " ولا يعرف في الاحتجاج لنظم القرآن وعجيب تأليفه وأنه حجة لمحمد صلى الله عليه وسلم ، على نبوته غير كتاب الجاحظ "[1] .

والجاحظ يقيم الحجة على عجز العرب واندحارهم أمام بلاغة القرآن الكريم حيث يقول : " بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم أكثر ما كانت العرب شاعرا وخطيبا ، وأحكم ما كانت لغة ، وأشد ما كانت عدة ، فدعا أقصاها و أدناها إلى توحيد الله وتصديق رسالته ، فدعاهم بالحجة، فلما أزال الشبهة وصار الذي يمنعهم من الإقرار الهوى والحمية دون الجهل والحيرة ، حملهم على حضهم بالسيف"[2].

ولم يأتوا بسورة من مثله ، بل آثروا الحرب معه لعجزهم عن مقارعته واندحاضهم ، و ظل القرآن يتحداهم ، ويقارعهم ، ويجلي عجزهم ، يقول الجاحظ : " فلم يزل يقارعهم بعجزهم وبنقصهم على نقصهم ، حتى تبين ذلك لضعفائهم وعوامهم ، كما تبين لأقويائهم وخاصهم ، وكان ذلك من أعجب ما آباه الله نبيا قط"[3].

يرى الجاحظ أن لجوء العرب إلى الحرب والقتال حجة دامغة على انهزامهم وإثباتا للإعجاز القرآني وصدق رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم .

---

[1] -أبو الحسين الخياط ، الإنتصار ، تح ،د تبيرج ، ط، دار الكتب العربية مصر ،1925، ص 154 ،155

[2] - الجاحظ ، رسالة حجج النبوة ، ضمن مجموعة رسائل الجاحظ للسندوبي .(ب ط) (د ت) ص 145، 146

[3] - مازن المبارك ، الموجز في تاريخ البلاغة ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ط6 ، 2006م، ص 37

والجاحظ ممن يحفلون بالصياغة وجودة العرض ، ورأيه أن البلاغة نظم وصياغة وإذا كان هو صاحب نظرية النظم ، فهو أعلم الناس بهذا النظم ، ففي غير موضع يشير إلى أن العبرة بالطول والامتداد ، وإلا فإنه يقع في كلامنا مثل *الحمد لله * *وعلى الله توكلنا * مما في القرآن ، وليس بشئ في النظم ولا يعول عليه .

والجاحظ – ولا ريب- كان سباقا إلى القول: بأن القرآن معجز بنظمه ، والنظم هو الأساس الذي قام عليه أسلوب القرآن ، وهو الأساس ذاته الذي حير العرب ، وأدهش الناس جميعا ." ولو أراد أنطق الناس أن يؤلف من هذا الضرب سورة واحدة طويلة ، أو قصيرة على نظم القرآن وطبعه وتأليفه ومخرجه لما قدر عليه، ولواستعان بجميع* قحطان* و *معد بن عدنان *[1]

من خلال هذا القول، وأقوال أخرى يتضح لنا جليا أن الجاحظ كان إمام القائلين بأن القرآن معجز بنظمه ، وحاز بذلك قصبات السبق .

ورأي الجاحظ يعد عمدة الآراء في مسألة الإعجاز، وهو الذي مهد الطريق لمن جاؤوا بعده وساروا على نهجه .

ومن ثم ، فالنظم هو الوجه الرئيس في قضية الإعجاز في القرآن ، وفيه تبرز روائع القرآن ، ومظاهر إعجازه وملامحه .

يقول إحسان عباس في معرض حديثه عن النظم كوجه من وجوه الإعجاز وأسبقية الجاحظ إلى هذا الوجه : و"لأن الجاحظ كان قد سبق جميع النقاد إلى اعتبار النظم سر الإعجاز "[2].

---

[1] - الجاحظ ، رسالة حجج النبوة ، ضمن مجموعة رسائل الجاحظ السندوبي .(ب ط) (د ت) ، ص 120
[2] إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ،دار الثقافة ، بيروت، لبنان ، ط4 ،1983 م ، ص 337

وهذا الوجه تأثر به حتى المتأخرون من أمثال الباقلاني ، الجرجاني ، والزركشي في البرهان، فتراهم يحومون حول براهين الجاحظ في الإعجاز ، ولا عجب . فالجاحظ يري أن النظم على صورة مخصوصة ، وفـي امتـداد رحـب ، هـو المعرض الذي تتجلى فيه ملامح الإعجاز .

الرماني ورأيه في الإعجاز :(ت 382 هـ)

درس الروماني قضية الإعجاز في القرآن الكريم، ووقف من خلال دراسـته على **سبعة أوجه تتمثل في النقاط التالية :**

1- ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة .
2- الصرفة
3- البلاغة
4- قياسه بكل معجزة
5- الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية
6- التحدي للكافة
7- نقض العادة.

إلا أن الرماني اعتبر البلاغة من أبرز وجوه الإعجاز في القرآن الكـريم ،حيـث اتضح له أن الصنعة الإلهية تتميز و تتفرد عن الصنعة البشرية ، ومن ثـم نـراه وضع حدا للبلاغة متأثرا بالباحثين اليونان للأسلوب فهو **ثلاثة أنـواع** : رفيـع ، متوسط وعادي .

يقول الرماني : " فأما البلاغة فهي على ثلاث طبقات : منها ما هو في أعلى طبقة ومنها ما هو في أدنى طبقة ، ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة، فما كـان في أعلاها طبقة فهو معجز ، وهو بلاغة القرآن ، وما كان دون ذلك ، فهو ممكن كبلاغة البلغاء من الناس "[1]

من خلال هذا التصنيف لمراتب البلاغة نلحظ أن الرماني خص القـرآن الكـريم بالطبقة العليا "فما كان في أعلاها طبقة فهو معجز ، وهو بلاغة القرآن "[2] ، ويرى أيضا أن الكلام من حيث التناسب والتلاؤم على ثلاثة أقسام : متنافر مـتلائم فـي الطبقة الوسطى ، و متلائم في الطبقة العليا ، بمعنى :متنافر، ووسط وفي أعلـى مرتبة .والقرآن في أعلى مرتبة حيث يقول : "ومتلائم في الطبقة العليا القرآن كله ، وذلك بين لمن تأمله "[3].

إلى جانب هذا ، قد لمح الأثر النفسي للبلاغة لكي يجعل المعجز منها أشد تأثيرا، وذلك من خلال تعريفه للبلاغة بأنها إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صـورة في اللفظ[4].

وتعريفه للبلاغة يجمع بين الجوانب الفنية ، والجوانب النفسية ، وإذا مـا التقـى الجانبان وقع الأثر ، وكذا ، لأن جودة النظم الهدف منها التأثير في النفس . ولأن النفس تذهب فيه كل مذهب كما نقول اليوم يفسح المجال للمتلقي.

[1] - الرماني ، النكت في إعجاز القرآن ، تح .محمد زغلول سلام ، دار المعارف مصر ، ط3 ،ص69
[2] - م ،ن ،ص 95
[3] - م ،ن ،ص 95
4- م ،ن ،ص 69

الخطابي ورأيه في الإعجاز :(ت 388 هـ)

يعتبر أسبق الباحثين عن الإعجاز بطريقة علمية منظمة، لأن الخطابي يرى منذ الوهلة الأولى حقيقة ، وهي تعذر إدراك وجوه الإعجاز في القرآن مع محاولة ذلك من كل واحد .

ويعقب عبد الكريم الخطيب بأن ذلك هو عين الصواب ، لأن ذلك ليس علما فهـو لا يخضع لمقاييس[1] .

وأما كون القرآن معجزا فلا شك فيه ولا يحتاج إلى دليل ،وضرب مثالا بالعطشان الذي معه ماء وهلك ، ولم يشرب ، فهو غير قادر.

يقول الخطابي : " ومعلوم أن رجلا عاقلا لو عطش عطشا شـديدا خـاف منـه الهلاك على نفسه وبحضرته ماء معرض للشرب فلم يشربه حتى هلـك عطـشا لحكمنا أنه عاجز عن شربه ، غير قادر عليه ، وهذا بين واضح لا يشكل علـى عاقل "[2].

والخطابي ينكر جل وجوه الإعجاز ما عدا النظم ، ولذلك ألفيناه يرد على القائلين بالصرفة بقوله تعالى : "لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيرا"[3]

[1] - ينظر ، عبد الكريم الخطيب ، إعجاز القرآن ، الإعجاز في دراسات السابقين ، دار الفكر العربي، القاهرة ، ط1 ،1974م ،ص 183
[2] - ن .م ، ص 184
[3] - الإسراء : الآية 88

كما رد على القائلين بالإعجاز من ناحية الإخبار بالغيوب ، بأن ذلـك لا يمـس القـرآن جميعه.

وقال الخطابي بأن الإعجاز إنما هو في النظم (النظم ، واللفظ ، والمعني).

وهو يري أن كثيرا رأى هذا الرأي (أي الإعجاز من جهـة البلاغـة) ولكـنهم عجزوا عن تعليله ؛ لأنهم احتكموا إلى أذواقهم بعيـدا عن الرأي والمنطـق يقول : "ذهب الأكثرون من علماء النظم إلى أن وجه الإعجاز فيه من جهـة البلاغة ، لكن صعب عليهم تفصيلها وصغوا إلى حكم الذوق "[1] .

ويري أن تعذر الإتيان بمثله ، لأن العرب مع بلاغتهم لا يحيطون بجميع أساليب اللغة البديعة .

وتفطن إلى عامل نفسي ، وهو صنيع القرآن وتأثيره في النفوس وقوة أسره، وهو وجه من وجوه الإعجاز يقول الخطابي : " وذلك صنيعه بالقلوب ، وتـأثيره فـي النفوس ، فإنك لا تسمع كلاما غير القرآن منظوما أو منثورا – إذا قـرع الـسمع خاص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال ، ومن الروعـة والمهابـة فـي أخرى- ما يخاص من القرآن إليه "[2]

ورأي الخطابي في مسألة الإعجاز يتلخص في أن القرآن معجز بنظمه ، وروعة تأليفه ، وصحة معانيه ، وفصاحة ألفاظه ، ومدى تأثيره في النفوس وسريانه فـي القلـوب،ومن العلماء من يجعل هذا الصنيع والتأثير أسمى وجوه الإعجاز في القرآن، ويبين الخطـابي عن رأيه في كيفية إعجاز القرآن :"أن القرآن إنما صار معجزا،لأنه جاء بأفصح الألفاظ ، وفي أحسن نظوم التأليف، مضمنا أصح المعاني "[3].

---

[1] - عبد الكريم الخطيب ، إعجاز القرآن ، ص 188
[2] - م .ن ،ص 192
[3] - عبد العظيم إبراهيم محمد المطعنى ،خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1992،1،ص143

إلى جانب ذلك ألفيناه يرد على ثلاث فرق :

أ- أصحاب الصرفة .

ب- أصحاب الإخبار بالغيوب .

ج- معتمدي التفسير الذوقي.

وجاء بثلاث رؤى:

أ- قال بالإعجاز في النظم.

ب- قوة الأسر.

ج – إحاطته بالأساليب مما لا يوجد عند العرب.

الباقلاني ورأيه في الإعجاز(ت 403هـ)

عد الدارسون والباحثون كتاب إعجاز القرآن للباقلاني من خيرة الكتب التي ألفت في باب الإعجاز ، لأنه من الكتب التي اتسمت بالشمول والعمق في الطرح وقوة الاستدلال ، ولذلك وصفه ابن العربي قائلا : " ولم يصنف مثله"[1].

والمتأمل في الكتاب يجد أن الباقلاني أوضح أن القرآن في حد ذاته دليل قاطع على صدق نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، كما أنه معجزته الخالدة .ثم أشار إلى الغاية التـي من أجلها ألف هذا الكتاب ،والمتمثلة في أن الملاحدة طعنوا في القرآن وساووا بينه وبين الشعر .كما ذكر كتاب الجاحظ الموسوم ب (نظم القرآن) وقال : أنه غيـر كـاف علـى الرغم من أن هذا الكتاب كما تروي الأخبارقد ضاع كما ضاعت نفائس كثيرة من التراث العربي .

[1] - البرهان في علوم القرآن، ج2، ص101

يرى الباقلاني أن القرآن معجزة ، لأنه تقع به الهداية ، وليبرهن على هذه القـضية أورد آيات قرآنية كثيرة منها قول الحق تبارك وتعالى: " آلر كتاب أنزلناه إليك لتخرج النـاس من الظلمات إلى النوربإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد "[1]، فالقرآن الكريم جاء لهداية الناس إلى الصراط المستقيم ، وإرشادهم إلى طريق الحق ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، وجاء ليصحح اعتقادهم ، ويدعوهم إلى التمسك بتوحيد الله وعبادته حق العبـادة فالله عز وجل غني عن العالمين ، لايريد منهم جزاء ولا شكورا وصدق الله إذ يقـول: " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمـون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين "[2].

ويذهب الباقلاني إلى أبعد من ذلك حيث يرى أن سماع القرآن وشدة أسره وقـوة تـأثيره دلالة على أن القرآن معجزة النبي محمد صلى الله عليه وسلم مستدلا على ذلـك بقولـه تعالى : "وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله "[3]، يقول الباقلاني : " فلولا أن سماعه حجة لم يوقف أمره على سماعه ، ولا يكون حجة إلا وهو معجزة "[4]

وتتجلى نظرة الباقلاني إلى قضية الإعجاز القرآني في أن القرآن الكريم معجز من وجوه ثلاثة :

1- الإخبار عن الغيوب ، ذلك مما لا يقدر عليه البشر ، ولا سبيل لهم إليه .

2- أمية الرسول صلى الله عليه وسلم .

3- بديع النظم ، عجيب التأليف متناه في البلاغة إلى حد الإعجاز

[1] -إبراهيم الآية 1،2
[2] - الذاريات الآيات ، 56،57،58
[3] - التوبة ، الآية 6
[4] - الباقلاني ، إعجاز القرآن ، (ش،ت) د.محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ،، بيروت ، ط1 ، 1411ه/ 1991 ، ص 56

إذن يمكن القول في الكشف عما في نظم القرآن من إعجاز يمكن حوصـلة رأيـه فـي النقاط الآتية :

1- مايرجع إلى الجملة (جملة القرآن كله)، فهو قرآن وليس من أسـاليب الخطـاب المعروف عندهم .

2- اشتماله على بديع الألفاظ ، وغريب التركيب ، وأجـود المعـاني مـع الامتـداد والتناسب.

3- عدم التفاوت في نظمه مهما امتد ، وطال .

إلى جانب ذلك نفي الشعر والسجع عن القرآن ، وتكلم عـن البـديع وأبوابـه وقسمها إلى ثلاثين نوعا يذكر فيها الشواهد القرآنية ، والأحاديث النبوية الشريفة ، وأقوال الصحابة والأشعار ، وقد يعمد إلى تقديم تعريف للنوع قبل ذكر الشواهد كما فعـل فـي حديثه عن المقابلة والمساواة والإشارة ، والتجنيس ...الخ .

وينفي أن يكون إعجاز القرآن راجعا إلى ما فيه من بديع ، وفي هذا يقول : "لاسبيل إلى معرفة إعجاز القرآن من البديع الذي ادعوه في الشعر ، ووصفوه فيه وذلك أن هذا الفـن ليس ما يخرق العادة ، ويخرج عن العرف ،بل يمكن استدراكه بالتعلم والتـدرب بـه ، والتصنع له ، كقول الشعر، ورصف الخطب ، وصناعة الرسالة ، والحذف في البلاغـة)[1].

وفي كيفية الوقوف على إعجازالقرآن وإدراك كنهه ، يقول : " قد بينا أنه لا يتهيألمن كان لسانه غير العربية من العجم والترك وغيرهم أن يعرفوا إعجاز القرآن ، إلا أن يعلموا أن العرب قد عجزوا عن ذلك . فإذا عرفوا هذا بأن علموا أنهم قد تحدوا على أن يأتوا بمثله

[1] - الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص 162

وقرعوا على ترك الإتيان بمثله ، ولم يأتوا به ، وبينوا أنهم عاجزون عنه ، و إذا أعجز أهل اللسان فهم عنه أعجز "[1].

أما عن التحدي ، فألفيناه يرى أنه ضرورة لإثبات صدق نبوة الرسول صـلى الله عليـه وسلم ، وصدق دعوته.

كما يعرض الباقلاني وجوه البلاغة العشرة كما عرضها الرماني .

بالإضافة إلى أن كتابه يحتوي على قصيدة امرئ القيس ، ولامية البحتري ، ونقد أدبـي لهما.

إن رأي الباقلاني في قضية الإعجاز القرآني ، يتبلور فـي أن القـرآن معجـز بنظمه ، فالنظم هو السمة المميزة له عن سائر الكلام البشري و أن بنيته مستغرقة لجميع آي القرآن الكريم ، ومن ثم : " ونظم القرآن جنس متميز ، وأسلوب متخصص وقبيـل عن النظير متخاص "[2] فالنظم القرآني في نظر الباقلاني نسيج وحده ، بـل هـو وحـدة متكاملة تستغرق كل القرآن الكريم . يقول الباقلاني : "ونظم القرآن في مؤتلفه ومختلفه ، وفي فصله وافتتاحه واختتامه ، وفي كل نهج يسلكه ، وطريق يأخذ فيه وباب يتهجم عليه ووجه يؤمه ، على ما وصفه الله تعالى به – لايتفاوت - ولا يخرج عن تشابهه وتماثله "[3] ومن هنا ، فإن النظم القرآني من وجهة الباقلاني يغاير ويخالف كلام الإنس والجن ومـن ثم " إن نظم القرآن وقع موقعا من البلاغة يخرج عن عادة كلام الجن ، كما يخرج عـن عادة كلام الإنس "[4]

[1] -المصدر السابق ، ص 165
[2] - ثلاث رسائل في الإعجاز القرآن ، ص 25
[3]- الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص 279
[4]- المصدر نفسه ،ص 55،56

ومن هنا نجد أن الباقلاني أصاب كبد الحقيقة التي توصل إليها من خلال دراسته لقضية الإعجاز القرآني ، ومن خلال تقليب وجهات نظره في الكلام المنظوم والمنثور ليصل ، وعن يقين إلى أن القرآن كلام الله المعجز ، فوق طاقة البشر ، وصدق الله إذ يقول على لسان نبيه محمد صلى الله وسلم : " قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي "[1] وقول الحق تبارك وتعالى : (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى)[2]

عبد القاهر الجرجاني ورأيه في الإعجاز (ت 471، 474هـ)

يرى الجرجاني أن قضية الإعجاز القرآني تأتي على قمة الهرم بالنسبة لاهتمامات العلماء والباحثين ذلك أن إدراك الإعجاز القرآني لايتم إلا بدراسة متأنية واعية لخصائص التعبير التي تجعل بعضه يعلو بعضا حتى يصل إلى درجة تنقطع عندها الآمال في معارضته ، وهي درجة الإعجاز.

والجرجاني في دراساته البلاغية ينطلق من إحساس عميق يتمثل في أن الدراسات القرآنية تنبني أساسا على قضية الإعجاز.

والباحث عن آراء الجرجاني في قضية الإعجاز يجدها مبثوثة ضمن كتبه الثلاثة :

أ- دلائل الإعجاز.

ب- أسرار البلاغة .

ج -الرسالة الشافية .

وتتلخص آراؤه في عناصر ثلاثة :

أ- القرآن معجز ببلاغته.

ب- بلاغة القرآن تكمن في نظمه ، فإعجازه في نظمه.

ت- بيان طبيعة النظم وما هيته .

---

[1] - الكهف الآية :105

[2] - النجم الآية : 3،4

فالجرجاني يربط قضية الإعجاز في القرآن الكريم بالنظم ، ولذلك ألفيناه يـرفض جميـع الوجوه التي قيلت في الإعجاز ، من صرفة إلى إخبار بالغيوب ، إلـى ذكـر قـصص الغابرين ...وغيرها من تلك الوجوه ، ويتخذ من النظم مطية لإثبات إعجاز القـرآن دون سائر الوجوه الأخرى ، لأنه يرى أن النظم والتأليف يستغرقان جميع القرآن.

نفى أن يكون الإعجاز في الألفاظ المفردة ، لأن الألفاظ المفردة جرت على ألسنة العرب قديما قبل نزول الوحي ، كما رأى –أيـضا – أن الإعجـاز لا يكـون فـي الفواصـل والأجراس ، والإيقاع ، لأن العرب تمرست بالوزن والقافية من خلال إبداعاتها الشعرية ، وكذلك أن الإعجاز في نظره لآيتأتى من باب الاستعارة .

إذا أين يكمن الإعجاز في نظره ؟

يجيب الجرجاني : "فلم يبق إلا أن يكون الإعجاز في النظم والتأليف "[1]

وفي معرض حديثه عن الألفاظ يرى الجرجاني أن اللفظة المنفردة المعزولة عن الـسياق لا قيمة لها ، ولا تفاضل بينها وبين أختها مالم تكن داخل سياق ما ؛ لأن السياق هو الذي يؤدي إلى إحداث تناسق في الدلالة ، وبالتالي يؤدي إلى إبراز المعنى، وفي هذا يقول : " إن الألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التأليف ، وحسن الترتيب ويعمد بها إلـى وجه دون وجه من التركيب والترتيب)[2]

ومن هنا نلحظ أن جودة الصياغة ، وروعة التأليف ، وحسن الترتيب ، ومدى مواءمـة الألفاظ بعضها البعض مكمن الجمالية المعنوية للألفاظ ، لـذلك لاحـظ الجرجـاني أن الألفاظ لا تتفاضل فيما بينها وهي منفردة مجردة ، وإنما يتم لهـا التفاضـل إذا كانـت منتظمة في سياق مضمومة بعضها إلى بعض ، ملائمة للمعنى ، مـسبوكة سـبكا جيـدا فاللفظ لا يمكنه بحال من الأحوال أن ينفصل عـن المعنـى ،فـاللفظ والمعنـى أمـران متلازمان .

[1] - الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 274
[2] - الجرجاني ، أسرار البلاغة ، تح ، مصطفى شيخ مصطفى ، ميسر عقاد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1، 2007 ، ص 10

وإلى هذا أشار ابن رشيق قائلا : " اللفظ جسم وروحه المعنى ، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم ، يضعف بضعفه ، ويقوى بقوته "[1]

ومن ثم ، فالجرجاني يلح إلحاحا شديدا ومستمرا على أن النظم هو السبيل الأوحد للكشف عن مظاهر الإعجاز في القرآن ، لذلك يكرر دلالة النظم في مواضيع كثيرة من كتابه دلائل الإعجاز ، حيث يقول : " واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك ، فلا تخل بشيئ منها)[2]

وفي مواضع كثيرة من كتابه الدلائل ينوه بإجماع رأي العلماء على فضيلة النظم ، وعلو شأنه ، وسموق قدره ، حيث يقول :" وقد علمت إطباق العلماء على تعظيم شأن النظم ، وتفخيم قدره ، والتنويه بذكره ، ولإجماعهم أن لا فضل من عدمه ، ولا قدر لكلام إذا هو لم يستقم له ، ولو بلغ في غرابة معناه ما بلغ)[3]

أن الجرجاني يرى أن القيم الفنية الجمالية في الإبداع تتأسس على نظرية النظم حيث جعل النظم محكا جوهريا ينبني عليه النقد ، ومعيارا أساسيا في بيان القيمة الفنية من حيث الجمال ، أو القبح ، ينضاف إلى ذلك ، يرى الجرجاني أن النظم هو السبيل الأمثل والأوحد الذي يوجه الأذواق إلى مواطن الجمال ، ومكامن الإبداع في العمل الإبداعي والكشف عن سحره البياني ، كما يسفر عن مراتب الكلام.

ومن ثمة يمكن القول : ليس هناك ما يدع مجالا للشك في أن نظرية النظم كان لها بالغ الأثر في الدرس النقدي قديما وحديثا ، حيث ألفينا الكثير من الباحثين والدارسين تلقفوا هذه النظرية ، وجعلوا منها أسا يهرعون إليه في تناول الأعمال الإبداعية على مختلف مشاربها ومصباتها بالنقد والتحليل .

---

[1] - ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه تح ، محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة 1963، ص 124
[2] - الجرجاني ،دلائل الإعجاز في علم المعاني ، تح ، عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1422ه ، 2001م ، ص 60
[3] - الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 63

فالنظم – ولا ريب – سمة الإبداع ، ودلالة العبقرية ، فالتمايز لدى الأدباء يبرز في مدى قدرتهم على نظم الكلام .

الزمخشري ورأيه في الإعجاز (ت 538هـ):

يرى الزمخشري أن الإعجاز القرآني يكمن في مسألتين اثنتين هما :

أ- الإعجاز بالأخبار الغيبية .

ب- الإعجاز بالنظم .

يشير الزمخشري إلى أن ماذكره القرآن الكريم من أخبار غيبية لدلالة صادقة على أن القرآن معجزة دالة على نبوة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ومن هنا نراه يقول : و" صدق الأخبار عن الغيوب معجزة "[1].

أما في معرض حديثه عن مواطن الجمال في القرآن الكريم وأسراره يقول :" وهذه الأسرار و النكت لا يبرزها إلا علم النظم ، وإلا بقيت محتجبة في أكمامها "[2]

والزمخشري متأثر بالجرجاني في القول * بالنظم * ، لأن الآراء التي جاء بها الجرجاني في النقد والبلاغة ، والتي استوحاها من نظرية النظم ، استقطبت العلماء أيما استقطاب ، وراحوا يجعلون منها دروسا تطبيقية في دراساتهم وتآليفهم ، وكان على رأس هؤلاء الزمخشري ، حيث جاء سفره *الكشاف* في تفسير القرآن دروسا تطبيقية محضة لآراء الجرجاني النقدية ، ونظراته البلاغية الثاقبة ، وفي هذا الصدد يقول صلاح رزق : " وتجد أفكار الجرجاني النقدية ورؤيته البلاغية الواعية صداها عند الدارسين والمفسرين ،

---

[1] - الزمخشري ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التاويل ، المطبعة العامرة الشرقية (د.ت) ،ط1، ج ح ، ص 385

[2] - المصدر نفسه ، ج2 ، ص 302

فتتمثل درسا تطبيقيا ناضجا على يد الزمخشري في كشافه"[1]

والمتأمل في * الكشاف* يقف مشدوها أمام تلك الجماليات التي استنبطها الزمخشري أثناء تفسيره لآي الذكر الحكيم ، كما تستوقفه تلك الاستنتاجات الغنية بالملحوظات اللغوية والتفسيرات البلاغية الرائعة ،والتي زادت في إثراء المعاني ، وخدمت قضية الإعجاز القرآني ، وأوضحت جمالياته ، وروائعه ، يقول صلاح رزق مشيرا إلى روعة الدرس التطبيقي لدى الزمخشري مبينا ." فكان درسا زاخرا بصور التحليل الجمالي للنظم على نحو يتضح معه التركيز على إثراء المعاني ، وتميز كيفية تقديمها من خلال نهج بياني مخصوص "[2].

وخلاصة القول : أن الزمخشري كان في نظرته إلى قضية الإعجاز في القرآن الكريم مطبقا أكثر منه منظرا ، فكان أمينا لنظريات ورؤى عبد القاهر الجرجاني التي رسمها في كتابه دلائل الإعجاز .

السكاكي ورأيه في الإعجاز (ت 626هـ) :

يرى السكاكي أن القرآن معجز بالنظم ، كما قال عبد القاهر الجرجاني من قبل وأن الإعجاز في نظره لا يمكن إدراكه ، والوصول إلى أعماقه ، والوقوف على جمالياته وأسراره إلا بالذوق ، والدربة والمران على أساليب العرب ، وكلامها البليغ وطول خدمة علم البلاغة .

يورد السكاكي وجوها أربعة للإعجاز القرآني وهي :

1- الصرفة.
2- الأسلوب من حيث الإبتداء.
3- سلامته من التناقض.
4- اشتماله على الغيوب.

[1] - صلاح رزق ، أدبية النص ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، ط1 ، 1989م ، ص 42
[2] -المرجع نفسه ، ص 42 ، 43

ولكنه لم يرتض واحدا من هذه الوجوه ، بل ألفيناه يفندها واحدا واحدا ويبطلها جميعا ثم ينبه إلى أمر مهم عده السبيل الأوحد في تحديد وإدراك الإعجاز القرآني ، وهـو الوجـه البلاغي ، ذلك أن الإعجاز في نظره من جنس البلاغة والفصاحة ، وهـذا لا يتـأتى إلا بطول خدمة علميهما : المعاني والبيان ، وفي هذا السياق يقول : "واعلم أن شأن الإعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه ، كاستقامة الوزن : تدرك ولا يمكن وصفها ، وكالملاحة "[1]

إذن ما المحك عنده لإدراك مكامن الإعجاز وأسراره ؟

يجيب السكاكي قائلا : "ومدرك الإعجاز عندي هو : الذوق ليس إلا ، وطرائق اكتـساب الذوق طول خدمة هذين العلمين "[2] ويعني بالعلمين : علم البيان وعلم المعاني .

ومن هنا يتضح لنا جليا أن السكاكي لم يأت بجديد في قضية الإعجاز القرآنـي ، وإنمـا سار في فلك من سبقه من العلماء من أمثال : (الرماني ،والخطـابي ، والبـاقلاني ...) وغيرهم ، القائلين بأن البلاغة هي الوجه الأمثل في قضية الإعجاز القرآني .

---

[1] - السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص526

[2] المرجع نفسه ، ص ن

الزركشي ورأيه في الإعجاز (ت 794هـ) :

نوه الزركشي في مستهل حديثه عن الإعجاز القرآني بأهميته ، وجلال قدره وعلو شأنه ، وسموق منزلته ، لأن هذا الباب يعد عصب الدراسات القرآنية ، والأساس الذي تأسست عليه علوم اللسان جميعها (كاللغة ، والنحو ، والبلاغة...) وغيرها .
يقول : "وهو علم جليل ، عظيم القدر ، لأنه نبوة النبي صلى الله عليه وسلم معجزتها الباقية القرآن ، وهو يوجب الاهتمام بمعرفة الإعجاز "[1]، ويتضح لنا من خلال هذا القول أن الشاهد الحقيقي على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، القرآن الكريم ، ومن ثم وجب معرفة الإعجاز ووجوهه . ويستدل الزركشي بقول الحق تبارك وتعالى : " وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ")[2].

ثم يعقب على هذه الآيات بقوله : " فأخبر أن الكتاب آية من آياته ، وأنه كاف في الدلالة قائم مقام معجزات غيره ، وآيات سواه من الأنبياء"[3].

ثم أشار إلى مراحل التحدي التي تحدى بها القرآن العرب كافة ، على الرغم من فصاحة العرب وتفوقها في أفانين القول ، ونبوغها في البيان ، وذيوع صيتها في المجالات البلاغية ، ورغم ذلك تحيرت واندهشت أمام بيان القرآن ، وروعة أساليبه ، وبديع نظمه. ويصور الزركشي هذا المشهد بقوله:" ولما جاء به صلى الله عليه وسلم إليهم –وكانوا أفصح الفصحاء ومصاقع الخطباء – تحداهم على أن يأتوا بمثله ، وأمهلهم طول السنين فلم يقدروا ... واعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم تحدى العرب قاطبة بالقرآن "[4]

[1] - البرهان في علوم القرآن ، ج2 ، ص 59
[2] - العنكبوت ، الآيتان 50،51
[3] - البرهان في علوم القرآن ، ج2 ، ص 59
[4] - المصدر نفسه ، ص ن

ثم يستوقفنا الزركشي عند الحقيقة المسلمة والمتمثلة في أن القرآن معجز مافي ذلك شـك وستظل هذه الحقيقة السرمدية باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، كابرا عن كابر وجاحد من جحد ، ولذلك يقول الزركشي : " ولا خلاف بين العقلاء أن كتاب الله معجـز واختلفوا في إعجازه "[1].

ثم سرد أقوال من تناول قضية الإعجاز في القرآن ، التي بلغت اثني عشر قولا اسـتهلها بقول النظام المعروف بالصرفة وفحواه : أن الله صرف العرب عن معارضته ، وسـلب عقولهم ، وكان مقدورا لهم لكن عاقهم أمر خارجي ، فصار كسائر المعجزات . ولكـن الزركشي أبطل هذا الرأي . وبين أنه فاسد بدليل قوله تعالى:" قل لئن اجتمعـت الإنـس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيرا"[2]
وأبان –أيضا- فساد هذا الرأي وبطلانه من زاوية أخرى ، وهو زوال الإعجاز بـزوال زمان التحدي "[3].
وهذا مخالف لرأي الجمهور وإجماعهم على أن معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم باقية خالدة إلى يوم الدين .
ثم أشار إلى رأي ابن الزملكاني في كتابه *البرهان الكاشف * والمتمثل فـي أن وجـه الإعجازراجع إلى التأليف الخاص به لا مطلق التأليف [4].

ثم أشار إلى ما فيه من الإخبار عن الغيوب المستقبلية ، ولم يكن ذلك من شأن العـرب كقوله تعالى : " سيهزم الجمع ويولون الدبر"[5]. وقوله تعالى : " آلم غلبـت الـروم "[6] . وغير ذلك .

---

[1] - البرهان في علوم القرآن ، ج2 ، ص 103
[2] - الإسراء الاية :88
[3] - البرهان ، ج2 ، ص62
[4] - ينظر ، البرهان ج2 ، ص 62
[5] - القمر ، الآية 45
[6] - الروم ، الآية 1،2

ورده الزركشي ، لاستلزامه أن الآيات التي لاخبر فيها ، بذلك لا إعجاز فيها ، مع أن الله جعل كل سورة معجزة بنفسها ، وقد سلم أنه من أنواع الإعجاز ، لا أنه منحصر فيه [1].

ما تضمن من إخبار القرآن عن قصص الأولين ، كقوله تعالى: " تلك من أنبـاء الغيـب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا "[2] ورده تمثل في الرد السابق.

إخباره عن مكنونات النفوس والضمائر قبل ظهورها ، نحو قوله : " إذ همـت طائفتـان منكم أن تفشلا "[3].

الإعجاز أيضا – حصل من جهة النظم وصحة المعنى وتوالي فصاحة الألفاظ ، وصحح هذا القول ابن عطية الغرناطي بقوله :" إن الذي عليه الجمهور والحذّاق ،- وهو الصحيح في نفسه- وأن التحدي إنما وقع بنظمه ، وصحة معانيه ، وتوالي فصاحة ألفاظه"[4].

اختيار الرازي : أن وجه الإعجاز في الفصاحة، وغرابة الأسلوب والسلامة مـن جميـع العيوب ، وغير ذلك مقترنا بالتحدي [5].

اختيار الباقلاني أن الإعجاز وقع بما في القرآن من النظم والتأليف والترصـيف ، وأنـه خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب ومباين لأساليب خطاباتهم [6].

اختيار السكاكي : بأنه شئ يدرك ولا يمكن التعبير عنه.

اختيار حازم القرطاجي في منهاج : البلغاء وهو أن الإعجاز فـي القـرآن مـن حيـث استمرت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحائها في جميعه استمرارا لا توجد له فتـرة ولا يقدر عليه أحد من البشر[7].

---

[1] - ينظر البرهان ، ج2 ، ص 63
[2] - هود الآية : 49
[3] - آل عمران ، الآية : 122
[4] - في المحرر الوجيز ، ج1 ، ص 38
[5] - فخر الرازي ، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: ص 78-82 / التفسير الكبير ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1411ه ج2، ص 107 ، 109
[6] - إعجاز القرآن : 35-47
[7] - حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تح ، محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي /بيروت ، ط2، 1981م ص 389

مقالة الخطابي : إن الإعجاز في القرآن من جهة البلاغة[1] .

قول أهل التحقيق :إن الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال ، لابكل واحد على انفراده فإنه جمعها كلها ، فلا معنى لنسبته إلى واحد منها بمفرده مع اشتماله على الجميع ، بل وغير ذلك مما لم يسبق .

وبعد أن استعرض الزركشي هذه الأقوال المحكية في باب الإعجاز القرآني ، ألفيناه يعتمد القول الثاني عشر ، وهو أن الإعجاز وقع بجميع ماسبق من الأقوال لابكل وحد على إفراده ، مستثنيا بذلك قول النظام المعروف بالصرفة لبطلانه وفساده لدى جمهور العلماء . وعلى الرغم من هذا الاختيار إلا أن الزركشي لم يكن مثل أولئك الدارسين والباحثين الذين تحمسوا لنظرية النظم التي اكتملت حلقاتها عند عبد القاهر الجرجاني ، والتي تأسست عليها أغلب الدراسات ،و كأني بالزركشي أراد أن يبقي على باب الإعجاز مفتوحا على مصرعيه ، مشيرا إلى من سيأتي بعده بأن هناك وجوها جديدة للإعجاز لم يقل بها العلماء السابقون .

كما أنه حاول أن يضيف بعض الوجوه منها ماهو جديد ، ومنها ماهو مسبوق إليه . فأما المسبوق إليه فيتمثل فيما قال به كل من الجاحظ ، والرماني والخطابي ، والباقلاني وغيرهم ، وهو الوجه البلاغي ، أي بلاغة القرآن ، ونجده يشير إلى ذلك في مقدمة كتابه في معرض حديثه عن القرآن الكريم ، حيث يقول : " وقد أحكم الحكيم صيغته ومبناه ، وقسم لفظه ومعناه "[2]، وقوله أيضا :" ...وبحر لايدرك غوره ،بهرت بلاغته العقول ، وظهرت فصاحته على كل مقول ، وتظافر إيجازه وإعجازه ، وتظاهرت حقيقته ومجازه ، وتقارب في الحسن مطالعه ومقاطعه "[3].

[1] - أبو سليمان محمد بن محمد الخطابي ، بيان إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف ، مصر ، ص 23-24 ، ينظر: فخر الدين بن عمر الرازي ، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز تح ، د.بكري شيخ أمين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط1 1405هـ ، ص 78-82
[2] - البرهان ، مقدمة المؤلف ، ص 19
[3] - م ن ، ص ن

كذلك ماسبق إليه قولهم : بالروعة التي تلحق قلوب سامعيه عند سماعه ، أو ما عبر عنه الخطابي بروحانية القرآن ، ولعل هذا الوجه أشار إليه لفيف من العلماء منهم : الخطـابي والقاضي عياض ، والزركشي وغيرهم .

ويشير أحمد جمال العمري إلى أن هذا الوجه يمثل حجر الزاوية في قضية الإعجاز إن لم يكن هو الإعجاز كله ، يقول :" فهذا الوجه في رأينا – هو عمدة وجوه الإعجـاز علـى الإطلاق ، إن لم يكن وحده وجه الإعجاز ... فالروعة التي تعتريهم عند تلاوته هي مناط الإعجاز الحقيقي، وهي المعجزة القائمة فيه أبدا الدهر وإلى أن يـرث الله الأرض ومـن عليها)[1].

أما إضافاته فتمثلت في النقاط الآتية :

1- أن القرآن لم يزل غضا طريا في أسماع السامعين ، وعلى ألسنة المقرئين .

2- جمع القرآن بين صفتي الجزالة والعذوبة ، وهما كالمتضادين ، لا يجتمعان غالبـا في كلام البشر .

3- ما ينتشر فيه عند تلاوته من إنزال الله إياه في صورة كلام هو مخاطبة مـن الله لرسوله صلى الله عليه وسلم تارة ، ومخاطبة أخرى لخلقه بجميع أصـنافهم دون اختلال في الأسلوب .

4- جعله آخر الكتب غنيا من غيره ، وجعل غيره من الكتب المتقدمة قد يحتاج إلـى بيان يرجع فيه إليه [2] كما قال تعالى : " إن هذا القرآن يقص على بني إسـرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون "[3].

ولعل الأمر اللافت للانتباه في قضية الإعجاز القرآني يتجلى فـي أن جمهـور العلمـاء ينوهون بفضل البلاغة ، ومدى تأثيرها في الإعجاز ، فلذلك وجدنا الزركشي على الرغم

---

[1] - أحمد جمال العمري ، مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري ،دار المعارف ، القاهرة (د ط) ، (د ت) ، ص 211

[2] - ينظر ، البرهان ، ج2 ،ص 71

[3] - النمل ، الآية :76

من ميله إلى رأي المحقيقين من العلماء إلا أنه نوه كغيره من الدارسين والباحثين بـأثر البلاغة في الإعجاز ، حيث يقول : "...وذلك من أعظم وجوه البلاغة والإعجاز"[1].

تبقى مسألة أخرى في قضية الإعجاز عند الزركشي ، والتي عنّت لنا من خـلال تتبعنـا لأهم الآراء والوجوه التي عرض لها ، كما تعرضنا أيضا لأهمها قبل ولـو جنـا لآراء الزركشي ، وتمثلت في بعض المآخذ التي أخذت عليه ، **ويمكن حوصلتها فـي نقطتـين هامتين وهما :**

1- لم يتتبع التسلسل التاريخي لآراء العلماء حتى يتبين لنا الـسابق مـن اللاحـق ، وتتضح لنا الآراء المتقاربة والمتفاوتة .

2- ذكر أن التحدي للإنس دون الجن ، لأن الجن ليسوا من أهل اللـسان العربـي ، وهذا الرأي مردود بدليل قوله تعالى:" إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به "[2] وقول الحق تبارك وتعالى :" وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا ، فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين وقالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم "[3]. وقال ابن حزم وكذلك قوله : " قل لئن اجتمعت الإنس والجـن علـى أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا "[4] عموما كل إنس وجن أبدا لايجوز تخصيص شئ من ذلك بغير نص ولا إجماع [5].

---

[1] - البرهان ،ج2،ص 71
[2] - الجن ، الآية 1-2
[3] - الأحقاف الآية 28-29-30
[4] - الإسراء ، الآية :88
[5] - أبو محمد بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، تح د. محمد إبراهيم نصر و د.عبد الرحمان عميرة ، شركة مكتبات عكاظ ، جدة ، ط1 ، 1402ه ج3، ص 26

قصارى القول في قضية الإعجاز القرآني لدى الزركشي أن القرآن معجـز مـن جميـع الوجوه ، باستثناء رأي النظام الذي أجمع العلماء على فساده وبطلانـه ، ونحـن نـضم صوتنا إلى صوت الزركشي ومن لف لفه وذهب مذهبه ، وكما نرى أن القـرآن لايقـف إعجازه في اللغة والعلم فحسب ، بل تعدى إلى كثير من الصور التي تثبت على أنه منزل من عند الله لاسيما في عصرنا الحالي ، فالقرآن منهل لاتنقضي عجائبـه ، ولا تنتهـي غرائبه ، وهوتبيان لكل شئ .

وصدق الله العظيم إذ يقول: "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهـم أنـه الحق "[1].

من خلال الآراء التي سبق ذكرها يمكننا أن نحوصل وجوه الإعجاز في القرآن الكـريم في النقاط الآتية :

1- جزالة الأسلوب وقوته في كل ما يتعرض له على الرغم من تباين الموضـوعات واختلافها.
2- إخباره عن قصص الأمم الماضية .
3- التشريع الرباني الهادف إلى إسعاد البشرية في الأولى والآخرة.
4- بلاغته النادرة التي عجز أمامها فطاحلة العرب أوفرسان البيان ،فبلاغته بحر لجي لاساحل له.
5- نبالة الهدف في القرآن ، وسموق الروح ، فهو كتاب متكامل المنهج في دعوتـه إلى إقامة الحياة الصحيحة في كل جنباتها ، واتجاهاتها.
6- جلال أثره الأدبي في لغة العرب ، وحياتهم وأدبهم .
7- السهل الممتنع في أسلوبه ، ووضوحه ، وجماله وجزالته.
8- الإعجاز العلمي المبدع الذي يثبت يوما بعد يوم صحة هذه المعجـزة ، وصـدق رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم .

[1] - فصلت الآية 53

9-خلوده وبقاؤه على مر الأيام والأحقاب والأمكنة ، مع عجز الناس عن معارضـته رغم أنه تحدى ولا يزال إلى أن تقوم الساعة.

البلاغة وعلاقتها بالإعجاز :

لقد ارتبط علم البلاغة ارتباطا وثيق الصلة بقضايا الإعجاز في القرآن ، ويتضح ذلك من خلال الكم الهائل من الكتب التي ألفها الأسلاف ، والتي توحي عناوينها المقترنة بمصطلح الإعجاز ، ككتاب إعجاز القرآن للباقلاني ، ودلائل الإعجاز للجرجاني ، ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للفخر الرازي وغيرها .

وكان الهدف الأسمى الذي تسعى إليه البلاغة يتمثل في الوصـول إلـى إدراك جـوهر الإعجاز في القرآن .

ولا جرم أن قضية الإعجاز في بداية أمرها لم تكن مطروحة لدى العرب الأوائل الـذين أدركوا أسرار القرآن بملكاتهم الفطرية ، وجبلتهم اللغوية ، وقرائحهم الوقادة في مجـال القول ، وروائع الكلام.

إلا أن قضية الإعجاز بعد ذلك عرفت نقاشا وجدالا حادين بين علماء الكـلام ، خاصـة المعتزلة والأشاعرة ، وصارت قضية الإعجاز من القضايا الفكرية الهامة ، والتي تحتاج إلى الاستدلال والتعليل العلميين .

ومن هنا صارت البلاغة مطية من أهم المطايا التي ركبها العلمـاء مـن أجـل إقامـة البراهين والحجج على الإعجاز والرد بها على الخصوم والأعداء .

كيف لا ، والقرآن الكريم نزل في أمة تجلببت بجلباب البيان والفصاحة والبلاغة ، وكان التحدي القرآني للعرب بيانيا قبل كل شيئ . ولذلك تكاد كلمة العلماء تتفق على أن القرآن معجز في نظمه وتأليفه ، وبديع أسلوبه . وما نظرية النظم التي اكتملت أدواتها لدى عبد القاهر الجرجاني في كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة لأكبر دليل على ذلك .

ومامن شك في أن القرآن الكريم خدم جميع الدراسات اللغوية وغيرها ، وكان سببا في بروزها ، وازدهارها ، وتطورها ، ولولا القرآن الكريم لبقيت غفلا هملا.

ومن هنا يتضح أن علاقة علم البلاغة جد وطيدة بقضية الإعجاز القرآني ، وهذه العلاقة أفرزت لنا مباحث قيمة ، ودراسات جليلة أسهمت إسهاما منقطع النظير أعان على فهم قضية الإعجاز ، والسعي الدؤوب من أجل تعليلها لغويا وبلاغيا ، كما هو الحال عند كثير من العلماء من أمثال : عبد القاهر الجرجاني ، والزمخشري ، والسكاكي وغيرهم .

الغاية من الإعجاز :

أنزل المولى عز وجل القرآن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم هداية للبشر ، ودستور تشريع في الحياة الدنيا للفوز والنجاة في الآخرة ، وما كان الله ليذر بني الإنسان يتخبطون في الضلال والتيه ، وينغمسون في الشهوات والملذات ، وما خلق الله الإنسان عبثا ، وإنما خلق الإنسان لرسالة نبيلة سامية تسمو بها روحه ، وتصفو بها سريرية ألا وهي العبادة أن يعبد الله وحده ، ولا يشرك به مصداقا لقوله تعالى :" وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون "[1].

هذه رسالة الإنسان في الأرض . ومن هنا لم يأت الإعجاز في القرآن الكريم من أجل التعجيز والغلبة ، بل جاء لإقامة الحجج والبراهين على أن ما جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، هو كلام الله .

قال تعالى : " أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا "[2]

كذلك أن هذه الرسالة تعد الرسالة الخاتمة الخالدة الباقية لايقبل من صد عنها ، وتنكب

---

[1] - الذاريات : الآية 56
[2] - النساء : الآية 81

عن هديها، بل هو في الآخرة من الخاسرين كما أخبر الحق تبارك وتعالى :" ومن يبتـغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين "[1]

عالمية الرسالة المحمدية وخصائصها :

كانت الدعوة المحمدية فتحا جديدا في شبه الجزيرة العربيـة ، وشـكلت منعرجـا خطيرا في حياة الأمة العربية خاصة ، والبشرية عامة . حيث انتقل الناس مـن عبـادة الأوثان إلى عبادة الواحد القهار، وتغير بذلك مجرى التاريخ ، فانقلبت الموازين ، وتنفس الصبح ، وأشرقت الأرض بنورربها معلنة بذلك بطلان وزيف ما كـان يعبـد العـرب ويعتنقون. ولم يعجبهم ذلك ، بل راحوا يطالبون الرسول صلى الله عليه وسلم بالبرهـان الدال على صدق رسالته وصحة نبوته ، فما كان منه صلى الله عليه وسلم إلا أن قال لهم دليل صدقي القرآن ، فلم يؤمنوا في بداية الأمر، ولكنهم حاولوا بكل ما أوتوا مـن قـوة بلاغية وبيانية ، وما امتازوا به من لسن وفصاحة ، وما أتوا من قوة عسكرية ، الوقوف في وجه القرآن لصد الدعوة ، ولكنهم انكسروا وانهزموا شر هزيمة ، فلم يجدوا بعد ذلك بدا ، إلا أن يذعنوا ويسلموا. وكان الإذعان والتسليم نتيجة لقوة القـرآن ، وتـأثيره فـي النفوس ، كما أن القرآن جاء رسالة جامعة خاتمة تتصف بالـشمول والعمـوم ، خـلاف الرسالات التي خلت.

يقول العقاد: وهو يذكر كلاما طيبا أثناء حديثه عن قوة العقيدة الإسلامية وكيفية تغلغلهـا إلى نفوس البشر جميعا ، لأنها رسالة تتسم بالشمولية والاستمرارية : " فالإسلام كانت له الغلبة ، وكان بحق قوة غالبة بفضل العقيدة الإسلامية التي وصفت بالشمول ، لأنها تشمل الإنسانية جمعاء"[2]. مصداقا لقوله تعالى :" وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين "[3].

---

[1] - آل عمران : الآية 84
[2] - عباس محمود العقاد ، الإسلام دعوة عالمية ، دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،ط1 ، 1974م ، ص 193
[3] - الأنبياء : الآية 106

وشهد للقرآن الكريم في قوة التأثير ألد الأعداء الوليد بن المغيرة في معرض وصفه لتأثير القرآن ، وشدة وقعه في النفوس:" إن هذا كلام له جذور في الروح ولا يجتث بسهولة "[1].

وما دخول الناس في هذا الدين الحنيف أفواجا وزرافات إلا لسماحته ، وقوة أسره وسحره وتأثيره في النفوس ، وسمو أخلاق صاحب الرسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي قال عنه الحق تبارك وتعالى : " وإنك لعلى خلق عظيم "[2]

وتأسيسا على ما سلف يمكننا أن نستشف بعضا من خصائص الرسالة المحمدية نجملها فيما يلي :

1- الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل إلى الناس كافة ، ومن ثم فرسالته ، رسالة عالمية تتميز بالشمول والعموم زمانا ومكانا.

2- المعجزات السابقة كانت تنتهي بوفاة الأنبياء ، أما معجزة الرسول صلى عليه وسلم على خلاف ، فهي ممتدة إلى أن تقوم الساعة.

3- تفرد القرآن عن الرسائل الأخرى ، فهو المعجزة الوحيدة التي يستنبط منها الأحكام التشريعية (الإعجاز التشريعي).

4- الرسالة المحمدية شاهدة على الرسالات السابقة ، والأمم الماضية ،وهذا قمة التفرد والتميز.

وإلى هذا الدور الفاعل والفعال الذي قدمته الرسالة المحمدية للبشرية ومازالت تقدمه وستظل إلى أن تقوم الساعة يقول الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله – " إن الصباح العريض الذي بزغ مع رسالة محمد صلى الله عليه وسلم سوف يظل وحده النور الذي يغمر العالم ويملأ الأفق إلى أن يأذن الله بانتهاء الحياة والأحياء"[3].

---

[1] - العقاد ، الإسلام دعوة عالمية ، ص 196

[2] - القلم : الآية 4

[3]- محمد الغزالي ، عالمية الرسالة بين النظرية والتطبيق ، شركة الشهاب للنشر والتوزيع ، باتنة الجزائر ، (د ت) ، (د ط) ، ص5

خلاصة القول :

ليس هناك مايدع مجالا للشك في أن القرآن الكريم أعجز الإنس والجن على أن يأتوا ولو بأقصر سورة من مثله ، فكان المعجزة الخالدة الباقية المستمرة إلى يوم الناس والحقيقة الواضحة وضوح الشمس في رابعة النهار أن الحديث عن الإعجاز وعلى اختلاف أجناسهم وتنوع ثقافاتهم ، وتباين آرائهم ، اختلفت نظرتهم إلى قضية الإعجاز ووجوه ، ومظاهره ، بل هو سر يعلمه الله ، وما كثرة الأقوال والنظريات في الإعجاز القرآني ، إلا دلالة قاطعة على إعجازه ، وأنه كلام الله ليس إلا . كما أن القرآن معجز بجميع الوجوه التي ذكرها العلماء باستثناء الصرفة التي قال بها النظام وأتباعه ، فهي رأي فاسد وباطل بإجماع العلماء.

وما من شك في أن الأدلة والبراهين مازالت تترى من زمن إلى زمن ، ومن قوم إلى قوم ولن تنقطع دلائل وأمارات الإعجاز في القرآن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وصدق الله العظيم إذ يقول :" قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدادا "[1]

والقرآن هو البرهان الساطع لكل مؤمن امتلأ قلبه بفيض الإيمان ، وبروح القرآن ، والحجة القاهرة الباهرة لمن كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد . وصدق الحق تبارك وتعالى إذ يقول : " وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون "[2].

والقرآن العظيم بحر لا ساحل له ، متجدد الثوب ،متجدد العطاء ، فهو يعطي لكل جيل وعصر عطاء يختلف تماما عن ما سبقه من أجيال وعصور ، فالقرآن قشيب فريد عجيب وبديع ، وسيظل هكذا إلى يوم الدين.

[1] - الكهف : الآية 104
[2] - الزخرف : الآية 44

الموسوعية:

كان الزركشي موسوعيا، وعلى قدر كبير من الثقافة ،والإلمام بعلوم من سبقوه ومن عاصروه ، ومن ثمة امتازت مؤلفاته بالموسوعية ، فكان موسوعيا بكل ما تحمله دلالة هذا المصطلح من معان.

فالرجل - ولا مراء في ذلك - بحرفي العلوم على مختاف ألوانها، وضـروبها، فالإمـام الزركشي في كتابه " البرهان في علوم القرآن " غزر عطاؤه ، وكثرت موارده وتعـددت منابعه ، فهو يعطي في كل موضوع ، ويبحث رياضا من الآراء ، وفنونـا مـن الفكـر، ويتشعب معك في شعابه ، حتى يستوفي الموضوع حقه ، بعيدا عن الحشو والفضول متجنبا الإخلال والإملال .

وهو في كل ذلك يصول بك ، ويجول ،ويخلق عندك لونا من ألـوان التـشويق والإثـارة للمتابعة والمزيد ، وهذا ينطبق جميعه على ماورد في الكتاب - فضلا عما تعرض له في المباحث والفكر البلاغية على اختلاف أقسامها ، من معان ، وبيان ، وبديع ، فجمع فأوعى ، وعالج فأشفى ، وأفاد واستفاد ، فبرز محللا ، ومعللا ، ومستقصيا ، ومتتبعا لجميع الفكر ، والآراء ، مضيفا من بنات أفكاره، وفيوضات شعوره ، وغزير علمه وسعة ثقافته.

وباختصار أقول : لو لم يكن للزركشي في برهانه "إلا هذه الموسوعية والتبحر في العلـوم لكفاه ذلك لأن يتسنم ذرى التأليف ، وأبراج العلماء،لكن الرجل أكثر من ذلك جاءت سمات أخرى وسمت فكره البلاغي ، ينضح بها الكتاب عامة ، والمباحث البلاغية خاصة.

العمق والشمولية:

يتسم التفكير البلاغي عند الزركشي بالعمق والشمول وعلة ذلك أن الرجل له باع طويل في علوم القرآن ، وقدم راسخة في علوم اللغة وفنونها وأفنانها ، والرجل قد تـشبع بعلوم عصره ،وألم بها قراءة ، ودرسا ، وتأليفا .

يتضح ذلك أكثر في أن الزركشي ألم بقدر كبير من ثقافات معاصريه وسابقيه لـذلك جاء كتابه زاخرا بأسماء من نقل عنهم من العلماء واستشهد بأرائهم (من أمثال: عبد القاهر الجرجاني ، والزمخشري ، والسكاكي وابن أبي حديد، وحازم القرطاجني وغيرهم كثـر. كما امتاز الزركشي في تناوله للموضوعات البلاغية بالإحاطة والسعة والشمول حيث ألفيناه يلم بأطراف الموضوعات ويجمع أشتاتها وكل ذلك عن طريق الاستقصاء العجيـب متبعـا الفصول متجوزا عن الفضول ، وهو في كل ذلك مجتهد .

وتبرر الشمولية والإحاطة في أن الزركشي يعمد إلى التأليف في الموضوعات منتهجا أسلوب المؤرخ كما يحصي الكتب التي ألفت في ذلك الموضوع مشيرا إلى العلماء الـذين تناولوه وتدارسوه، يقول محمد أبو الفضل إبراهيم: "وكتاب البرهان في علوم القرآن " مـن الكتب العتيدة التي جمعت عصارة أقوال المتقدمين وأراء العلماء المحققين"[1]

ويقر الزركشي نفسه باتساع رقعة علوم القرآن وقضاياه المتنوعة الشاملة بشتى أنواع العلوم قائلا: "واعلم أن مامن نوع من هذه الأنواع إلا و أراد الإنسان استقصاءه لا ستفرغ عمره ، ثم لم يحكم أمره ، مشيرا إلى قول القائل :" فـإن الـصناعة طويلـة ، والعمر قصير[2].

[1] - البرهان ، ج1 ، ص 13

[2] - المصدر نفسه ، ص 25

ويبرز العمق في الغوص إلى أعماق المسائل البلاغية ، وسبر أغوارها ، وذلك عن طريق التقصي والبحث ، والتحليل للمسائل المطروحة في الكتابة ،فجاء منهجه جمعا بين التحليل والنقد والتركيب بصورة عجيبة دلت على سعة ثقافة الزركشي ، وتشعب معارفه ، وتوقـد قريحته.

الذوق الأدبي الفني :

الذوق منذ القديم عمدة المفاضلات النقدية في الحكم بين الشعراء مـن أجـل الوصول إلى قمة الإبداع الأدبي ، وهذا التنافس دفع المبدعين إلى العمـل علـى تجويـد أشعارهم وتنقيحها ، وتحكيكها ، فكان منهم زهير بن أبي سلمى الذي يمكث حـولا كـاملا وهو ينقح ويحكك القصيدة ، ثم يلقي بها إلى الناس .

والذوق لا يمكن الاستغناء عنه في مسائل النقد والجمال ، فهو يتربع على قمة الهرم فبدونه لا يستطيع الناقد أن يمارس العملية النقدية ممارسة حقيقية ، وبدونها لايـتمكن المتلقـي أن يقف على مكامن الجمال والجلال في الإبداع .

وفي هذا السياق يقول عيسى على العاكوب :" تتأثر الأحكام الجمالية النقدية بالذائقـة الفنية التي هي أداة الحكم الجمالي على الأشعار ويتجلى ذلك في كثير من شهادات الشعراء للشعراء "[1].

وبنظرة متأنية إلى الفكر البلاغي في كتاب "البرهان " للزركشي نلحـظ أنـه اتـسم بالتحليل الأدبي لكثير من القضايا البلاغية ، كباب التقديم والتأخير ، والحذف ، والالتفـات والفواصل القرآنية ...وغيرها.

والذوق الفني الرفيع ، الذي أبان عن علو كعبه ، وسمو منزلته في الدرس البلاغي وعلى الرغم من أن الرجل جاء في القرن الثامن ، وهو من القرون المتأخرة ، والتي قيل عنها أن البلاغة العربية أصيبت بالجمود والركـود ، ولـم يبـق بعـد الـسكاكي إلاالتلخيـصات والشروحات ، لكن الزركشي خالف هؤلاء وعاد إلى المدرسة الأدبية ،

---

[1] - عيسى علي العاكوب ، التفكير النقدي عند العرب ، دار الفكر ، دمشق سوريا ، ط1، 1417هـ ،1997م ، ص121

وعالج مباحثه البلاغية مهتديا بسنا برقها ، فجاءت البلاغة عنده في أرقـى بيـان وأحلـى حلة.وبذلك أبطل المقولة التي ترسخت في أذهان الكثيرين ، بأن البلاغـة بعـد الـسكاكي أصابها الوهن والضعف ، واشتعلت فروعها شيبا، وباغتها الهرم والكبر وبقيـت أطـلالا. ومن ثمة ، يمكن القول :إن البلاغة العربية بخير، ومازالت طرية الجانب غضة العـود ، تجود بالثمار ، وتكلل المتذوق بالأكاليل والأزهار ، فهي الفن الوحيد الذي لم ينضج ، ولم يحترق على حد قول محمد بركات حمدي ـ رحمه الله ـ

النقـــــد :

يبرز الزركشي في كتابه " البرهان في علوم القرآن " ناقدا بصيرا ، لايقبل كل ما يرد عليه من أقوال وآراء ، بل كان يتفحصها ، ويتدبرها ، ويدقق ويعيـد النظـر فيهـا ، ويقلبها على وجوهها ، فيقف منها مواقف متباينة ، تارة ينقدها ، وتارة أخـرى يرجحهـا ويصححها.

وهذه السمة النقدية انعكست على فكره البلاغي المبثوث في الكتاب ، وكانت تلاحقنا عبـر جلّ مباحثه البلاغية ، ليكشف عن رسوخ قدم الرجل في المجال النقدي البلاغي .

فالزركشي ناقد موضوعي ، يقدم البراهين والحجج والأدلة على ما يطرحـه مـن آراء نقدية سواء منها ما تعلق بالأقوال والأفكار،أو ما تعلق بالعلماء وآرائهـم . وكثـرت نقوده ـ على وجه الخصوص ـ لآراء الزمخشري ، على الرغم من أنه أفاد منه ، ونقـل عنه الكثير .ولكن نقولات الزركشي عن الزمخشري لم تكن مجرد نقول فحسب ، بل كـان نقله نقل واع متبصر.

وللتدليل على هذه الصفة التي اتسم بها التفكير البلاغي عند الزركشي ،نورد لفيفا مـن الشواهد والأدلة على ذلك . نذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر.

فمن النقود التي أبدها الزركشي في باب الالتفات ردا على من جعل قول الله تعالى التفاتـا من الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى :"يأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فأغسلوا "[1] قال الزركشي :"وهو عجيب لأن" الذين موصول لفظه للغيبة ، ولابد له مـن عائـد وهـو الضمير في "آمنوا" فكيف يعود ضمير مخاطب على الغائب ؟ فهذا مما لا يعقل [2].

ووجه الزركشي نقدا إلى الشرط الذي ا شترطه العلماء في أسلوب الالتفات ، حيث يقـول :"تقدم أن شرط الالتفات أن يكون الضمير في المتنقل إليه عائدا في نفس الأمر إلى المنتقل عنه ، وشرطه –أيضا- أن يكون في جملتين ، أي كلامين مستقلين ، حتـى يمتنـع بـين الشرط وجوابه " ثم يقول الزركشي :"وفي هذا الشرط نظر،فقد وقع في القـرآن مواضـع الالتفات فيها وقع في كلام واحد وإن لم يكن بين جزأي الجملة [3]

نحو قوله تعالى :"وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلوا عليهم ءاتينـا ."[4]

ورد على زعم إمام الحرمين في كتابه (البرهان) أن من ذلك صرف ما كان جمعا فـي القرآن ليناسب رؤوس الآي ، نحو قوله تعالى :" سلاسلا وأغلالا"[5]

قال الزركشي :"وهذا مردود ،لأن "سلاسلا" ليس رأس آية ، ولا " قواريرا" الثاني ، وإنمـا صرف للتتناسب ، واجتماعه مع غيره من المتصرفات ، فيرد إلى الأصل ليتناسب معها ".[6]

---

1 - المائدة ، الآية 06
2 - البرهان ج3 ، ص 203
3 - المصدر نفسه ، ص ن
4 - القصص ، الآية 59
5 - الانسان ، الآية 04
6 - البرهان ، ج 1 ، ص 61

ووجه نقدا في منتهى الوجاهة إلى مكي بن أبي طالب حين قال في مسألة الإعجـاز:"فمـن نزل عليهم كان يفهمه إذا تدبره لأنه بلغته ، ونحن إنما نفهم بالتعليم "[1].

فنقده الزركشي بقوله :"وهذا الذي قاله مشكل ، فإن كبار الصحابة رضي الله عنهم حفظوا البقرة في مدة متطاولة ، لأنهم كانوا يحفظون مع التفهم[2].

ووجه نقدا إلى القائلين بأن القرآن معجز بما فيه من الإخبار عن الغيوب المستقبلية ، وما تضمنه من إخباره عن قصص الأولين.

فنقده بقوله :"ورد هذا القول بأنه يستلزم أن الآيات التي لا خبر فيها بذلك لا إعجـاز فيهـا وهو باطل ، فقد جعل الله كل سورة معجزة بنفسها"[3].

ومن نقوده ـ أيضا ـ ما وجهه إلى نفاة المجاز من القرآن ، حيث يقول :"وهـذا باطـل ، ولو وجب خلو القرآن من المجاز لوجب خلوه من التوكيد والحذف ،وتثنية القصص وغيره ولو سقط المجاز من القرآن سقط شطر الحسن "[4].

وخطّأ من توهم أن لفظة الفرج في قوله تعالى :"والتي أحصنت فرجها " أنه الفرج الحقيقي يقول الزركشي :" وإنما هو من لطيف الكنايات وأحسنها ، وهي كناية عن فرج القمـيص أي لم يعلق ثوبها ريبة ، فهي طاهرة الأثواب ، وفروج القميص أربعة الكمان ، والأعلـى والأسفل ، وليس المراد غير هذا ، فإن القرآن أنزه معنى ، وألطف شارة ، وأصلح عبارة من أن يريد ما ذهب إليه وهم الجاهل ، لاسيما والنفخ من روح القدس بأمر القدوس ..."[5]

ورد على مقالة الزمخشري في قوله تعالى :"ولا ينظر إليهم ".

---

[1] - البرهان ج2 ، ص 60
[2] - المصدر نفسه ، ص 60
[3] - المصدر نفسه ، ص 61
[4] - البرهان ، ج2 ، ص 203
[5] - البرهان ، ج2 ، ص 189،190

حين قال : إنه مجاز عن الاستهانة بهم ، والسخط عليهم [1]. فنقده الزركشي بقوله :"وهـذا بناء على مذهبه الفاسد في نفي الرؤية ، وفيه تصريح بأن الكناية مجاز ، وبه صرح[2] فـي قوله تعالى :" ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء"[3].
ورد دعوى من قالوا: إن العرب لا تكني إلا عما يقبح ذكره، فقال الزركـشي :" فغلـط ، فكنوا عن القلب بالثوب ، كمافي قوله تعالى :"وثيابك فطهر "[4]

كما رد وصحح ، ما ذكر الزمخشري أنه الاستعطاف ، نحو :"تالله هل قام زيـد" قـسم ، والصحيح أنه ليس بقسم ، لكونه خبرا "[5].

وفي الاستفهام التقريري الذي جعل الزمخشري منه ، قول الله تعالى :"ألـم تعلـم أن الله على كل شئ قدير "[6] .

يقول الزركشي :"وقيل أراد التقرير بما بعد النفي لا التقرير بالنفي ، والأول أن يجعل على الإنكار ، أي ، لم تعلم أيها المنكر للنسخ "[7].

هذه بعض النقود التي وجهها الزركشي إلى بعض العلماء ، وعلى رأسـهم الزمخـشري ، وغيره نقدا تارة ، وتصويبا ، أو ترجيحا تارة أخرى .
وحسبنا هذه الشواهد والأدلة كأمثلة للإيضاح.

1 - البرهان ، ج2 ، ص 192
2 - المصدر نفسه ، ص 193
3 - النساء ، الآية 21
4 - المدثر ، الآية 04
5 - البرهان ، ج 2 ، ص 203
6 - البقرة ، الآية : 106
7 - البرهان ، ج2 ، ص 207

ومن خلال عرضنا لتلك النماذج من نقود الزركشي ، تبين أن الزركشي يتميز بملكة نقدية متفردة ، تنم عن ثقافة متشعبة الفروع ، كثيرة الجوانب والفيوضات ، آماراتها مدى إلمامه بعلوم عصره ، وعلوم من سبقه ، فهو قارئ جيد ، ينتفع بما يقرأ ، وينفع غيره ، وهو ناقد ممحص ، ومغربل ، ومثمن لما يعرضه على المتلقين،ولايبرح قضية رام البحث فيها حتى يستوفي أصولها وفروعها ،دونما حشو،أوإطناب ،أو إيجاز ، أو اقتضاب ، فهو يحـاول أن يعطي القضية حقها من البحث والتنقيب ، فجاء فكره البلاغي بعيدا عن الحشو، بعيدا عـن الإيجاز المخل ، وبعيدا عن التسليم بالأمور على عواهنها ، بل يقدم نقودا معللة ومبرهنـة في الأعم الأغلب.

وإلى جانب النقد ، يعمد إلى الترجيح في كثير من الأحايين ،فيعـرض إلـى آراء كثيـرة ومختلفة في قضية ما ، ثم يبدي رأيه مرجحا الصحيح ، والأصوب.
كذلك عمد الزركشي إلى تصحيح الكثير من الأحكام الخاطئة، ويقدم أيـضا الـدليل علـى خطئها .
الزركشي ناقد له أدواته النقدية التي يتكئ عليها في البحث والدراسة ، فجاءت آراؤه فـي منتهى الإقناع ،والإبداع ، والنفع ، فصارت محجة يسلكها الباحثون والدارسـون . ولعـل الآراء والفكر البلاغية المبثوثة في كتابه" البرهان " لدليل قطيع على ماذهبنا إليه والكتـب التي أفادت منها شاهدة على ذلك ، وعلى رأسها كتاب " الاتقان في علوم القرآن " للسيوطي وكتاب " معجم المصطلحات البلاغية وتطورها " أحمد مطلوب ، وغيرهما كثير.

وتأسيسا على ما سبق ذكره **يمكن بلورت سمات النقد في الفكـر البلاغـي لـدى الزركشي في النقاط التالية :**

1- الزركشي ناقد بصير تثقف موسوعية أفادت من كنوز التراث العربـي الإسـلامي فأفاد منها واستفاد ، وكتبه ومؤلفاته شاهدة عيان على ذلك .
2- الزركشي ناقد موضوعي لا يتعصب لرأيه ، ولا يجور على آراء الآخرين.

3- أثرى الزركشي الدرس البلاغي بأفكاره العميقة ، وآرائه النقدية الثاقبة ،وبرز ذلك في تلك الإضافات والتأسيسات في مباحث كثيرة منها : (الفواصل ،الحذف التقديم والتأخير ، والإعجاز ، الخبر والإنشاء ...) وغيرها .

4- الزركشي يأخذ عن غيره بطريقة علمية تدل على مدى تمكن الرجل مـن أدواتـه النقدية .

الموضوعية :

دعا النقاد منذ القديم إلى التحلي بالموضوعية والابتعاد قدر الإمكان عن الذاتية لأن الأحكام النقدية الجمالية محكها الصحيح ، ومقياسها السليم الموضوعية ، والموضوعية تعني العدل والإنصاف ، وتجنب اتباع الهوى ، والجنوح إلى الذات . والميل كل الميل إلى ما هو حبيب لأنفسنا ، ومطب لرغبتنا ولذاتنا على حساب غيرنا.

التجرد من الذاتية كلها ، هذا أمر يعد ضربا من الخيال ، والاستحالة ، لكن على الناقد أن يحاول بكل ما أوتي من شجاعة ، وجرأة أدبية ،ورحابة صدر أن يقف موقف الحكم النزيه ، المتحلي بالموضوعية .

وهذا أمر لم نعدمه عند الزركشي ، وهو يعالج الجوانب البلاغية ، حيث كانت له من الجرأة ، والقوة ، والثبات أن يتصدى لآراء العلماء بالنقد ، والتصويب ، والتصحيح والترجيح ، ومإإلى ذلك ، ولقد أشارنا إلى بعض منها سلفا.

وملامح الموضوعية عند الزركشي ، لاحت لنا في :

- الأمانة العلمية في النقول.
- نسبة الآراء لأصحابها.
- الدقة في إصدار الأحكام النقدية.
- التبحر في العلم .
- توخي الحق والعدل ، والصدق في كل ما يعرض له.

ومن اتسمت موضوعيته بهذه السمات والخصائص كفيلة أن تثلج صدر المتلقي ، وتقع منه موقعا حسنا ، وتزيده تمسكا بأفكار الرجل والعض عليها بالنواجذ .

فالرجل يتحرى الموضوعية ، والدقة في النقل عمن سبقه ، أو عاصره ، ولا يبخس الناس أشياءهم ، ولا ينسب آراء غيره لنفسه، وإنما توخى الحق في أغلب ما أورد في الكتـاب دون تزيد أو تقول .

والتفكير البلاغي عند الزركشي في كتابه " البرهان في علوم القرآن " جاء شـاملا جامعـا لأنه حاول الربط بين البلاغة وسائر علوم العربية ، وعلوم القرآن ، لأن الباحث في حقـل الدراسات القرآنية لا يمكنه التعمق فيها ، والوصول إلى مكنوناتها ، مالم يتسلح بعلوم اللغة العربية ، نحوها ، وصرفها ، وبلاغتها بأقسامها الثلاثة :(علوم المعاني وعلـوم البيـان ، وعلوم البديع) .

وصاحب التفسير أحوج إلى هذه العلوم من غيره ، ولذلك ألفينا الزركشي يربط ربطا عجيبا في كتابه ، حيث استهله بالحديث عن التفسير والتأويل ، ثم ذكر جملة من علوم القـرآن ، ليخلص إلى علوم النحو والصرف ، وعلوم البلاغة ،وكأني به يهمس فـي أذن المفـسر ، لايمكنك ولوج باب التفسير ، والتمرس به مالم تتشبع باللغة وتتملك ناصـيتها ، وتتـشرب علوم البلاغة ، وتقف على أسرارها ، وأساليبها ، ومـواطن الجمـال فيهـا ، وطرائـق استخدامها.

الأمانة العلمية :

مما يثلج الصدور ، ويسر النفوس ، ويطمئن القلوب ، ما امتاز به الزركشي - رحمـه الله- في مسألة النقول عن غيره من العلماء في كتابه " البرهان في علوم القرآن " الأمانة في النقل وهذه المسألة تبدو ظاهرة للعيان لكل متدبر لما جاء في كتبه عامـة والبرهـان خاصة ، وهاهو يقول في مقدمة كتابه " البحر المحيط " :" ولقد رأيت كتب المتـأخرين الخال...فأتيت البيوت من أبوابها ، وشافهت كل مسألة من كتابها "[1]

[1] - الزركشي ، البحر المحيط في أصول الفقه ، تح مجموعة من العلماء مطبوعات وزارة الأوقاف الكويتية ط2، 1413ه/1998م ج1 ص 7

إلا كتاب " الجامع " لابن خويزمنداد من المالكية البصريين ، فقال عنه : "ونقلـت عنـه بالواسطة "[1].

وتبرز الأمانة العلمية في نقوله في " البرهان " بالإشارة إلى أسماء المصنفين ومؤلفاتهم أو بأسمائهم دون الكتب ، أو بالكتب دون الأسماء ، وأكثر من صرح بالنقل عنه : الإمام الزمخشري صاحب تفسير الكشاف .

ومن أمثلة ذلك قوله :

- قال الباقلاني في كتاب "إعجاز القرآن "[2]...
- ورد عليهما الخفاجي في كتاب " سر الفصاحة "[3]...
- وحكى حازم في :"منهاج البلغاء"[4]...
- وأنكر ذلك ابن قتيبة [5]...
- قال سيبويه ـ رحمه الله ـ...[6]

- قال الزركشي :"فأضيف القدوس ، ونزهت القانتة المطهرة عـن الظـن الكـاذب والحدس . ذكره صاحب التعريف والإعلام[7].

- وقال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد في شرح الإلمام...[8]
- ثم قال المحققون ...[9]

وغيرها من مثل هذه الشواهد .

كشف كتاب البرهان في علوم القرآن عن ثقافة الإمام الزركشي ، فهي ثقافة موسـوعية دلت على أن الرجل على اطلاع واسع غزير ، وأنه عكف على الكتب يعب منهـا عبـا

[1] - المصدر نفسه ، ج1 ، ص 8
[2] - البرهان ، ج1 ، ص 53
[3] - المصدر نفسه ، ص55
[4] - المصدر نفسه ، ص 57
[5] - المصدر نفسه ، ص 60
[6] - المصدر نفسه ، ص 62
[7] - البرهان ، ج2 ، ص 190

[8] - المصدر نفسه ، ج2 ، ص 190
[9] - المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 198

وينهل من مختلف فنونها وعلومها ، فاستطاع أن يجني ثمارها ،ويمتع بفوائدها ، فالبرهان يوحي لمن قرأه أن صاحبه اطلع على كتب شتى ، منها ما تعلق بكتب التفسير، وعلوم القرآن ، والحديث ، ومنها ما تعلق بكتب اللغة والنحو والبلاغة وغيرها .

وبعملية إحصائية ألفينا الزركشي ينقل في كتابه "البرهان " عن (53) تفسيرا و(75) كتابا من كتب علوم القرآن ، فضلا عن لفيف من كتب البلاغة واللغة ، والنحو ، وغيرها .

إن النقود الواردة في كتاب "البرهان في علوم القرآن " للإمام الزركشي تكشف أنه يتصف بالدقة البالغة في النقل عن غيره من العلماء الذين سبقوه ، أو عاصروه . وأمانته في ذلك - كما أسلفنا - تثلج الصدور ، وتسر النفوس ، وتطمئن القلوب ، وتبرز هذه الميزة في أغلب النماذج الواردة في الكتاب .

المصطلح البلاغي وسيلة لإبراز جماليات القرآن :

استخدم الإمام الزركشي المصطلحات البلاغية من أجل الكشف عن جمالية الإعجاز في القرآن الكريم ، وحاول أن يخرج بهذه المصطلحات البلاغية من معناها الخاص ، وتوظيفها في إيضاح جماليات القرآن خدمة لمسألة الإعجاز وأسراره ووجوهه.

نهج الزركشي في تناوله للمصطلحات البلاغية طريقةالجاحظ (ت 255هـ) وعبد القاهر الجرجاني (ت471 ، 474هـ) في إدراك المباحث البلاغية .ولا شك أن هذه طريقة الأدباء ، وهي طريقة واضحة الأسلوب ،بينة المعاني ، بعيدة عن النواحي الفلسفية والتفلسف البلاغي الذي لا طائل من ورائه ، إلا الزيادة في صعوبة هذا العلم والتنفير منه.

فالإمام الزركشي من خلال تحليله للمسائل البلاغية يكمن تصنيفه ضمن المدرسة الأدبية الذوقية في البلاغة العربية ، أو ما يسمى عند القدماء " بلاغة العرب"

كما أن حديث الإمام الزركشي عن الأساليب البلاغية يعد من النظرات البلاغية القيمة التي تنأى عن تشقيق المصطلحات وتفريعها .

فالمصطلحات البلاغية عنده ليست غاية في حد ذاتها، وإنما هي وسائل للوصـول إلـى الغاية الأسمى ، والمتمثلة في الكشف عن جماليات الإعجاز القرآني خاصـة ، وفنيـات أفانين القول العربي عامة.

وأخذ من أهل الاعتزال ما يناسب نظرة أهل السنة ، أما ما خالف رأي الجمهور فقد أشار إليه بقوله :" إنه مذهب فاسد ".

ومن أمثلة ذلك المصطلحات الآتية :

- رد العجز على الصدر.
- التجنيس.
- المجاز...وغيرها من المصطلحات.

ومحصلة القول :

ألفينا الزركشي لا يلجأ إلى التعريف بالمصطلحات البلاغية ، وتحديـد مفاهيمهـا ودلالاتها ، ما لم تكن هناك ضرورة تستلزم ذلك ، ومن ثم فإن كثيرا من الفنون البلاغية اكتفى بالتمثيل لها ، دونما التعريف بمصطلحاتها ،أو شرحها، أو تحليلها ،لأن غاية الزركشي الأسمى والأسنى لم تكن المصطلح في حـد ذاتـه ، وإنمـا جمالياتـه ، ومواطن السحر الكامنة فيه ، وفي استعمالاته.

وختاما:

مهما يكن من أمر ، فلست أريد بذلك أن أغمط الزركشي حقه فيما بذل من جهد طيب في سبيل تحقيق غاية نبيلة تجلت بوضوح في توظيف المصطلح البلاغي من أجل الكشف عن جماليات القرآن الكريم بعيدا عن التعريفات والتشقيقات التي لاتغني ولا تسمن من جوع، ولقد وفق الزركشي إلى حد بعيد في إثبات هذه القضية من خلال انتهاجه طريقة الأدباء البلغاء ، وتعامله مع البلاغة العربية كما كانت عليه من قبل ، ولم يتبع من سبقه من الباحثين والدارسين الذين ساروا على نهج السكاكي وغيره . فألفيناه يعتمد الذوق الأدبي الرفيع ، ويعمد إلى التحليل الأدبي الجميل ، ويميل إلى الاستنتاجات السليمة الصحيحة التي يقبلها العقل ، ويتذوقها القلب ، متسلحا في كل ذلك بحبل الموضوعية ، فجاءت آراءه على رأينا في البحث .

على الرغم من أن الزركشي كان من الدارسين المتأخرين ، وكتابه جاء في وقت متأخر جدا ، وهذا لم يمنع الرجل من أن يصول ويجول في جنبات البلاغة العربية وأن يقطف من زهورها باقات ، ويجني من جناها.

وتأسيسا على ماسبق : لاأحسبني ابتعد كثيرا عن جادة الصواب إن قلت : إن الإمام الزركشي ترك بصمات عميقة في الدرس البلاغي المتكئ على ذوق رفيع ، وحس مرهف ، وتحليل أدبي يتسم بمسحة جمالية عبرت عن عمق ثقافة الرجل ، وأبانت عن مدى رسوخ قدمه في مجال العلوم عامة ، والعلوم البلاغية خاصة .

وقيمة " البرهان " بلاغيا تكمن في تحقيق الغاية المثلى التي كان يصبو إليها ، وهي الكشف عن جماليات القرآن العظيم من خلال المصطلحات البلاغية . ولذلك ألفيناه ـ في الأغلب ـ يعتمد على الشاهد القرآني ، فكان يعرض الشاهد القرآني في مواضع كثيرة مشروحا شرحا أدبيا جماليا.

الخاتمة

الخاتمة :

لله الحمد والشكر على ما من به علي من خير عظيم ، ومكنني من إتمام هـذا البحث بعد رحلة شيقة وممتعة ومتعبة في آن كنت فيها سائحا صحبة سفر عظيم نفـيس تنسمت شذا عطره الفواح ، وتفيأت ظلاله الوارفة ، وخلال الرحلة وعلى مقربـة مـن انتهائها عنّت لي بعض الثمار الناضجة ، والتي أحسبها كذلك فـي اعتقـادي ، فقطفـت نتاجها وحققت نتائجها . فحوصلتها في النقاط الآتية :

- أولا : النتائج العامة :

1- كتاب البرهان في علوم القرآن من الكتب التي تحتل مكانة مرموقة بين كتب علوم القرآن قديما وحديثا.

2- يعتبر كتاب البرهان في علوم القرآن مـن الكتـب الموسـوعية الـشاملة فـي موضوعها ، فهو شبيه بدائرة معارف مكثفة ومركزة ، جمعها الزركشي،واستقى مادتها من عصره ، ومن العلماء السابقين ، والمؤلفات السابقة، مضيفا إليها مـن بنات أفكاره ، ومن عبقريته الفذة ، وعلمه الغزير.

3- أغلب المتأخرين اعتمدوا على كتاب البرهان في علـوم القـرآن ، فـي مجـال الدراسات القرآنية خصوصا ، والعلوم الأخرى عموما.

4- مثّل الزركشي ثقافة عصره خير تمثيل ، ولمرحلة تعد من أهم المراحل ، وهـي مرحلة نضج العلوم .

5- ترك الزركشي آثارا عميقة الأخاديد في الإمام السيوطي ، إذ ألفينا أغلـب مـادة سفره "الإتقان في علوم القرآن " مؤسسة على ما جاء في البرهان .

6- كان الزركشي موسوعيا في كتابه " البرهان " وكان غزير المادة ، عميق الفهـم كثير العطاء والثراء.

7- هندس الزركشي كتابه " البرهان " هندسة رائعة عجيبة، حيث ربط بين التفـسير وما يحتاج إليه المفسر في هذا العلم الجليل ، فجاء الكتاب إلـى جانـب العلـوم

القرآنية مركزا على علوم اللغة والنحو والبلاغة ،و كأني بالزركشي يقول للمفسر والمشتغل بالدراسات القرآنية: لا يمكنك ولوج هذا الباب ما لم تحـط بالبلاغـة ، والنحو، واللغة خبرا.

- **ثانيا : النتائج الخاصة :**

1- اعتماد الزركشي على الطريقة الأدبية في تناول الفكر البلاغية.

2- الاعتماد على التحليل والنقد من أجل الوقوف على الجماليات والـسمات الفنيـة للتعبير القرآني .

3- الإكثار من الشواهد ، وعلى وجه الخصوص الشاهد القرآني لأن الزركشي يدرس المصطلح البلاغي من أجل خدمة القرآن ، والكشف عن مناحي الجمال والجلال ، والإعجاز في سياقات الذكر الحكيم .

4- لايحتفل الزركشي كثيرا بتحديد دلالات المصطلحات وتشقيقاتها ، وفلسفتها ، بـل يلجأ إلى وضع بعض الدلالات إذا اقتضت الضرورة ذلك.

5- أصل الزركشي ـ رحمه الله ـ في أسباب ورود الكناية فـي القـرآن ،إذ عـد عشرة أسباب ، تسعة تعتبر تأسيسا منه ، أما العاشر فقد صرح أن الزمخـشري استنبطه .

6- ذكر من أسباب التقديم والتأخير الذي يدل على التمكن في الفـصاحة ، وامـتلاك الكلام ، وانقياده ، سبعة أسباب .

7- ابتكر اسم " المدرج " من أساليب القرآن ، قال :" هذا النوع سميته بهذه التـسمية بنظير المدرج في الحديث " وهو نوع لم تسمح به قرائح علماء البيان قبـل أبـي عبد الله ، ولا حام حوله منهم أحد . وطبقه ـ رحمه الله ـ على سبع آيات قرآنية كريمة.

8- أبان أن للالتفات فوائد عامة وخاصة ، فمن الفوائد العامة التفنن والانتقـال مـن أسلوب إلى آخر لما في ذلك من تنشيط السامع ، واستجلاب صـفائه ، واتـساع مجاري الكلام ، وتسهيل الوزن والقافية .

واستنبط سبع فوائد خاصة له ، تعتبر تأسيسا في أسباب الالتفات.

9- ذكر نوعا من أنواع الحذف يسمى الحذف المقابلي ، وهو أن يجتمع في الكلام متقابلان ، فيحذف من كل واحد منهما مقابله ، لدلالة الآخر عليه . وقال عنه السيوطي ، وهو من ألطف الأنواع وأبدعها ،وقلّ من تنبه له ، او نبه عليه من أهل فن البلاغة ، فالزركشي يعد مبدعا في هذا المصطلح .

10- أضاف بعض الجزيئات واللقطات النادرة في باب أقسام معنى الكلام ، برزت فيها روح التأسيس والتطبيق على آيات القرآن الكريم ، ولذلك قال في خاتمة هذا النوع المذكور : فاستمسك بما ذكرنا ، واجعله أصلا ، فإنه من المواهب الربانية.

11- قرر قاعدة مهمة في الحذف تدور على ثلاثة أسس :

- الحذف خلاف الأصل .
- إذا دار الأمر بين الحذف وعدمه ، كان الحمل على عدمه أولى ، لأن الأصل عدم التغيير.
- إذا دار الأمر بين قلة المحذوف وكثرته ، كان الحمل على قلته أولى .

12- عد الزركشي مؤسسا ومؤصلا في باب الفواصل ، خاصة في تفريعاته الستة . ونبه على أن الفواصل القرآنية وجه من أهم وجوه الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم .

13- يعتبر الزركشي أوعى من جمع الكلام في شأن الفواصل ، وجعل لها عنوانا مستقلا في كتابة " البرهان في علوم القرآن "

14- يمزج بين الأسلوب العلمي والأدبي في تناول القضايا ومعالجتها.

15- ضمن البلاغة العربية بأقسامها الثلاثة (معان ، بيان ، وبديع) تحت مصطلح " أساليب القرآن وفنونه البليغة " فجاءت البلاغة عنده كلا متكاملا ، ووحدة موحدة لا تعرف التقسيم والتجزئة .

وكان هذا النوع منتهي الغايات ،ودرة التاج ، وواسطة القلادة لكتابه . فأورد فيه من أفانين البلاغة وأساليبها خمسة وأربعين أسلوبا جلها فيه تأسيس وإبداع.

16- تناول الزركشي للفكر البلاغية امتاز بالإحكام والجودة ، وقوة عارضة في علـم البلاغة .كيف ؟ وهوقد ألف شرحا لتلخيص القزويني سماه : "مجاـي الأفـراح شرح تلخيص المفتاح "

17- فكره البلاغية أثرت فيمن جاء بعده ، واعتمدوا عليها في الدرس البلاغي ، ومن أبرز من اعتمد عليها قديما " السيوطي " في كتابه الاتقان في علوم القرآن ".

أما حديثا " أحمد مطلوب " في " معجم المصطلحات البلاغية وتطورهـا " حيـث يبرز الزركشي في هذا المعجم واحدا من ألمع علماء البيان مـن حيـث تقـسيماته ومصطلحاته ، ودلالاتها ، وإضافاته القيمة التي ضاهى فيها ، ابن الأثير، وحـازم القرطاجني ، والسكاكي ، وغيرهم كثر ، أوفاقهم في بعض تلك الجوانب.

18- اتسمت فكره البلاغية بالوفرة ،والإضافات ، والاستدراكات ، والانتقادات لأقوال سبقته ، أو عاصرها ، أو ترجيحات لها .

19- نقول الزركشي في كتابه " البرهان في علوم القرآن " تـثلج الـصدر ،وتـشفي العليل ،وتهدي الحيران ، وترشد الضال المسكين ،وعلة ذلك تحلـي الزركـشي بالأمانة العلمية أثناء عملية النقل ، والإشارة إلى العلماء الذين نقل عنهم بأسمائهم أو إلى كتبهم .

من المآخذ:

1- وقوعه في بعض الهفوات والزلات ،كتحديد لبعض أدوات التـشبيه فـي بعـض الأمثلة والشواهد كمثاله قول الله تعالى :"مثل الفريقين كالأعمى" وذكـر أن الأداة "مثل" ، ولكن الأمر غير ذلك فالأداة هاهنا" الكاف" لأن "مثل" ليست مـن أدوات التشبيه" .

2- نسبته لبيت حسان بن ثابت المشهور: "

3- لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى * وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

نسبه مرة إلى النابغة الذبياني ، ومرة أخرى نسبه إلى حسان ، وهذا خلط واضطراب.

4- خلطه في تحديد بعض الشواهد المتعلقة بالطباق ، والمقابلة ، فمثلا في قوله تعالى "فليضحكوا كثيرا وليبكوا قليلا" اعتبر الآية من باب الطباق ، والأمر غير ذلك، فهي من باب المقابلة.

5- تناوله للفكر البلاغية لم يكن تناولا بنفس الكيفية ،فنراه قد عالج بعضا من القضايا معالجة مستفيضة،والبعض الآخر منها معالجة جد مقتضبة ، وقد يكتفي في البعض الآخر بالاستشهاد فقط دونما إيضاح ، كما فعل في قضية :"رد العجز على الصدر "وقضية :"الاستطراد " و"الترديد" وغيرها.

من التوصيات والاقتراحات :

1- كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي غني بالمباحث اللغوية والنحوية والبلاغية والنقدية ، فهو بحاجة إلى المزيد من الدراسات الأكاديمية المتخصصة حتى تضع الكتاب وصاحبه في المكان اللائق بهما.

2- المباحث اللغوية والنحوية التي اطلعت عليها في ثنايا الكتاب ، لم تكن موضع بحثي ، أراها جديرة بالدراسة والتنقيب.

3- يمكن للباحثين والدارسين إعداد ببلوغرافيا للمصادر والمراجع في مختلف العلوم والفنون من خلال هذا الكتاب.

هذا ما تكشف لي من خلال البحث والتنقيب في مجمل القضايا والفكر البلاغية لدى الزركشي ـ رحمه الله ـ من خلال كتابه " البرهان في علوم القرآن " وهذا ما جادت به القريحة ، ووسع الجهد والجهد ، وقد تكون هناك من الأمور التي لم أدركها ، ولم تنكشف لي ، وتلك سمة النقص البشري ، وماالتمام والكمال ، إلا لله عز وجل القائل في محكم تنزيله : " ولله المثل الأعلى ".

والعلم بحر لجي ، وفضاء ماله ساحل ، وصدق الشاعر حين يقول :

فقل لمن يدعي في العلم فلسفة * حفظت شيئا وغابت عنك أشياء.

فإن أصبت فمن الله ، وإن تكن الأخرى فحسبي أجر المجتهد ، والله يعلم أني لـم أدخـر جهدا وجدا في إنجاز هذا البحث المتواضع ، والذي أرجومن المولى عز وجـل أن يفيـد ويستفاد منه .

والحمد لله رب العالمين

الفهارس العامة

- فهرس الآيــات القــرآنية
- فهــرس لأهــم الأعــــــلام
- قـــائمة المصادر والمراجع
- فهــرس المـوضــــــوعـات

فهرس الآيات القرآنية

	السورة و الآيـــــة		رقم الصفحة
	الفاتحة بِسمِ اللّهِ الرحمـَن الرحِيمِ{1} الْحمد للّهِ رب الْعالَمِين{2} الرحمـن الرحِيمِ{3} مـالِكِ يومِ الدينِ{4} إِياك نَعبد وإِياك نَستَعِين{5}		117 118 282 282 83 83
	البقرة الطلاقُ مرتَان {227} ولاَ جنَاح علَيكُم فِيما عرضتُم بِهِ مِن خِطْبةِ النساء {233} واتقُواْ يوما تُرجعون فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُم تُوفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسبتْ وهم لاَ يظْلَمون {281} اللّه لاَ إِلَـه إِلاَّ هو الْحي الْقَيوم لاَ تَأْخُذُه سِنَةٌ ولاَ نَوم {254}/ {255} وإِذْ قَالَ ربك لِلْملاَئِكَةِ إِني جاعِلٌ فِي الأَرضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجعلُ فِيها من يفْسِد فِيها ويسفِك الدماء ونَحن نُسبح بِحمدِك ونُقَدس لَك قَالَ إِني أَعلَم ما لاَ تَعلَمون{30} وأَقِيمواْ الصلاَةَ وآتُواْ الزكَاةَ واركَعواْ مع الراكِعِين {43} وادخُلُواْ الْباب سجداً وقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِر لَكُم خَطَاياكُم وسنَزِيد الْمحسِنِين {58} وإِذْ قَتَلْتُم نَفْساً فَادارأْتُم فِيها واللّه مخْرِج ما كُنتُم تَكْتُمون {72} أَلَم تَر إِلَى الَّذِي حآج إِبراهِيم فِي ربهِ أَن آتَاه اللّه الْملْك إِذْ قَالَ إِبراهِيم ربي الَّذِي يحيِـي ويمِيتُ قَالَ أَنَا أُحيِـي وأُمِيتُ قَالَ إِبراهِيم فَإِن اللّه يأْتِي بِالشمسِ مِن الْمشْرِقِ فَأْتِ بِها مِن الْمغْرِبِ فَبهِتَ الَّذِي كَفَر واللّه لاَ يهدِي الْقَوم الظَّالِمِين {258}		83 61 68 90 95 91 92

90		قَالَ لَبِثْتُ يَوماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ {259}	
93 100 101 101		**آل عمران** أَفَغَيْرَ دِينِ اللّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ {83} إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَـذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ {68} إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ {55} شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِماً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ {18}	

<table>
<tr>
<td>71
63

86
101

101

106</td>
<td></td>
<td>النساء
أَفَلاَ يَتَدبرونَ القُرآن ولَو كان مِن عِندِ غَيرِ اللّهِ لَوجدواْ فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرا {82}
يا أَيها الناس قَد جاءكُم برهان من ربكُم وأَنزلْنَا إِلَيكُم نُورا مبِينًا {174}
ومن أَصدقُ مِن اللّهِ حدِيثًا {87}
وكَيفَ تأْخُذُونَه وقَد أَفْضى بعضكُم إِلَى بعضٍ وأَخَذْن مِنكُم مِيثَاقًا غَلِيظًا {21}
مثْنَى وثُلاَثَ ورباع فَإِن خِفْتُم أَلا تَعدِلُواْ فَواحِدةً أَو ما ملَكَتْ أَيمانُكُم ذَلِك أَدنَى أَلا تَعولُواْ {3}
وإِذَا حييتُم بِتَحِيةٍ فَحيواْ بِأَحسن مِنْها أَو ردوها إِن اللّه كَان علَى كُلِّ شَيءٍ حسِيبا {86}</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>

69

95

99
106

101</td>
<td></td>
<td>الأنعام

إِني وجهتُ وجهِي لِلَّذِي فَطَر السماواتِ والأَرض حنِيفًا وما أَنَاْ مِن الْمشْرِكِين {79}
كُلُواْ مِن ثَمرِهِ إِذَا أَثْمر وآتُواْ حقه يوم حصادِهِ ولاَ تُسرِفُواْ إِنه لاَ يحِب الْمسرِفِين {141}

وجعلُواْ لِلّهِ شُركَاء الْجِن وخَلَقَهم وخَرقُواْ لَه بنِين وبنَاتٍ بِغَيرِ عِلْمٍ سبحانَه وتَعالَى عما يصِفُون {100}
وهو الَّذِي يتَوفَّاكُم بِاللَّيلِ ويعلَم ما جرحتُم بِالنَّهارِ ثُم يبعثُكُم فِيهِ لِيقْضى أَجلٌ مسمى ثُم إِلَيهِ مرجِعكُم ثُم ينَبئُكُم بِما كُنتُم تَعملُون {60}</td>
<td></td>
</tr>
</table>

  63 320 91 93		التوبة وإن أحد من الْمشْركِين استجارك فأجِره حتى يسمع كلام اللّهِ ثُم أبلِغْه مأْمنَه زَاك بِأنهم قَوم لا يعلَمون {6} أتَخْشَونَهم فَاللّه أحق أن تَخْشَوه إِن كُنتُم مؤْمِنِين {13} فَإِن تَولواْ فَقُلْ حسبِي اللّه لا إِلَـه إِلا هو علَيهِ تَوكلْتُ وهو رب الْعرش الْعظِيمِ 129} **هود** قَالُواْ يا شُعيب أصلاتُك تَأْمرك أن نتْرك ما يعبد آباؤُنَا أو أن نفْعلَ فِي أموالِنَا ما نَشَاء إِنك لأَنتَ الْحلِيم الرشِيد {87}	
 64 **117** **113** **233**		**يوسف** إِنا أنزلْنَاه قُرآنًا عربِيا لعلكُم تَعقِلُون {2} قَالَتْ فَزَلِكُن الزِي لُمتُنَنِي فِيهِ ولَقَد راودته عن نفْسِهِ فَاستَعصم ولَئِن لم يفْعلْ ما آمره لَيسجنَن ولَيكُونًا من الصاغِرِين {32} واسأَل الْقَريةَ التِي كُنا فِيها والْعِير التِي أقْبلْنَا فِيها وإِنا لَصادِقُون {82} قَالَتِ امرأَةُ الْعزِيزِ الآن حصحص الْحق أنَاْ راودته عن نفْسِهِ وإِنه لَمِن الصادِقِين {51} زَلِك لِيعلَم أني لم أخُنْه بِالْغَيبِ وأَن اللّه لا يهدِي كَيد الْخَائِنِين {52}	

121 98		الرعد مَثَلُ الْجَنةِ الَتِي وعِدَ الْمتقُونَ تَجرِي مِن تَحتِها الأَنْهار أُكُلُها دآئِم وظِلها تِلْكَ عقْبى الَذِين اتقَواْ وعقْبى الْكَافِرِين النار {35} إبراهيم سرابِيلُهم من قَطِرانٍ وتَغْشَى وجوههم النار {52 }	
73 105 104 125 124 127 82 211 101 90		الحجر إِنا نَحن نَزلْنَا الذكْر وإِنا لَه لَحافِظُون {9} النحل ولَكُم فِيها جمالٌ حِين تُرِيحون وحِين تَسرحون {6} ولاَ تَقُولُواْ لِما تَصِفُ أَلْسِنَتُكُم الْكَذِب هـذَا حلالٌ وهـذَا حرام لِّتَفْتَرواْ علَى اللّهِ الْكَذِب إِن الَذِين يفْتَرون علَى اللّهِ الْكَذِب لاَ يفْلِحون {116} الإسراء وإِذَا أَردنَا أَن نُّهلِك قَريةً أَمرنَا مترفِيها فَفَسقُواْ فِيها فَحق علَيها الْقَولُ فَدمرنَاها تَدمِيرا {16} الكهف كَبرتْ كَلِمةً تَخْرج مِن أَفْواهِهِم إِن يقُولُون إِلَّا كَذِبا {5} وتَحسبهم أَيقَاظًا وهم رقُود18 سيقُولُون ثَلَاثَةٌ رابِعهم كَلْبهم ويقُولُون خَمسةٌ سادِسهم كَلْبهم رجما بِالْغَيبِ ويقُولُون سبعةٌ وثَامِنُهم كَلْبهم قُل ربي أَعلَم بِعِدتِهِم ما يعلَمهم إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمارِ فِيهِم إِلَّا مِراء ظَاهِرا ولَا تَستَفْتِ فِيهِم منْهم أَحدا {22} مالِ هذَا الْكِتَابِ لَا يغَادِر صغِيرةً ولَا كَبِيرةً إِلَّا أَحصاها ووجدوا ما عمِلُوا حاضِرا ولَا يظْلِم ربك أَحدا {49}	

وإذْ قُلنَا لِلْملائِكَةِ اسجدوا لِآدم فَسجدوا إلا إبِليس كان مِن الْجِن فَفَسقَ عن أَمر ربهِ	
أَفَتَتخِذُونَه وذُريتَه أَولِياء مِن دونِي وهم لَكُم عدو بِئْس لِلظالِمين بدلًا {50}	93
مريم	
	182
قَالَ رب إِني وهن الْعظْم مِني واشْتَعلَ الرأْس شَيبا04	85
قَالَتْ يا لَيتَنِي مِت قَبلَ هذَا وكُنتُ نَسيا منسِيا {23}	
إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يا أَبتِ لِم تَعبد ما لَا يسمع ولَا يبصِر ولَا يغْنِي عنك شَيئًا {42}	84
	99
قَالَ أَراغِب أَنتَ عن آلِهتِي يا إِبراهِيم لَئِن لَم تَنتَهِ لَأَرجمنك واهجرنِي ملِيا {46}	
طه	
	195
الرحمن علَى الْعرش استَوى {5}	
وما تِلْك بِيمِينِك يا موسى {17}	192
	98
قَالَ بلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبالُهم وعِصِيهم يخَيلُ إِلَيهِ مِن سِحرِهِم أَنها تَسعى {66}	
فَأَوجس فِي نَفْسِهِ خِيفَةً موسى {67}	
	98
قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنك أَنتَ الْأَعلَى {68}	98
الأنبياء	
	121
وقَالُوا اتخَذَ الرحمن ولَدا سبحانَه بلْ عِباد مكْرمون {26}	75
قَالَ بلْ فَعلَه كَبِيرهم هذَا فَاسأَلُوهم إِن كَانُوا ينطِقُون {63}}	196
الحج	
والْمقِيمِي الصلَاةِ ومِما رزقْنَاهم ينفِقُون {35}	116
المؤمنون	
	103
عالِمِ الْغَيبِ والشهادةِ فَتَعالَى عما يشْرِكُون {92}	

النور

قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ

101 بِمَا يَصْنَعُونَ {30}

101 وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ {31}

الشعراء

88 أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ {165}

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا

وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ {227}

83

النمل

93

وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ {20}

164 أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا

بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ {64}

القصص

127 فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ {12} وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ

مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا

198 خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ {23}

العنكبوت

69

وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ {43}

وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا

125 بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ {46}

298 وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين

50

الآية	الصفحة
الروم	
يخْرِج الْحي مِن الْميتِ ويخْرِج الْميتَ مِن الْحي ويحيِي الْأَرض بعد موتِها وكَذَلِك تُخْرجون {19}	103
الأحزاب	
هدى ورحمةً للْمحسِنِين {3}	63
وأَخَذْنَا مِنْهم ميثَاقًا غَلِيظًا {7}	104
فاطر	
فَمِنْهم ظَالِم لنَفْسِهِ ومِنْهم مقْتَصِد ومِنْهم سابِقٌ بِالْخَيراتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِك هو الْفَضلُ الْكَبِير {32}	105
يس	
وسواء علَيهِم أَأَنذَرتَهم أَم لَم تُنذِرهم لَا يؤْمِنُون {10}	90
ويقُولُون متَى هذَا الْوعد إِن كُنتُم صادِقِين {48}	92

		الصافات	
186		فَبشرنَاه بِغُلَامٍ حلِيمٍ {101}	
193		طلْعها كأَنه رؤُوس الشياطِين {65}	
145		كأَنهن بيض مكْنُون {49}	
		ص	
125		كِتَاب أَنزلْنَاه إِليك مبارك ليدبروا آياتِهِ وليتَذَكر أُولُوا الْأَلْبابِ {29}	
125		نِعم الْعبد إِنه أَواب {30}	
121		فَقَالَ إِني أَحببتُ حب الْخَيرِ عن ذِكْرِ ربي حتى تَوارتْ بِالْحِجابِ {32}	

الزمر	
قُلْ هلْ يستَوِي الذِين يعلَمون والذِين لَا يعلَمون إِنما يتَذكر أُولُوا الْأَلْبابِ {9}	103
أَلَيس الله بِكَافٍ عبده ويخَوفُونَك بِالذِين مِن دونِهِ ومن يضلِلِ الله فَما له مِن هادٍ {36}	89
غافر	
وقَالَ فِرعون يا هامان ابنِ لِي صرحا لعلي أَبلُغُ الْأَسباب {36} أَسباب السماواتِ	48
فَأَطَّلِع إِلَى إِلَهِ موسى وإِني لَأَظُنه كَاذِبا وكَذَلِك زين لِفِرعون سوء عملِهِ وصد عن	
السبِيل وما كَيد فِرعون إِلَّا فِي تَبابٍ {37}	48
فصلت	
إِن الذِين كَفَروا بِالذكْرِ لَما جاءهم وإِنه لَكِتَاب عزِيز {41}	63
سنُرِيهِم آياتِنَا فِي الْآفَاقِ وفِي أَنفُسِهِم حتى يتَبين لَهم أَنه الْحق أَولَم يكْفِ بِربك	
أَنه علَى كُلِّ شَيءٍ شَهِيد {53}	83
وذَلِكُم ظَنكُم الذِي ظَنَنتُم بِربكُم أَرداكُم فَأَصبحتُم من الْخَاسِرِين {23}	165

128		**الشورى** أَمِ اتخَذُوا مِن دونِهِ أَولياء فَالله هو الْوَلِي وهو يحيِي الموتَى وهو علَى كُلِّ شَيءٍ قَدِير {9}	
200		**الزخرف** ولَئِن سأَلْتَهم من خلَقَ السماواتِ والْأَرض ليقُولُن خلَقَهن الْعزِيز الْعلِيم {9} أَومن ينَشأُ فِي الْحِلْيةِ وهو فِي الْخِصامِ غَير مبِينٍ {18}	
93		أَفَأَنتَ تُسمِع الصم أَو تَهدِي الْعمي ومن كَان فِي ضلَالٍ مبِينٍ {40}	
89		ونَادى فِرعون فِي قَومِهِ قَالَ يا قَومِ أَلَيس لِي ملْك مِصر وهذِهِ الْأَنْهار تَجرِي مِن تَحتِي أَفَلَا تُبصِرون {51}	

الدخان	
إنا كاشِفُوالعذَابِ قَلِيلًا إنكُم عائِدون {15}	83
كَم تَرَكُوا مِن جناتٍ وعيونٍ {25}	83
الجاثية	
إن فِي السماواتِ والأَرضِ لَآياتٍ لِلمؤْمِنِين {3} وفِي خَلْقِكُم وما يبث مِن دابةٍ آياتٌ لِقَومٍ يوقِنُون {4}	107
الأحقاف	
وشَهِد شَاهِد من بنِي إسرائِيلَ على مِثْلِهِ فَآمن واستَكْبرتُم إن الله لا يهدِي الْقَوم الظالِمِين {10}	129
محمد	
فَإذا لَقِيتُم الذِين كَفَروافضرب الرقَابِ حتى إذَا أَثْخَنتُموهم فَشُدوا الْوثَاقَ فَإما منا بعد وإِما فِداء حتى تَضع الْحرب أَوزارها ذَلِك ولَو يشَاء الله لَانتَصر مِنْهم ولَكِن ليبلُوبعضكُم بِبعضٍ والذِين قُتِلُوا فِي سبِيلِ اللهِ فَلَن يضِلَ أَعمالَهم {4}	132
الحجرات	
يا أَيها الذِين آمنُوا لَا تُقَدموا بين يدي اللهِ ورسولِهِ واتقُوا الله إن الله سمِيع علِيم {1}	84
الذاريات	
وفِي عادٍ إذْ أَرسلْنَا علَيهِم الريح الْعقِيم {41} والسماء بنَينَاها بِأَيدٍ وإِنا لَموسِعون	186

النجم	
وما ينطقُ عن الهوى {3} إن هو إلا وحي يوحى {4}	210
وأنه هو أضحك وأبكى {43} وأنه هو أماتَ وأحيا {44} وأنه خلقَ الزوجين الذكر والأنثى {45}	213
القمر	
سيهزم الجمع ويولون الدبر {45}	340
الرحمان	
وله الجوار المنشآتُ في البحر كالأعلامِ {24}	145
فكانتْ وردةً كالدهان {37} ولمن خافَ مقام ربهِ جنتان 46}	280
ذواتا أفنانٍ {48}	280
الواقعة	
كأمثال اللؤلؤ المكنون {23}	145
لا يمسه إلا المطهرون {79}	83
الحديد	
من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنًا فيضاعفه له وله أجر كريم {11}	91
ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر اللهِ وما نزلَ من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبلُ فطالَ عليهم الأمد فقستْ قلوبهم وكثير منهم فاسقون {16}	89

الحشر	
هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم {22}	164
الصف	
كبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون {3}	82
الجمعة	
مثلُ الذين حملوا التوراةَ ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثلُ القومِ الذين كذبوا بآياتِ اللهِ والله لا يهدي القوم الظالمين {5}	159
التغابن	
وأطيعوا الله وأطيعوا الرسولَ فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغُ المبين {12}	98
التحريم	
ومريم ابنتَ عمران التي أحصنتْ فرجها فنفخْنا فيه من روحنا وصدقتْ بكلماتِ ربها وكتبه وكانتْ من القانتين {12}	98
الملك	
تكاد تميز من الغيظ كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير {8}	188
القلم	
ودوا لو تدهن فيدهنون {9}	84
أفنجعلُ المسلمين كالمجرمين {35}	155
الحاقة	
الحاقةُ {1}	90
ما الحاقةُ {2}	90
خذوه فغلوه {30}	110

ثُم الْجحِيم صلوه {31}	110
الجن	
وَأَنا لَا نَدرِي أَشَر أُرِيد بِمن فِي الْأَرض أَم أَراد بِهِم ربهم رشَدا {10}	215
المدثر	
وربك فَكَبر {3}	263
وثِيابك فَطَهر {4}	263
	193
كَلا إِنه تَذْكِرةٌ {54}	280
الإنسان	
ودانِيةً علَيهِم ظِلَالُها وذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيلًا {14}	123
ويطَافُ علَيهِم بِآنِيةٍ من فِضةٍ وأَكْوابٍ كَانَتْ قَوارِيرا	
{15} قَوارِير مِن فِضةٍ قَدروها تَقْدِيرا {16}	281
ويسقَون فِيها كَأْسا كَان مِزاجها زنجبِيلًا {17}	281
المرسلات	
أَلَم نُهلِكِ الْأَولِين {16}	91
ثُم نُتْبِعهم الْآخِرِين {17}	91
كَذَلِك نَفْعلُ بِالْمجرِمِين {18}	91
النازعات	
والنازِعاتِ غَرقًا {1}	129

129		وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا {2}	
129		وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا {3}	
129		فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا {4}	
129		فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا {5}	
129		يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ {6}	
129		يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ {10}	
		عبس	
82		قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ {17}	
		التكوير	
92		فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ {26}	
		الانفطار	
82		يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ {6}	
		الانشقاق	
131		إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ {1}	

الطارق	
فَلْينظُرِ الْإِنسان مِم خُلِقَ {5}	133
الأعلى	
الذِي خلَقَ فَسوى {2}	281
الغاشية	
إِن إِلَينَا إِيابهم {25}	99
ثُم إِن علَينَا حِسابهم {26}	99
الفجر	
والليلِ إِذَا يسر {4}	116
وجاء ربك والْملَك صفا صفا {22}	225
البلد	
أَو إِطْعام فِي يومٍ ذِي مسغَبةٍ {14}	121

الليل	
وما لِأحدٍ عِنده مِن نعمةٍ تُجزى {19}	122
الشمس	
فقالَ لهم رسولُ اللهِ ناقةَ اللهِ وسقْياها {13}	85 115
الضحى	
ألم يجِدك يتيما فآوى {6}	88
ووجدك ضالا فهدى {7}	88
الشرح	
ألم نشْرح لك صدرك {1}	89
العلق	
اقْرأْ باسمِ ربك الذي خلَقَ {1}	61 280
الزلزلة	
وأخْرجتِ الأرض أثْقالها {2}	165

		الفيل	
		أَلم يجعلْ كَيدهم فِي تَضلِيلٍ {2}	
88		المسد	
		تَبتْ يدا أَبِي لهبٍ وتَب {1}	
194		وامرأَتُه حمالةَ الْحطَبِ {4}	
183			
194			

فهرس الأعلام

اسم العلم	المراجع	رقم الصفحة
- أبو الفرج ، علي بن الحسين (الأموي القرشي) ناثر بليغ و ناقد واسع الثقافة ، متعدد المواهب (ت 356 هـ) له "الأغاني"	ينظر د. عمر الدقاق، مصادر التراث العربي ،ص 299	03
- أبو عبادة الوليد الملقب بالبحتري ولد في منبج قرب حمص عرف شعره بسلاسل الذهب، قال فيه الدارسون "أراد البحتري أن يشعر فغنى"	ينظر ، البحتري ، ديوانه ، دار بيروت ، للطباعة و النشر ، مج 1(ب ط)، 1980 ص 7،6،5	227
-أبو عثمان ، عمرو بن بحر الملقب بالجاحظ،قمة في البيان و النثر الفني ، وإمام في التأليف ، و أسس المعتزلة ت255هـ له "البيان و التبين "و "الحيوان"	ينظر د. عمر الدقاق، مصادر التراث العربي ،ص 302	10 11 313
- علي بن عبد العزيز المعروف بالقاضي الجرجاني ، عالم لغوي ، بلاغي ، ناقد شيخ ت في نيسابور 392 هـ و هو صاحب " الوساطة بين المتنبي وخصومه "	ينظر ، أبو منصور الثعالبي ، فقه اللغة وأسرار العربية ص 38	17 18
- جرير بن عطية الخطفي نشأ في اليمامة ، وبها مات ، وهو أحد الشعراء النقائض ، كانت له معارك أدبية مع الفرزدق دامت زهاء أربعين عاما ت 114 هـ ، وله ديوان شعر مطبوع	ينظر ، جرير ، ديوانه ، دار صار بيروت ، (ب ط)، 1964 ص 5	224
- تماضر بنت عمرو بن الحرث بن الشريد الملقبة بالخنساء ، شاعرة مخضرمة اشتهرت برثاء أخيها صخر ، ت 24 هـ لها ديوان شعر مطبوع	ينظر ، الخنساء ، ديوانها ، دار بيروت ، للطباعة و النشر ، مج 1(ب ط)، 1978 ص 5	03 05
ذو الرمة غيلان بن عقبة من كبار شعراء العصر الأموي ، و يعد أكثر شعراء العرب استشهاد بشعره في معاجم اللغة ت117هـ	ينظر ، أبو منصور الثعالبي ، فقه اللغة و أسرار العربية ص 47	231 237

- خير الدين بن محمود الملقب بالزركلي ،ولد في بيروت ، شاعر شاعر مجيد ، وكاتب ، ت 1397 هـ له "الأعلام " الشهير	ينظر د. عمر الدقاق، مصادر التراث العربي ،ص 305	44
- جار الله محمود بن عمر الزمخشري ،كان معتزليا أملى تفسيره "الكشاف " ببغداد ,كان كاتبا و شاعرا ،ت538 هـ،من تآليفه : الكشاف ،المفصل في النحو...	ينظر ، د شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف القاهرة، ط6،(دت) ص 219	22 237
- زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني ، وهو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء ، صاحب معلقة له ديوان شعر مطبوع.	ينظر ، زهير بن أبي سلمى ، ديوانه ، دار بيروت، للطباعة والنشر، مج1(ب ط) 1979 ص 5	03 220
أبو عبد الله / محمد بن سلام الجمحي ، ولد في البصرة ، لغوي كبير ، وناقد حسن الذوق ، ت 232 هـ له "طبقات الشعراء"	ينظر د. عمر الدقاق، مصادر التراث العربي ،ص 306	***02***
- أبو عبيدة معمر بن المثنى ، عالم في اللغة و الادب ، واد في البصرة 209 هـ	ينظر ، أبو منصور الثعالبي ، فقه اللغة وأسرار العربية ص 38	09
- أبو هلال ، الحسن بن عبد الله ولد في عسكر ، عالم في الأدب و النقد و البلاغة و الشعر واللغة ت 394 هـ له "سر الصناعتين	ينظر د. عمر الدقاق، مصادر التراث العربي ،ص 308	20
- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري عالم ، أديب شاعر ،متعدد الجوانب (ت 276)، له "الشعر والشعراء" "عيون الأخبار "، "أدب الكاتب".	ينظر د. عمر الدقاق، مصادر التراث العربي ،ص 310	12 168
- أبو الفرج قدامة بن جعفر ، كاتب وناقد عالم في المنطق و الفلسفة و اللغة و الشعر ، ت 337 هـ ، له "نقد الشعر"	ينظر د. عمر الدقاق، مصادر التراث العربي ،ص 310	16 17 18
- أبو عبد الله ، محمد بن عمران الملقب بالمرزباني ولد ببغداد ، كان علامة و راوية للأدب و الأخبار ، ت 384هـ له"الموشح"	ينظر د. عمر الدقاق، مصادر التراث العربي ،ص 311	19

- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور لغوي و كاتب مشهور ، ت 711هـ له "لسان العرب".	ينظر د. عمر الدقاق، مصادر التراث العربي ،ص 312.	282 287 299
- أبو الحسن بن هانئ الملقب بأبي نواس ولد في الأهواز من بلاد فارس ، أجاد شعر الخمريات (ت 129 هـ).	ينظر ، أبو نواس، ديوانه ، دار بيروت ، للطباعة و النشر ، مج 1(ب ط)، 1978 ص 5	130 224
-إبراهيم بن يسار بن هانئ النظام من أئمة المعتزلة ،ت2341 هـ	ينظر الشهرستاني ، الملل والنحل ، تح ، محمد السيد الكيلاني ، دار المعرفة ،بيروت ،(ب ط)،1980، ج1،ص 53	310 319

قائمة

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

القرآن العظيم (رواية حفص عن عاصم)

المصادر والمراجع

إبراهيم أنيس

موسيقى الشعر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط3 ،1965م

إبراهيم بن عبد الرحمان الغنيم

الصورة الفنية في الشعر العربي مثال ونقد ، الشركة العربية للنشر والتوزيع المهندسين القاهرة

ابن الأثير ، عز الدين على بن محمد الجزري

الكامل في التاريخ ، بيروت (د ط) ، 1965 م ، ج12

ابن الأثير، ضياء الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم

المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تح ، محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة الباب الحلبي ، مصر ، 1939م (د ط)

ابن القيم الجوزية شمس الدين

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، (د ط) (دت)

ابن المعتز ، عبد الله

كتاب البديع ، تح ، إغناطيوس كراتشقوفسكي ،دار المسيرة ، بيروت لبنان /ط3 1982م

ابن تيمية ، تقي الدين

كتاب الإيمان ضمن مجموع الفتاوي ، جمع عبد الرحمن الحنبلي ،دار التقوى (د ط)(د ت)

ابن حجر العسقلاني

الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة تح محمد سيد جاد الحق ، القاهرة 1966، (ب ط ،ج3)

ابن خلدون ، أبوزيد عبد الرحمن

مقدمة ابن خلدون ، دار المعرفة، بيروت ، د ط ، 1986م

مقدمة ابن خلدون ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ،(ب،ط) ، 2000م.

ابن رشيق القيرواني

العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، تح ، محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة 1963

ابن سلام الجمحي

طبقات فحول الشعراء ، تح محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني القاهرة ، (د ط) ،(د ت)

ابن سيّدة المرسي ، أبو الحسن علي

المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ، تح مصطفى السقا ، وحسين نصار ، مكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي ، القاهرة ،ط1(د ت) ، مادة (س،ج،ع)،ج1

ابن عبد الله شعيب أحمد

بحوث منهجية في علوم البلاغة العربية ، ابن خلدون للنشر والتوزيع ، الجزائر /(د ط)

ابن قتيبة الدينوري

تأويل مشكل القرآن ، تح ، السيد أحمد صقر ، عيسى البابي الحلبي ، القاهرة 1954 م

تفسير غريب القرآن ، تح ، السيد أحمد صقر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ب ط 1978م

الشعر والشعراء ، تح ، محمد محمود شاكر ، القاهرة ، ط3 ، 1977 م

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين

لسان العرب ،مادة (سجع) تح عبد الرحمان محمد قاسم النجدي / دار صادر بيروت 1992 ، ط1

أبو الحسن الرماني

النكت في إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تح ، د. محمد خلف الله أحمد ،د. محمد زغلول سلام ، دار المعارف مصر ،ط3 ، 1976م

أبو الحسين الخياط

الإنتصار ، تح ،د تبيرج ، ط، دار الكتب العربية مصر ،1925

أبو الطيب المتنبي

الديوان ، تح كرم البستاني ،دار صادر ، بيروت

أبو الفتح عثمان بن حني

الخصائص ، تح ، الشيخ محمد علي النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت ط2 1952 ، ج2

المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ،تح ، محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية بيروت ،ط1 ،1998م ،ج2

أبو بكر جابر الجزائري

هذا الحبيب يا محب ، دار الغد الجديد ، المنصورة ، مصر ، ط1 2005م

أبو بكر هداية الله الحسيني

طبقات الشافعية ، منشورات دار الأفاق الجديدة بيروت ، (تح) ، عادل نويهض ، ط2 1979

أبو سليمان محمد بن محمد الخطابي

بيان إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف ، مصر ، ب ط د ت

أبو عبيدة ، معمر بن المثنى

مجاز القرآن ،تج ، أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2006م

أبو عمرو الداني

البيان في عد آي القرآن ط1 ، الكويت (ب ط) (د ت)

أبو محمد بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري

الفصل في الملل والأهواء والنحل ، تح د. محمد إبراهيم نصر و د.عبد الرحمان عميرة ، شركة مكتبات عكاظ ، جدة ، ط1 ، 1402ه ج3

أبو نواس ، أبوعلي الحسن بن هانئ

الديوان ، دار بيروت للطباعة والنشر ، (د ط) 1406ه/1986م

أبو هلال العسكري

ديوان المعاني ، دار الفكر العربي القاهرة ،(د ط) ، (د ت) ج1

الصناعتين الكتابة والشعر ، تح علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ،المكتبة العصرية صيدا ، بيروت ،ط1 ، 2006م

أيمن عبد الرزاق الشوا

الإمام ابن القيم الجوزية وأراؤه النحوية ،دار البشائر الطباعة والبشر والتوزيع د مشق ط1 ،1995

إحسان عباس

تاريخ النقد الأدبي عند العرب ،دار الثقافة ، بيروت، لبنان ، ط4 ،1983 م

إنعام فوال عكاوي

المعجم المفصل في علوم البلاغة ، دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان ،ط2

1417ه/1996م

أحمد بدوي طبانة

من بلاغة القرآن ،القاهرة ، (د ط) 1947

أحمد بن فارس

الصاحبي في فقه اللغة ـتح السيد أحمد صقر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة

أحمد جمال العمري

مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري ،دار المعارف ، القاهرة (د ط) ،

(د ت)

أحمد محمد ويس

ثنائية الشعر والنثر في الفكر النقدي ، بحث في المشاكلة والاختلاف ، منشورات وزارة

الثقافة ،دمشق ،(د ط)،2002م

أحمد مطلوب

الصورة في شعر الأخطل الصغير ، دار الفكر للنشر والتوزيع عمان الأردن،(ب ط)

1985م

معجم المصطلحات البلاغية و تطورها ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي

ط1403/3هـ،ج1 ج5

الأ شعري ، أبو الحسن إسماعيل بن علي

مقالات الإسلاميين ، مكتبة النهضة المصرية ،(ب ط)(د ت) ، تح ، محمد محي الدين عبد الحميد ، ج 1

الأصبهاني أبو الفرج

الأغاني ، ط ، دار الكتب ، بيروت ، لبنان ،(د ط) (د ت) ، ج9

الباقلاني ، القاضي أبوبكر محمد بن الطيب

نكت الانتصار في نظم القرآن ، منشأة المعارف ،الإسكندرية ،(د ط) (د ت) ،ج1،

إعجاز القرآن ، (ش،ت) د.محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ،، بيروت ، ط1 ، 1411ه /1991

البحتري ، أبوعبادة الوليد

الديوان ، دار صادر ، بيروت ، مج 1

البخاري ، محمد بن إسماعيل

الجامع الصحيح ، ط استنبول ، (د ت) ، فضائل القرآن ، ج6

الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر

البيان والتبيين ، تح حسن السندوبي ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ،(د ط) ،1932

الحيوان ، تح ، عبد السلام هارون ، القاهرة ، ط1 ،(د ت) ، ج5

رسالة حجج النبوة ، ضمن مجموعة رسائل الجاحظ للسندوبي .(ب ط) (د ت)

الحموي ،ابن حجة

خزانة الأدب وغاية الأرب ،شرح عصام شعيتو ،دار ةمكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان 1987،(د ط) ،ج2

الخطيب القزويني

الإيضاح في علوم البلاغة ، شرح وتعليق ،د/عبد المنعم خفاجي/ط3 1971م

الدسوقي ، محمد أحمد بن عرفة

حاشية الدسوقي ضمن شروح التلخيص ، دار السرور ،بيروت ،(د ت) ، (د ط) ج4

الراغب الأصفهاني

المفردات في غريب القرآن،مادة (فصل)، تح ،سيد كيلاني ، القاهرة ، 1961

الرافعي مصطفى صادق

إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، دار الكتابة العربي ، بيروت ، لبنان ،ط9، 1973

الزجاج ، أبو إسحاق إبراهيم

إعراب القرآن ،تج إبراهيم الأنباري ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ،(د ط) ،1964 ،ج2

الزركشي ، محمد بن عبد الله بن بهادر

البرهان في علوم القرآن ، تح ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ب ط 2005 م

البرهان في علوم القرآن ، تح مصطفى عبد القادر عطا، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2001

البحر المحيط في أصول الفقه ، تح مجموعة من العلماء مطبوعات وزارة الأوقاف الكوتية ط2، 1413ه/1998م ج1

تصحيح العمدة ، تح ، د، مرزوق بن آل هيا س آل مرزوق الزهرا ني ، ج1 ط1

المنثور في القواعد ، (تح) ،د.تيسير فائق أحمد محمود ،ج1،ط1، 1986

الزركلي ،خير الدين

الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ،لبنان، ط 5 1980 ، مج 6

الزمخشري ، جار الله محمود بن عمر

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التاويل ، المطبعة العامرة الشرقية (د .ت) ،ط1

السكاكي ، أبو يعقوب يوسف

مفتاح العلوم ،تح ، عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، لبنان ،ط1، 2000م

السيوطي ، جلال الدين

الإتقان في علوم القرآن ، دار المعرفة ، بيروت (د،ط)، (د ت)

معترك الأقران في إعجاز القرآن، تح ، علي محمد البجاوي ، دار الفكر العربي ، الأردن ،1973،(د ط)، ج1

العلوي ، يحي بن حمزة

الطراز ، تج .د عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية ، بيروت ،ط1 2002 م

الفيروز آبادي

القاموس المحيط ، مادة " فصل، دار الجيل ، بيروت ، (ب ط) (د ت)

القاضي عبد الجبار

المغني في أبواب التوحيد والعدل ، تح محمود الخضري ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ليبيا، (د ط) 1958م

القاضي عياض

الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان،ط1424،1ه/2003م ،ج1

المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد

الكامل في اللغة والأدب ، تح ، عبد الحميد هنداوي ،دار الكتب العلمية ، بيروت مج1 ص32 لبنان ،ط 1 1999م ، مج1

أيمن عبد الرزاق الشوا

الإمام ابن القيم الجوزية وأراؤه النحوية ،دار البشائر الطباعة والبشر والتوزيع د مشق ط1 ،1995

بدوي طبانة

البيان العربي دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط6 ، 1976م

بشار بن برد

الديوان ، دار صادر بيروت ، ط1، 2000م

بكري شيخ أمين

البلاغة العربية في ثوبها الجديد ، ج1 علم المعاني ، دار العلم للملايين ،بيروت ،لبنان ط7 2001م

التعبير الفني في القرآن ،دار الشروق ، القاهرة ، ط2 ، 1396هـ، 1976م

بهاء الدين السيكي

عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط2 ، 1343هـ ، ج1

جاكوب كورك

اللغة في الأدب الحديث ـالحداثة والتجريب ،ترجمة ليون يوسف ،وعزيز عما نوئيل ، دار المأمون للترجمة والنشر ،بغداد ،(د ط) 1989م

جريربن عطية

الديوان ، دار صاذر ، بيروت،(ب ط) (د ت)

جوزيف ميشال شريم

دليل الدراسات الأسلوبية ، المؤسسة الجامعية ،بيروت ، (د ط) 1984 م

حازم القرطاجني

منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تح ، محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي بيروت ط2، 1981م

حسان بن ثا بت

الديوان ، شرح ، د ، يوسف عيد ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1992 م

حسيني عبد الجليل يوسف

أساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي ،مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 2001م

حلمي مرزوق

النقد والدراسة الأدبية ، مكتبة نهضة القاهرة ، (د ط) ، 1959 م

حمادي صمود

التفكير البلاغي أسسه وتطوره إلى القرن السادس ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، تونس ، (د ط) ، (د ت)

خليل بن أبيك الصفدي

الغيث المسحم في شرح لامية العجم ، دار الكتب العلمية ،، بيروت ،ط1 1975 م ، ج1

د يفن ج سيتوارت

السجع في القرآن ، تر ، د.إبراهيم عوض مكتبة زهراء الشرق القاهرة ، 1998

رابح بوحوش

اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري ، دار العلوم للنشر ،عناية ،(ب ط) ، (د ت)

رفيق خليل عطوي

صناعة الكتابة علم البيان ،علم المعاني ،دار العلم للملايين ،بيروت لبنان ،ط1 ،1989

زهير ابن أبي سلمى

الديوان ، طبعة القاهرة، (د ت) ، (د ط)

سيد نوفل

البلاغة العربية في دور نشأتها ،ط ، الهيئة العامة المصرية ، (د ط) (د ت)

شوقي ضيف

البلاغة تطور و تاريخ ، ط: دار المعارف ، القاهرة ، ط2 /(د ت)

صلاح رزق

أدبية النص ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، ط1 ، 1989م

عائشة بنت عبد الرحمان الشاطئ

التعبير في القرآن الكريم ، دار المعارف ، مصر ، ط2، 1966

عائشة حسين فريد

وشي الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربية ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع عبده غريب ، القاهرة ،(د ط) (د ت)

عادل نويهض

معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر ، لبنان ، ط3 1988

عباس محمود العقاد

الإسلام دعوة عالمية ، دارالكتاب اللبناني ،بيروت ،ط1 ، 1974م

عبد الحليم محمود

الرسول صلى الله عليه و سلم ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط2 ، 1985

عبد الرحمان حسن حبنكه الميداني

البلاغة العربية ، أسسها ، وعلومها ، وفنونها ، دار القلم ، دمشق ، ط 2 ، 2007م

عبد العزيز الجرجاني

الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تح ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمد البجاوي ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ، (د ط) (د ت)

عبد العزيز عتيق

في تاريخ البلاغة العربية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت (د ت) (د ط)

عبد العظيم إبراهيم محمد المطعنى

خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1 ،1992م

عبد القادر حسين

أثر النحاة في البحث البلاغي ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة ،(د ط) ، 1998م

فن البديع ، دار الشروق ، بيروت ،(د ت) (د ط)

المختصر في تاريخ البلاغة ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط2 ، 2000م

عبد القاهر الجرجاني

أسرار البلاغة ،تح مصطفى شيخ مصطفى ، ميسر عقاد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط1 2007م

دلائل الإعجاز في علم المعاني ، تح ، عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1422هـ ، 2001م

عبد الكريم الخطيب

إعجاز القرآن ، الإعجاز في دراسات السابقين ، دار الفكر العربي، القاهرة ، ط1 ،1974م

عبد الواحد حسن الشيخ

دراسات في البلاغة عند ضياء الدين بن الأثير ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع الإسكندرية ،(د ط) ، 1986م

عبده عبد العزيز قلقيلة

البلاغة الاصطلاحية ، دار الفكر العربي ، القاهرة

عمر السلامي

الإعجاز الفني في القرآن ، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله ، تونس ، 1980م

عنترة بن شداد العبسي

الديوان ، تقديم وشرح وتعليق ، د ، محمد حمود ، دار الفكر اللبناني ، ط1 ، 1996م

عيسى علي العاكوب

التفكير النقدي عند العرب / دار الفكر ، دمشق سوريا ، ط1، 1417هـ ،1997م

عيسى علي العاكوب ، أ.علي سعد الشتيوي

الكافي في علوم البلاغة العربية (المعاني ، البيان ، البديع) ،الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية (د ط) ، 1993م

فخر الدين بن عمر الرازي

التفسير الكبير ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ج2 ، ط1 ، 1411هـ

نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تح ، د.بكري شيخ أمين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط1 1405هـ

فضل حسن عباس

البلاغة المفترى عليها بين الأصالة و التبعية ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، عمان الأردن ط2 ، 1999م

قد امة بن جعفر

نقد الشعر ، شرح محمد عيسى فنون ، المطبعة الميليجية القاهرة ، (د ط) 1936م

نقد النثر ، تقديم طه حسين ، عبد الحميد العبادي ،ط ، دار الكتب المصرية (د ت) ، (د ط)

مازن المبارك

الموجز في تاريخ البلاغة ، دار الفكر ، دمشق ، ط6 ،2006م

متولي الشعراوي

القضاء والقدر ، دار الشهاب ، باتنة، (د،ط) (د،ت)

معجزة القرآن ، شركة الشهاب ، الجزائر ، ج1 ، (د،ط) (د،ت)

محمد الصديق المنشاوي

الشيخ الشعراوي وحديث الذكريات ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير ، القاهرة

محمد العمري

البلاغة العربية أصولها و امتداداتها ، أفريقيا الشرق ، بيروت ، لبنان (د ط)، 1929 م

محمد الغزالي

عالمية الرسالة بين النظرية والتطبيق ، شركة الشهاب للنشر والتوزيع ، باتنة ، الجزائر (د ت) ، (د ط)

محمد بركات حمدي أبو علي

البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل ، دار البشير للنشر والتوزيع عمان، الأردن ،

(د ط) ، (د ت)

البلاغة عرض وتوجيه و تفسير ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ،الأردن ، ط1 ، 1983 م

فصول في البلاغة ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ،ط1 ،1983 م

البلاغة العربية في ضوء الأسلوبية ونظرية السياق ، دار وائل للنشر ، الأردن ، ط1 2003 م

محمد سعيد رمضان البوطي

من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل ، مؤسسة الرسالة ،بيروت ،ط3 ،1996م

محمد علي الصابوني

التبيان في علوم القرآن دار البعث ، قسنطينة ، الجزائر ، ط3 ، 1407هـ ، 1986م

صفوة التفاسير ، شركة الشهاب الجزائر ، ط5 ،1411هـ ، 1990 م

مسلم ، أبو الحسين بن الحجاج

صحيح مسلم ،تح :محمد فؤاد عبد الباقي ،دار أحياء التراث العربي ، بيروت ،لبنان ،ج1 ج3 ط5 ، 1199 م

مصطفى الصاوي الجويني

منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه ،دار المعارف ، مصر (د ط)، 1959م

مصطفى مسلم

مباحث في إعجاز القرآن ، دار المسلم للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط1416،2هـ ،1996م

ناصر بن سعود بن عبد الله السلامة

مؤلفات العلامة الزركشي الشافعي ،دار الفلاح مصر (د ت)(د ط)

واجدة مجيد الأطراقجي

التشبيهات القرآنية والبيئة العربية ، وزارة الثقافة الجمهورية العراقية ،(د ط) ، 1978م

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

التصدير	
الإهداء	
شكروتقدير	
مقدمة البحث	
تمهيد	
البلاغة قبل الزركشي	**02**
- البلاغة والنقد قبل نزول القرآن	**02**
- أثر القرآن في البلاغة	**06**
- النقد والبلاغة	**08**
من جهود العلماء في تطور النقد والبلاغة	**10**
- أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت209هـ)	**10**
- الجاحظ : (ت255هـ)	**11**
- المبرد (ت285هـ)	**13**
- ابن المعتز (ت296هـ)	**15**
- قدامة بن جعفر (ت337هـ)	**17**
- القاضي عبد العزيز الجرجاني (ت 366هـ)	**18**
- أبو الحسن الرماني (ت384هـ)	**20**
- أبو هلال العسكري (ت395هـ)	**21**
- عبد القاهر الجرجاني (ت 471أو 474 هـ)	**22**
- الزمخشري (ت 538 هـ)	**23**
- السكاكي (ت626هـ)	**24**
- الخطيب القزويني (ت739 هـ)	**26**
خلاصة	**31**

الفصل الأول	
الزركشي وكتابة البرهان في علوم القرآن	33
2- عصر الإمام الزركشي	33
- الحالة السياسية	34
- الحالة الاجتماعية	35
- الحالة العلمية	36
- علاقة الزركشي بهذه الأحداث	37
3- التعريف بالزركشي	38
- اسمه ونسبه - ولادته ونشأته	38 38
- رحلاته في طلب العلم	39
- ثقافته	40
- مكانته العلمية	41
- ألقابه العلمية ومناصبه	43
- عقيدته وصفاته	44
- شيوخه - تلاميذه	46 47
- وفاة الزركشي	48
- تصانيفه	49
- من أقوال العلماء فيه	53
4- كتاب البرهان في علوم القرآن	54
- التعريف بالبرهان	54
- موضوع الكتاب	55
- منهج الكتاب وأسلوبه	56
- مضمون الكتاب	58
- الغاية من تأليفه	78
خلاصة القول	80
الفصل الثاني	
مباحث علم المعاني عند الزركشي	82
المبحث الأول : من أقسام معنى الكلام	82
الخبر	82

أغراضه البلاغية	83
الإنشاء	84
التمني	84
النداء	85
الاستخبار (الاستفهام)	86
أقسام الاستفهام	87
ت - الاستفهام بمعنى الخبر	88
- استفهام الإنكار	88
- استفهام التقرير	89
ث - الاستفهام بمعنى الإنشاء	91
- الأمر	95
المبحث الثاني: التقديم والتأخير	97
- توطئة	97
- أسبابه	98
- أنواعه	100
- خلاصة	112
المبحث الثالث : أسلوب الحذف	113
- توطئة.	113
- الحذف عند الزركشي	114
- ماهيته	114
- فوائده	116
- أسبابه	116
- أدلته	118
- شروطه	119
- أقسامه	137
الفصل الثالث	
مباحث علم البيان عند الزركشي	139
المبحث الأول : التشبيه :	140
المبحث الثاني : المجاز في القرآن	158
المبحث الثالث : الاستعارة	179
المبحث الرابع : الكناية والتعريض في القرآن	202
الفصل الرابع	204

مباحث علم البديع عند الزركشي	204
المبحث الأول : المحسنات المعنوية	205
- التورية - التورية عند الزركشي - الغاية من استخدام التورية	205 206 207
- الفرق بين الاستخدام و التورية - جماليات الاستخدام	207 208
- التجريد	209
- الطباق	211
- المقابلة	216
- إلجام الخصم بالحجة.	219
- التقسيم	220
- التعديد	223
- المبالغة	224
- الاعتراض	229
- الاحتراس	231
- التذييل	233
- التتميم	233
- المدرج	234
- الاستطراد	235
- الإلغاز	237
- الالتفات	239
المبحث الثاني : المحسنات اللفظية	
- التجنيس (الجناس)	252
- رد العجز على الصدر	257
- خلاصة	259
الفصل الخامس	
قضية الأسجاع والفواصل في القرآن	261
المبحث الأول : السجع في القرآن	261
- ماهية السجع	261
- أضرب السجع ومراتبه	263
- السجع بين الرفض والإثبات	267
- من حجج المانعين	269

- من حجج المجيزين	269
- رأي الزركشي في قضية السجع في القرآن	270
- من جماليات السجع	272
خلاصة	274
المبحث الثاني : الفاصلة في القرآن	275
- ماهية الفاصلة	275
- إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل	277
- أقسام الفاصلة	283
- طريق معرفة الفاصلة	284
- مبنى الفواصل على الوقف	285
ائتلاف الفواصل مع مضمون الآيات	286
أ- التمكين	287
ب- التصدير	290
ت- التوشيح	291
ث- الإيغال	292
- من فوائد الفاصلة القرآنية	294
- الجديد عند الزركشي في مبحث الفواصل	295
- جماليات الفاصلة القرآنية	296
خلاصة	297
الفصل السادس:	
قضية الإعجاز وسمات التفكير البلاغي عند الزركشي	299
المبحث الأول : ماهية الإعجاز	299
توطئة	299
- المعجزة لغة - المعجزة اصطلاحا	300 301
- الإعجاز لغة واصطلاحا	302
- أنواع المعجزات	303
- شروط المعجزة	306
- التحدي والمعارضة.	306
المبحث الثاني: من آراء السابقين في الإعجاز ووجوده	310

- النظام : (ت 220هـ)	311
- الجاحظ : (ت 255هـ)	313
- الرماني : (ت 382هـ)	316
- الخطابي : (ت 388هـ)	318
- الباقلاني : (ت 403هـ)	320
- الجرجاني : (ت 471ه أو474هـ)	324
- الزمخشري : (ت 538هـ)	327
- السكاكي : (ت626 أو627هـ).	328
المبحث الثالث : رأي الزركشي في الإعجاز (ت 794هـ)	330
- البلاغة وعلاقتها بالإعجاز.	337
- الغاية من الإعجاز .	338
- عالمية الرسالة المحمدية وخصائصها .	339
خلاصة.	341
المبحث الرابع : سمات التفكير البلاغي عند الزركشي	341
- الموسوعية	342
- العمق والشمولية	343
- الذوق الأدبي والفني	344
- النقد	345
- الموضوعية	351
- الأمانة العلمية	352
- المصطلح البلاغي وسيلة لإبراز جماليات القرآن	354
خلاصة	356
الخاتمة	363-358
الفهارس العامة	
- فهرس الآيات القرآنية	365
- فهرس لأهم الأعلام	386
قائمة المصادر والمراجع	406-388
فهرس الموضوعات	-408 413